coptic-books.blogspot.com

Book Name : Know Why You Believe

Author : **Paul and Marie Little**

Publishing House : InterVarsity Press

Originally published by InterVarsity Press as Know Why You Believe

Revised Edition by Paul and Marie Little

Copyright © 2000 by Marie Little.

Translated and printed by permission of InterVarsity Press,

P.O. Box 1400, Downers Grove, IL 60515,USA.

Arabic edition © 2009 by Dar El Thaqafa Communications House.

All rights reserved. International Copyright Secured.

الطبعة الأولى

الكتاب : **لماذا أؤمن؟ «إجابات منطقية عن الإيمان»**

المؤلف : **بول ليتل**

صدر عن : دار الثقافة - ص.ب ١٦٢ - ١١٨١١ - البانوراما - القاهرة

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/١١٠٨٥

الترقيم الدولي : 977 - 213 - 837 -9

المطبعة : مطبعة سيوبرس ت: ٢٦٢٢١٤٢٥/٦

الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة

تصميم الغلاف : سيلفر ستار - فادي موريس

جميع حقوق الطبع أو إعادة النشر محفوظة لدار الثقافة

١٠ / ١٠٧٣ - ط١ / ١ - ١ / ٢٠٠٩

ليتل، بول.

لماذا أؤمن؟: إجابات منطقية عن الإيمان/ بقلم بول ليتل؛ ترجمة وجدي وهبه.- ط١. - القاهرة : دار الثقافة، ٢٠٠٩.

٢١٨ ص؛ ١٩ سم.

تدمك ٩ ٨٣٧ ٢١٣ ٩٧٧

١- الدفاع عن الدين المسيحي

٢- الإيمان (المسيحية)

أ- وهبه؛ وجدي (مترجم)

ب- العنوان

٢٧٣.٩

coptic-books.blogspot.com

مقدمة الدار

هل الإيمان، كما أشيع عنه، مجرد قفزة في الظلام؟ هل علينا أن نلغي عقولنا ونحن نقترب من المقدسات المسيحية حتى نستطيع أن نقبلها ونؤمن بها؟ أم يمكننا أن ندرك أن إيماننا يقف على أرض صلبة وراسخة وأن عقائدنا الأساسية يمكن البرهنة عليها وتقديم الحجج التي تدعمها؟

في هذا الكتاب يقدم المؤلف ١٢ سؤالاً تمثل في مجموعها أهم وأبرز مواطن الهجوم على المسيحية ويجتهد في الإجابة عليها بأسلوب واضح منطقي، والكاتب لا يزعم أنه يمتلك كل الإجابات والحلول، لكنه، بتواضع وثقة، يعرض ما توصل إليه من أبحاثه وأبحاث الكثير من العلماء المسيحيين التي تثبت أن إيماننا المسيحي إيمان حقيقي يمكن الدفاع عنه وأنه جدير بالتصديق والاحترام.

ودار الثقافة يسعدها أن تقدم هذا الكتاب الثمين إلى كل قارئ عربي وكل باحث عن الحقيقة.

دار الثقافة

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

المحتويات

مقدمة الدار ٣

المقدمة ٧

الفصل الأول : هل المسيحية منطقية؟ ١١

الفصل الثاني : هل يوجد إله؟ ٢٥

الفصل الثالث : هل المسيح هو الله؟ ٤٥

الفصل الرابع : هل قام المسيح من بين الأموات؟ ٥٧

الفصل الخامس : هل الكتاب المقدس هو كلمة الله؟ ٧١

الفصل السادس: هل يمكن الاعتماد على وثائق الكتاب المقدس؟ ٨٧

الفصل السابع : هل الآثار تؤيد الكتاب المقدس؟ ١٠٣

الفصل الثامن : هل المعجزات ممكنة؟ ١٢١

الفصل التاسع : هل يتفق العلم مع الكتاب المقدس؟ ١٣٧

الفصل العاشر : لماذا يسمح الله بالمعاناة والشر؟ ١٦٣

الفصل الحادي عشر : هل تختلف المسيحية عن أديان العالم الأخرى؟ ١٧٧

الفصل الثاني عشر : هل الاختبار المسيحي صحيح؟ ١٩٥

الحواشي ٢١١

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

المقدمة

كيف بدأ هذا الكتاب

«حتى بعد مرور ٢٠٠٠ سنة، لن يوجد سؤال يمكن أن يحطم المسيحية».

حينما أيقن زوجي بول من صحة هذه العبارة الموجزة وأمثالها، استطاع أن يجد طريقه إلى أذهان الطلاب في الجامعات حينما كان يكلمهم عن المسيحية.

فحينما اقترب بول برهبة من مقر الطلاب الرافضين الإيمان في جامعة كانساس في الساعة السادسة مساءً، في تلك الأمسية التي طُلِبَ منه أن يعرض مقدمة موجزة لمدة ربع ساعة عن المسيحية ويعقبها بعض الأسئلة من الحاضرين. وباعتباره عضو جديد في فريق عمل خدمة انترفارسيتي، كان مرعوباً من هذه التجربة. وتضخمت مخاوفه لأن الحاضرين كانوا من الطلاب النابغين والمتميزين. وفيما بعد حكى لي عن صلاته في ذلك اليوم بينما كان يسير إلى باب القاعة:

يا رب، أنت تعلم أني دائمًا ما أتعثر حينما يُطلَب مني أن أشرح بوضوح أساسيات الإيمان المسيحي لأناس لديهم الكثير من التساؤلات. فلماذا يتوجب عليّ أن أبدأ عملي في منطقة مخصصة للطلاب النابغين؟ إنهم سيمزقونني ويقضون عليّ. ولن تطلع لي شمس مرة أخرى!

ولكن ما أدهش بول أن أحد الشباب قد تغيرت حياته نتيجة للأفكار الجديدة التي قدمها الله له وبدأ حياة جديدة وأمتلك القدرة على أن يعيش هذه الحياة. لقد قرر هذا الشاب أن يصير مسيحيًا مؤمنًا.

coptic-books.blogspot.com

وعندما تشجع بول من الاستجابة الجيدة لهذا الشاب، وأصل خدمته. فسافر من جامعة إلى أخرى، وهو يتولى الخدمات والمحاضرات بلا تعب ولا كلل ويتكلم لساعات مع الطلاب في مقابلات شخصية وعامة. ومن بين مئات الجامعات في قارات العالم الخمس، حاول بول أن يجذب انتباه الطلاب الذي يشعرون بالملل والمثقفين وكذلك الرياضيين. لقد استخدم أسئلة تشبه الطوق الذي يحاصر فكر الطلاب لكي يهز أفكار المستمعين ويساعدهم على فحص آرائهم الحالية، التي تتراوح ما بين القدرية العلمية وحتى الوجودية المتطرفة. وهو يجيد استخدام القصص الفكاهية والألغاز الجيدة. وكثيرًا ما كان يقول: «أتعرف؟ أنت نفسك مارست الإيمان الأعمى اليوم حينما أكلت في المطعم». وكذلك: «الإيمان بشيء لا يجعله حقيقة؛ ورفض الإيمان به لا يجعله كذبًا». وأيضًا: «الكثير ممن يقولون إنهم لا يصدقون الكتاب المقدس لم يسبق لهم في الواقع أن قاموا بقراءته».

وعبر ٢٥ سنة من الخدمة بإلقاء المحاضرات، وجد بول أنه بغض النظر عن المجموعة التي يلقي المحاضرة أمامها، فإن هناك دائمًا ١٢ سؤالاً عادة ما يتم طرحها. وقال: «إنها صارت أسئلة متوقعة. فإذا بحثنا عن إجابات لهذه الأسئلة الشائعة التي نسمعها، سوف نعرف الإجابات الصحيحة للأسئلة الصحيحة أيضًا. فإن الإجابات الصحيحة للأسئلة الخاطئة ليست بالأمر المفيد!» ومن خلال دراسته الشخصية في الكتاب المقدس وأبحاث العلماء الكتابيين، قام بتكوين إجاباته. وها هي هذه الإجابات تظهر في الكتاب الذي بين يديك الآن.

إن رسالة هذا الكتاب الجديد تعود بأكملها لبول. لكني أضفت بعض الأمثلة الجديدة في مجالات متخصصة مثل الآثار والعلوم. وقد أتبعت في كل منطقة الأساسات الكتابية التي وضع بول تركيزًا خاصًا عليها. كما أن عالمين آخرين من فريق العمل بكنيسة ويلو وهما جودسون بولنج وبراد ميتشل ساهما بإمدادي

coptic-books.blogspot.com

بمساعدة لا غنى عنها في تحضير هذا الكتاب. وأنا مدينة لكليهما لحكمتهما ومساهمتهما الوفيرة والعظيمة في هذا الكتاب.

لقد مرت ٢٤ سنة منذ يوم فُجِعت بالنبأ المشئوم عن موت زوجي في حادثة سيارة. وكم أشعر بيد الرب المقتدرة التي مازالت تستخدم هذه الإجابات حتى الآن. ولعل بول كان الآن سيهز رأسه بوقار ويقول: «هذا عمل الله؛ النور يأتي منه هو لا مني». الكتاب المقدس كتاب راسخ وجدير بالثقة في وجه كل التحديات. وكما قال بول، لا يوجد أي سؤال يطرحه إنسان يمكن أن يجعل المسيحية تنهار حتى بعد ٢٠٠٠ سنة. القصص العديدة التي ظللت أستمع إليها عن استخدام الله لهذه الكلمات أكدت لي التأثير غير العادي لحق الله الذي نطلبه جميعًا.

أعطيت مؤخرًا نسخة من هذا الكتاب لشابة باحثة من أتباع السيخ. وبعد أن قامت هي وزوجها بزيارتي عدة مرات في بيتي، قالت لي: «لقد أجاب هذا الكتاب على كل أسئلتي». وصارت مكرسة بالكامل ليسوع المسيح – علاوة على كونها زوجة وأم أصيلة. يا لها من نعمة رائعة.

ماري ليتل

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل الأول

هل المسيحية منطقية؟

سأل معلم مدارس الأحد «ما هو الإيمان؟». فأجاب صبي صغير بسرعة، «الإيمان هو أن تصدق شيئًا تعلم أنه غير حقيقي».

وليس من المدهش أن الكثيرين يعتقدون هذا بشأن العديد من العقائد. وفي الحقيقة هناك العديد من المسيحيين يتبنون هذا الرأي سواء علانية أو سرًا. ولقد ظللت أسأل هذا السؤال لمدة خمسة وعشرين عاما في المناقشات في الكلية والجامعة في كل أنحاء البلاد. وقد كانت إجابة الطالب الجامعي هي تقريبًا نفس إجابة هذا الصبي. وربما يتم صياغة مفهوم الإيمان بتعريفات مختلفة، ولكن عادة تكون فيها فكرة خداع النفس وعدم الثقة.

وفي هذه المحاضرات أقوم بوصف تعريف الإيمان الموجود في الكتاب المقدس بتعريفات بسيطة، ثم أقوم بإلقاء الأسئلة المبدئية لتفتح أذهان الطلاب.

لا تمحو عقلك

سيلاحظ الباحثون أن هذه المحاضرات مفيدة حيث أنهم قد سمعوا للمرة الأولى عرضًا صادقًا ووجيزًا للرسالة المسيحية. أما المسيحيون المقتنعون فيقولون إنهم اعتادوا أن يسمعوا القصة المسيحية المترابطة وسط بحر من الأفكار. فهم يرون أنهم لم يلغوا عقولهم لكونهم مؤمنين.

coptic-books.blogspot.com

ونحن نعيش في عالم يزداد علمًا وثقافة باطراد. حيث تنافس الأفكار الجديدة اهتماماتنا. وبدون دراية، تصبح الحقائق لدينا ضعيفة في مقابل الملذات الجذابة، وتتقلقل أنظمة إيماننا. ويضاعف العالم من احتياجنا لمعرفة لماذا نؤمن ويضاف من احتياجنا لفحص الحقائق لدعم هذا الإيمان، وما هي الحقائق التي نعيشها.

وبصدد السؤال الهام عما إذا كانت المسيحية منطقية، ويمكنها أن تنجح في اجتياز اختبارات التدقيق، فسنبدأ بالمفهوم الخاطئ السائد عن كلمة الإيمان. وهناك ثلاث أفكار تتوارد على الذهن:

١ – جميعنا يستخدم الإيمان في كل يوم

فمن المستحيل تجنب استخدام الإيمان– حتى بعيدًا عن الإيمان الديني. فنحن لنا إيمان بالطبيب، وبدكان البقالة، وبالشخص الذي يطلب المواعدة. وكذلك لدينا إيمان بأن القطار سيصل ليأخذنا إلى العمل، إيمان بأن ساعي البريد سيحضر لنا إيصال الراتب، وكذلك لدى العالِم إيمان بالطرق العلمية التي تعلمها من العلماء السابقين، الذين يدعون أنهم صادقون. ومن ثم فإن الإيمان ببساطة هو الثقة؛ وعلينا أن نمارس على الأقل بعض معايير الإيمان لكي نتفاعل فعليًا مع العالم الحقيقي.

٢ – الإيمان صالح فقط للهدف الذي وضع له

فالإيمان غير صالح عندما تثق في طعام غير مجرب أوفي طبيب غير مؤهل أوفي شخص غير أمين. والمثل السيئ للإيمان الذي في غير محله هو قصة طالب صغير والذي أخبرني أن فتاته ظلت لمدة طويلة تواعد رجلاً آخر ستتزوجه عن قريب. فربما يكون الإيمان جيدًا ولكن الهدف غير مثبت، وبالتالي فسيكون أداء الإيمان غير مفيد.

coptic-books.blogspot.com

أما عندما يكون الإيمان ضعيفًا ولكن الهدف موثوق، فإنه سيأتي بنتائج. فمثلا، إذا كان لديك إيمان ضعيف بالجليد السميك لكن على الرغم من ذلك ستكون النتيجة إيجابية إذ سيتحمل الجليد وزنك بغض النظر عن قوة إيمانك.

٣- اختبار حقيقة الأمور التي نؤمن بها شيء منطقي وينصح به

الحكمة تقودنا إلي التحقق ومعرفة الحقائق الأصلية لأي هدف من إيماننا فإذا كانت الساعة معطلة فسوف نصلحها. وهذا هو الشيء المنطقي أن نفعله[1].

فحص أفكارنا السابقة

إن تلك الأمثلة القليلة للإيمان تساعدنا على رؤيته على أنه جزء عادي من حياتنا. ومن هناك نعود إلى فحص مدى منطقية الإيمان المسيحي بشكل موضوعي بقدر المستطاع. ومن الحتمي أن تكون الموضوعية قد تأثرت من خلال أفكارنا السابقة عن المسيحية. وعن ما هي الحقائق التي نعرفها عنها؟ وهل نرى الإيمان على أنه منطقي ومعقول؟ وهل هو مناسب لحياتنا أم غير مناسب؟ وفي تلك المحاضرات الطلابية كانت أفكار الطلاب السابقة واضحة جدا من خلال الأسئلة التي سألوها فقد كانت بعض الأسئلة تنم عن نقص كبير في المعلومات والبعض الآخر ينم عن عدم فهم المحتويات الأساسية للمسيحية. ودائما كان هناك أسئلة خارقة أو غير عادية وكذلك أسئلة «لماذا» والتي كانت أسئلة جدية بشكل كبير.

إن الأفكار السابقة أو المبدئية للشخص هي العامل الأساسي. «فأنت تعلم أن ما تفكر فيه يمكن أن يؤذيك» كان هذا هو العنوان الرئيسي لمقال في جريدة شيكاغو تريبيون وكان العنوان الفرعي «قد تتحول المعرفة الضئيلة فتكون مضرة بك». وقد

coptic-books.blogspot.com

عدد المقال خمسة عشر مثالاً أو أكثر للتفكير الخاطئ الشائع لدى المستثمرين، مثل «أحاول توفير المال بالذهاب إلى المتجر عندما يكون هناك خصم». وهكذا فان المعرفة الضئيلة بماهية الإيمان المسيحي ربما تكون ضارة. وفي أي المناطق قد كنا واضحين كل الوضوح حول المسيحية الحقيقية وأين يصبح تفكيرنا مشوشا؟

بالإضافة إلى أفكارنا السابقة أو المبدئية هناك غمامة أخرى على الإيمان، وهي مستوى ذكائنا العاطفي أو كما يطلق عليه E. Q. فسواء كنا نتكلم عن خبراتنا في الولايات المتحدة أو أية بلد أخرى، فسنرى الكثير من الأمثلة الخاطئة أو البغيضة لممارسات بعض المسيحيين الذين أصابونا بالإحباط. وربما يصل انفعالنا إلى أقصى مداه بمجرد سماعنا لكلمة مسيحي. وجميعنا لديه أفكار من نوع ما، ولكن معرفتها تساعد. وعلى الجانب الآخر، ربما لا يكون لدينا اتصالات أو معرفة مع مسيحيين أو حتى معرفة بالمسيحية وليس لدينا أية معلومات أو أفكار عنهم. وعلى أية حال فإنه كلما استطعنا أن نفهم مصادر أفكارنا ومشاعرنا، سنكون أكثر قدرة على التفكير بموضوعية في القضية المسيحية كما قال سي .أس. لويس.

ويقول العالِم الشهير ر. س. سبرول إن لدى المسيحية الكتابية قواعد ومبادئ محددة وشاملة. فالمسيحية ليست قاصرة على فئة قليلة ومحتواها لا يختفي في رموز غامضة. فعندما يخبرك أحد في همس هادئ أن معنى الحياة هو «يد واحدة تصفق» فهذا قصور على فئة معينة، وفقا لما يقوله سبرول. وهذا هو ليس ما نعرفه عن القواعد المنطقية للتفكير. وبالتأكيد ليست هذه هي الفكرة التي نقصد أن نوصلها «بالتفكير المنطقي»[٢].

وقد تنادي ديانات أخرى بقواعد روحية تشابه تلك الخاصة بنا. ومنذ أيام

coptic-books.blogspot.com

فيلسوف القرن التاسع عشر فردريك نيتشه وحتى يومنا هذا، ومن داخل المسيحية ومن خارجها، يقال لنا إن الله غير حي. وصارت الفلسفة الإنسانية لديها دفاع قوي. كما يعتبر كتاب «ديانة بلا إعلان» لچوليان هوكسليز مثالا جيدا للمنهج الذي يدعو بأن الله غير حي. وقد اشتركت التعددية مع الاتصالات الحديثة في جعل العالم متقارب ومتجاور. وعلى الأرجح فإننا نسمع ما يلي:

١- إن كل الديانات صحيحة.

٢- إن التناقض والاختلاف بين أنظمة الأديان أمر مقبول تماما.

٣- إن الحقيقة المطلقة غير موجودة.

هل يمكن اختبار المسيحية بموضوعية؟

أكد الفيلسوف التحليلي انتوني فيليو أنه بالنسبة للباحث تعتبر التأكيدات الدينية التي لا يمكن إخضاعها للفحص والاختبار بأسلوب موضوعي هي تأكيدات بلا معنى وعديمة الجدوى. ويشرح انتوني ذلك من خلال رسم قصصي قاله چون ويزدم:

ذات مرة ذهب مكتشفان ليكتشفا في الغابة. وخلال بحثهما كانت تنمو هناك العديد من الزهور والحشائش فقال أحد المكتشفين «لابد أن هناك بستانيًا يرعى تلك البقعة من الأرض». فاعترض المكتشف الآخر«لا يوجد بستاني». ثم نصبا خيمتهما وظلا يراقبان ولم يشاهدا أي بستاني. أجاب أحدهما «ربما يكون هذا البستاني غير مرئي». فقاما بعمل سور من الأسلاك الشائكة وقاما بتوصيله بتيار كهربي ووضعا كلابًا مطاردة. ولكن لم توجد أي صرخة تدل على أن هناك أي دخيل قد تلقى صدمة من الأسلاك. ولم توجد أي حركات للسلك تنم عن متسلل غير مرئي وكذلك لم تنبح

coptic-books.blogspot.com

الكلاب أبدا. ولكن لم يقتنع المكتشف بعد. فقال: «ربما يوجد بستاني غير مرئي ولا يتأثر بالصدمات الكهربائية، بستاني يأتي سرا ليرعى الحديقة التي يحبها». وأخيرا زال الشك «ولكن ماذا تبقى من يقينك الأصلي؟ وكيف يختلف ما تسميه البستاني غير مرئي، وغير المادي، عن البستاني الخيالي أو حتى مدى اختلافه عن البستاني غير الموجود أصلاً؟»[٣].

ويعلق المعلم الإنجيلي چون مونتجومري على هذه القصة قائلا:

«ليس لدينا في المسيحية مجرد زعم بأن حديقة هذا العالم تـُرعى بواسطة بستاني محب؛ بل لدينا يقين بتجسد هذا البستاني في شخص يسوع المسيح. (يو٢٠: ١٤-١٥)، كما أن هذا التجسد قد تأكد بقيامته»[٤].

البنية الفكرية للحق

في أغلب الأحيان لا يُنظر للمسيحية بشكل جاد، بل ينظر إليها على أنها واحدة من الديانات التي تزعم أنها تمتلك الحق، ولا ترى على أنها مبنية على حقيقة مؤكدة.

والعكس صحيح، فالكتاب المقدس نفسه يؤكد أهمية الأساليب المنطقية الواضحة. وقد أكد يسوع هذا لتلاميذه «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك». (مت ٢٢: ٣٧) فالشخص ككل: العقل، والعواطف، والإرادة مشترك في تكوين إيماننا. فعلى سبيل المثال، وصف الرسول بولس نفسه في (فيلبي١: ٧) «أني حافظكم في قلبي، في وثقي، وفي المحاماة عن الإنجيل وتثبيته». معطيا سببا لإيمانه. ويحمل كل هذا ضمنيا رسالة واضحة تماما يمكن أن تكون مفهومة ومؤيدة عقليًا.

coptic-books.blogspot.com

العقل غير المستنير هو العقل الذي لن يعرف أبدًا حقيقة الله، أما الاستنارة (البصيرة) فعندما تكون مبنية على بنية فكرية حقيقية، فإنها تجلب فهمًا مُرضيًا ومقنعًا. إن كل واحد منا منذ طفولته وحتى البلوغ يحتاج إلى الأسباب والتفسيرات. إذا تم إخبار طفلٍ أنه سيحترق إذا لمس الشواية الساخنة. فعندها فقط يستطيع الطفل أن يختار أن يلمسها أو لا. لكن بصيرته قد تنورت. وهكذا بالنسبة لنا، فإن البصيرة تأتي من معرفة الحقائق المسيحية الأساسية.

ودائما يكون الإيمان المسيحي مساويا للحق. والحق (**Truth**) هو عكس الضلال (**Error**) (٢تي ٢: ١١، ١٢). ويدعو بولس الناس الذين لم يؤمنوا بعد بأنهم «الذين لم يطاوعوا الحق». (رو٢: ٨) ومن ثم تكون هذه الأقوال بلا معنى إلا إذا كان هناك طريقة موضوعية لتأسيس الحق. وإذ لم تكن هناك أية إمكانية لتحقيق ذلك، فإن كل من الحقيقة والضلال سيكونان متساويان على كافة الأصعدة العملية. والسؤال المحوري هنا هو: هل يوجد حق مطلق؟ هناك دليل واحد واضح لنا.

الخليقة تجعل الأمر واضحًا

يقول الرسول بولس إن الخليقة نفسها تعطي جميع الناس المعرفة الكافية ليدركوا أن الله موجود. وفي (رو ١: ١٩) يقول بولس «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم». وهكذا يصير من السهل أن يدرك أي شخص وجود الله، فالله غير خافٍ. ثم يخبرنا بولس أن ننظر إلى الخليقة. «لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم» ثم يكمل بولس مبينًا اثنين من صفات الله الأساسية «مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته».

coptic-books.blogspot.com

ومن خلال هذا الآية القوية والصغيرة، يشرح بولس أن الله ينتظر منا أن نؤمن به بناء على دليل واضح ومفهوم وهو الخليقة. كما أنه يعطينا الأسباب العقلانية والمنطقية. وكأنما يقول «انظر إلى الطبيعة، أو حتى إلى الكون أو إلى جسدك، وعندها سيكون لديك دليل جيد لتؤمن بالخالق». فالتحف الفنية الإلهية التي من صنع الخالق تخبرنا عن عنايته الفائقة وعمله العجيب في خليقته.

وعبارة «قدرته السرمدية» ليست بالهينة حتى تمر على عقولنا مرور الكرام. ويعطينا بيل هيبلز لمحة عن هذا:

«إن الله يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه أي أمر... بل أن معرفته تمتد وتتسع لأبعد من أحداث الحاضر. فالله يعرف كيفية سير كل الأشياء. دعنا ندرك هذا الأمر جيدًا. فهو كلي المعرفة بأسرار الأحياء ووظائف الأعضاء والحيوان والكيمياء وعلم النفس والجيولوجيا، والطبيعة والطب والجينات. وهو يعرف مواقيت السماء، ومسالك الشمس والقمر والسحب»[٥].

ويمكننا القول بأن هذا يعطي تعريف اللامحدودية، وليس تعريف المحدودية كما نحن البشر عليه. هذا بالإضافة إلى أن الله يعرف الصورة العامة والكلية لكل جانب من جوانب حياتنا الشخصية.

رؤية الصورة الكلية

تضاعف هذه الحقيقة من حماسنا لاكتشاف بعض الإجابات عن كيف نكون مهيئين «للصورة الكلية» من خلال آفاق الله. فلماذا نحن هنا، نعيش في تلك العائلة، وفي هذا المكان؟ وهل اختياراتنا وما نعمله كل يوم أمر هام؟ وكيف نوجد في تلك

coptic-books.blogspot.com

البلد وليس في أي بلد آخر؟ وماذا سيحدث بعد أن نترك تلك الحياة؟

هناك مجلدات كُتِبت حول «لماذا» نحن موجودون، ومن ثم فهو ليس بالسؤال الجديد. فهو سؤال نسأله جميعا في وقت أو آخر. ويلخص ستيفين هاوكينج في كتابه «لمحة من الزمن»، حياته التي قضاها في البحث والتفكير بسؤاله سؤال واحد. وبعد أن جمع هاوكينج أفكاره عن «ماهية» و«كيفية» الوجود؛ يقول (وكأنه متشوق): «الآن إذا كنا قد عرفنا الإجابة، فسيكون لنا فكر الله»[٦].

هل يمكن أن تكون هذه مجرد أسئلة شخصية، أو هل يثير الشعور بالفراغ والخسارة مثل هذه الأسئلة من قبل الكثيرين؟ وقد وصفت إحدى ممثلات الأفلام القدامى هذا بأنه «نقطة ضعف الروح» والتي بدأت تسعى إليها. إن جوهر صورة الله لنا في الكتاب المقدس هي إعطائنا الإجابات. فنحن لسنا في حاجة إلى البقاء في الظلمة. ودائما هناك دليل على أن الله يريدنا أن نعرف الإجابات.

ويوضح سي. إس. لويس: «من السهل أن نقول إننا نعتقد أن هذا الحبل قوي وسليم مادمنا سنستخدمه فقط لمجرد لف صندوق. ولكن لنفترض أنه كان عليك أن تتعلق بهذا الحبل على حافة هوة سحيقة. ساعتها بكل تأكيد سيكون عليك أن تتحقق أولاً من أن هذا الحبل جدير بالثقة فعلاً أم لا»[٧].

الستار الأخلاقي

يمكن، وبدون إدراك منا، أن ينشأ ستار من السلوكيات اللاأخلاقية ويقيد فهمنا، كما يمكنه أن يطغى على الإعلان الإلهي لنا، وأن ينشر العتمة على فهمنا. ويمكن أن يكون تأثير هذا السلوك اللاأخلاقي معانداً ونهمًا ويأبى الرحيل. في بعض

coptic-books.blogspot.com

الحالات، لا تكون المشكلة الحقيقية هي أن الناس لا يستطيعون أن يؤمنوا، بل أنهم «لن يؤمنوا». عندما كان يسوع يتحدث إلى الفريسيين المتدينين والحكام المدققين في أيامه، كان صريحًا في هذا الشأن باعتباره أصل المشكلة. فقال لهم «ولا تريدوا أن تأتوا إليَّ لتكون لكم حياة» (يوه: ٤٠). ومن ثم فقد ظل يسوع يقول إن تنفيذ الالتزامات الأخلاقية يجلب الفهم العقلي. كما أنه يأتي أيضا بحل العقد الفكرية. «إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي» (يو٧: ١٧).

إن الإشكاليات العقلية المزعومة عادة تكون ستار دخاني يتستر على التمرد الأخلاقي. وقد سمعت أكذوبة أخرى تقول «إذا كانت المسيحية منطقية وتحوي الحق، فلماذا لا يؤمن بها معظم المثقفين؟» والإجابة بسيطة، فهم لا يؤمنون بالمسيحية لنفس السبب الذي لا يؤمن لأجله معظم غير المثقفين وهو أنهم لا يريدون أن يؤمنوا بها. فالمسألة ليست مسألة قوى عقلية، فهناك مسيحيون مشهورون في جميع مجالات والفنون والعلوم. وفي النهاية فإن الإيمان هو مسألة إرادة. وقد أعطانا الله دليلاً اساسيًا من خلال الخليقة.

ذات مرة أخبرني طالب بأني قد أجبته عن كل أسئلته بشكل مرضي. فسألته «هل تريد أن تصبح مسيحيًا؟» فأجابني «لا» فسألته مندهشًا «ولما لا؟» فاعترف قائلا «إنها ستقلب الطريقة التي أعيش بها». هنا كانت المشكلة الحقيقية بالنسبة له مشكلة أخلاقية وليست عقلية منطقية.

وقد حقق چون ستوت التوازن عندما لخص كيفية شرح القصة المسيحية:

coptic-books.blogspot.com

«لا نستطيع أن نرضي غرور العقل الإنساني، ولكن يجب أن نمده بما هو سليم ومنطقي».

الشك يهاجم الخوف

حتى المسيحيين المؤمنين يشكون في إيمانهم ويتساءلون عما إذا كان إيمانهم حقيقيًا أم لا. ويمكن للشك أن يسبب قلق للروح، كذلك قد يتم قمع هذا الشك بشكل غير سليم. فالذين نشأوا في بيوت مسيحية وفي الكنائس المسيحية يجدوا أنه من السهل الشك في أصل إيمانهم الأول. فمنذ حداثتهم قد قبلوا الحقائق المسيحية فقط بناء على الثقة في آبائهم وأصدقائهم وفي الراعي. ولكن مع تطور عملية التعليم يحدث دائمًا إعادة فحص لتعليمهم الأولي الذي سبق أن تلقوه.

مثل هذا الاختبار الذي يتم فيه إعادة فحص إيماننا قد يكون صحيحًا وضروريًا ليجعل إيماننا كاملاً وحقيقيًا. فلا داعي للخوف أو القلق بهذا الشأن. في الأوقات التي أسافر فيها إلى أماكن جديدة، أسأل نفسي، وأنا أتأمل في الشوارع غير المألوفة، وأنظر إلى الناس: «أيها الصغير، كيف تعرف أنك لم تنبهر ببرامج الدعاية الكبرى؟ وبعد كل هذا لا يمكنك أن ترى الله أو تلمسه أو تتذوقه أو تشعر به». ثم ظللت أسأل نفسي كيف أعرف أن الله ويسوع المسيح الذي في الكتاب المقدس هو الإله الحقيقي. ودائما أرجع إلى عاملين أساسيين:

١- الحقائق الموضوعية والخارجية والتاريخية التي تثبت قيامة يسوع المسيح.

٢- الخبرة الذاتية الداخلية الشخصية التي اختبرتها مع يسوع المسيح والتي عرفتها في حياتي من خلال جراحة خطيرة وقرارات صعبة في العمل.

coptic-books.blogspot.com

عندما يبدأ الشخص، سواء كان صغيرًا أو كبيرًا، في الشك ويبدو الله بعيدًا، فإن الشكوك تكون مقبولة كطريقة للنمو. ويمكن للخادم المسيحي أن يساعد هذا الشخص عن طريق الترحيب بأمانته وانفتاحه مما يخلق أجواءً ملائمة يمكن فيه للشخص أن يتحرر من حمله ويعبر عن شكوكه. وإذا لم يحدث هذا، فقد يحبط الشخص، أو حتى ينصرف بعيدا إذا ما قابله الخادم المسيحي بشعور هائل بالصدمة، وقوله له إن المسيحي الحق لا يشك أبدا. ويشعر المتسائل (الشخص الذي يشك) بأن هذا الحكم قاسٍ. وللأسف فقد رأيت البعض ممن وصلوا إلى إجابة غير محببة، وقد تحولوا بسرعة إلى هذا الرأي السائد. ولكن هذا لا ينبع من القلب بشكل حقيقي. فعندما يكون هذا نابعا من الضغط، فإن هؤلاء الأشخاص يفقدون إيمانهم مثل معطف المطر، لأنهم لم يكن لهم إيمان أصلا.

إن الشك والسؤال أمران طبيعيان لأي شخص عاقل. وبدلا من إبداء الصدمة، إذا كان ممكنًا، يمكن الاستماع إلى المتسائل حتى إذا كان السؤال حادًا أو عميقًا. ثم يتم اقتراح إجابة. وبدون خوف يمكننا مناقشة المشكلات، لأن المسيحية تقوم على الإله الواحد الذي هو الحق، ومن ثم لن يشكل التدقيق أي تهديد أو أذى.

• لا تخف

إذا لم نجد إجابة سؤال في الحال، علينا ألا نقلق أو نتزعزع، يمكننا أن نواصل البحث، وبلورة السؤال، وفحص الكتب المتخصصة في المسائل العسيرة. من غير المحتمل أن يكون أي أحد، في الأسبوع الماضي، قد استنبط سؤالا قد يؤدي إلى انهيار المسيحية. فالعقول المستنيرة قد وصلت لما هي فيه من خلال الأسئلة المتعمقة في كل سن، ومن خلال إجابة هذه الأسئلة ببراعة.

coptic-books.blogspot.com

عندما نطلب الإجابات الكاملة لكل سؤال، فمن المحتمل أن هذا قد يقودنا إلى إدراك حقيقة مهمة وهي إننا لسنا الله!، فالله لم يكشف لنا كلية عن أفكاره ولم يعلن لنا جميع إجاباته لكل سؤال محتمل. «السرائر للرب إلهنا، والمعلنات لنا ولبنينا إلى الأبد». (تث ٢٩: ٢٩). وهذا ليس تهرب من الإجابة! فالله يعطينا أكثر من مجرد معلومات كافية لخلق أساس قوي لإيماننا وحياتنا. فالمسيحية مؤسسة على إيمان منطقي وعقلاني.

فإذا غمرتك فكرة فحص الدلائل، لا تخف. حيث أن مجموع الذين يحضرون الكلية أو الجامعة في الغرب يتكون من ٩٨٪ من الذين لا يدركون وجود الله. هنا يصبح من السهل التنبؤ بالأسئلة التي ستطرح خلال النصف ساعة المخصصة للأسئلة. وربما تنوعت تلك الأسئلة في الصياغة، ولكن كان مضمونها واحدًا. وقد ساعد هذا الثبات بشكل كبير في معرفة الأسئلة الرئيسية، ومعرفة أين أستطيع أن أزود من معرفتي، وكيفية بلورة الأفكار في هذا الكتاب.

إجابة للشخص المتشكك

يجب أن يتم تعريف المتشككين ومعرفة أين تكمن المشكلة. وحينها يكون اتخاذ القرار هو الخطوة التالية بعد سماع الإجابات على أسئلتهم. أما عدم اتخاذ قرار فمعناه رفض المسيحية. كما أن استمرار الشك بعد الاطلاع على المعلومات الكافية لا يعني الاستسلام، ولكنه يعني مواصلة البحث وفي النهاية الوصول إلى إجابة. «المسيحية ليست عبارة عن دواء جاهز ومسجل. بل أنها تدعو إلى شرح الحقائق، لتخبركم بما هو حقيقي مثل الكون. ولو كانت المسيحية غير حقيقية، فلن يريد أي شخص صادق ومحترم أن يؤمن بها، أما إذا كانت المسيحية حقيقية، فسيرغب كل

coptic-books.blogspot.com

شخص صادق ومحترم أن يؤمن بها... فستقوم المسيحية بعمل اتفاق جيد أفضل كثيرًا مما تتوقعه».

ويمكننا أن نثق من أن بحثنا الحقيقي سيلاقي نجاحًا. وسنقوم في الصفحات التالية بالتركيز على إجابات بعض الأسئلة الشائعة موضحين الحقيقة بشكل مباشر وصريح. ويمكنك أن تؤمن بالمسيحية، فهي حقيقية ومنطقية. وقد أعطانا الرب يسوع هذا التشجيع «أتيت لتكون لهم حياة، وليكن لهم أفضل» (يو١٠: ١٠).

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثاني

هل يوجد إله؟

لا يوجد سؤال أثار حيرة البشرية أكثر من ذلك السؤال العميق: هل يوجد إله؟ إنه سؤال راود ذهن كل شخص مفكر، والإجابة عليه سوف يكون لها تضمينات شديدة الاتساع على كل منا بغض النظر عن موقعنا في الحياة.

بينما كنا نعيش في دالاس، أقنعنا رجل مبيعات لمجموعة كتب «أعظم كتب العالم الغربي» بأن نشتري هذه المجموعة المكونة من ٢٤ مجلد. ومن بين أفكاره العظيمة التي تبلغ ١٠٢، بدأت أنا بالفكرة رقم ٢٩، وهي الله. بدأ المحرر «مورتيمر أدلر **Mortimer Adler** بهذا التفسير: «في كمية كبيرة من المراجع، وكذلك في العديد غيرها، هذا هو أكبر الفصول (في مقدمة فهرس الأفكار العظيمة). والسبب شديد الوضوح. وهو أن هناك الكثير جدًا من العواقب في الأفكار والأفعال التي تنتج عن تأكيد أو إنكار وجود الله أكثر عن الإجابة عن أي سؤال آخر جوهري».

ويستكمل أدلر حديثه لكي يشرح التضمينات العملية: «إن اتجاه الحياة الإنسانية بجملتها يتأثر بما يظنه الناس عن أنفسهم، هل هم الكائنات العليا في هذا الكون أم أنهم يعترفون بوجود كائن فائق عن البشر، وهم يرونه موضع مخافتهم وحبهم، هل هو مجرد قوى نتحداها أم سيد ورب نطيعه. وبين من يعترفون بوجود إله، هناك أمر يعنيهم بشدة وهو هل هذا الكائن الإلهي يمثله فقط مجرد مفهوم الإله، والذي

coptic-books.blogspot.com

هو محل تأملات الفلاسفة، أم يمثله الإله الحي الذي يعبده الناس في جميع أعمال التقوى التي تشكل طقوس الدين[1].

الله في أنبوب الاختبار

من الواضح تمامًا أننا لا يمكننا أن نفحص الله في أنبوب اختبار أو إثباته بواسطة المنهج العلمي المعتاد. علاوة على ذلك، يمكننا أن نقول بنفس اليقين إنه من غير الممكن البرهنة على وجود نابليون بواسطة المنهج العلمي. ويكمن السبب في طبيعة التاريخ نفسه وفي قصور ومحدودية المنهج العلمي. فمن أجل البرهنة على شيء بواسطة المنهج العلمي، لابد أن تكون قابلة للتكرار. لا يعلن العَالِم اكتشاف جديد على أساس اختبار واحد. غير أن التاريخ في جوهره الأساسي لا يمكن تكراره. فلا يمكن لأحد أن يعيد بدايات الكون أو يُرجِع نابليون أو يكرر عملية اغتيال لينكولن أو صلب يسوع المسيح. غير أن حقيقة كون هذه الأحداث لا يمكن البرهنة عليها بواسطة التكرار لا تدحضها أو تقلل من حقيقة حدوثها كأحداث وقعت في التاريخ.

هناك الكثير من الأشياء الحقيقية خارج بؤرة الفحص بواسطة المنهج العلمي. لا شك أن المنهج العلمي نافع فقط مع الأمور المادية التي يمكن قياسها. لكن لا يوجد من رأي من قبل ثلاثة أمتار من المحبة أو كيلو عدالة، غير أننا سنكون حمقى بالفعل إذا أنكرنا حقيقة وجود هذه الأشياء. لذا فإن الإصرار على ضرورة إثبات وجود الله بواسطة المنهج العلمي يشبه الإصرار على استخدام التليفون لقياس النشاط الإشعاعي.

coptic-books.blogspot.com

الأبدية في قلوبنا

ما هو الدليل المتاح أمامنا عن وجود الله؟ لقد أوضحت الدراسات الأنثروبولچية (المتعلقة بعلم أصول الإنسان) أن ثمة اعتقاد عالمي بوجود الإله، هذا الاعتقاد يسود بين أكثر الشعوب المتباعدة حتى الآن. وفي الحقب التاريخية المبكرة وفي أساطير الشعوب في جميع أنحاء العالم كان المبدأ الأساسي والأولي هو الإله الواحد، الذي هو الخالق. ويبدو أن هذا الإله الأصلي العالي كان متواجدًا في وعي الشعوب حتى في تلك المجتمعات التي تؤمن في الوقت الحالي بتعددية الآلهة. وبغض النظر عن الإضافات الخارجية الأخرى التي أضيفت إلى هذا الإله المجهول، فإن فكرة الإله الواحد قد ظلت صامدة.

وفي الخمسين سنة الماضية، تحدت الأبحاث المبدأ التطوري لتطور الأديان. والذي فيه يُنظَر إلى الوحدانية – وهي مفهوم الإله الواحد – باعتبارها ذروة التطور التدريجي الذي بدأ بمفاهيم تؤمن بتعددية الآلهة. ومع الوقت يزداد الأمر وضوحًا إذ أن أقدم التقاليد في كل الأماكن كانت تؤمن بالإله الواحد السامي[٢]. وقد أشار كاتب سفر الجامعة إلى الله باعتباره «جعل الأبدية في قلبهم» (جا ٣: ١١).

أما بليز باسكال، عالم الرياضيات الشهير من القرن السابع عشر، فقد كتب عن «الفراغ الذي على صورة الله» الموجود في داخل كل شخص. وتوصل القديس أغسطينوس إلى أن «قلوبنا مضطربة إلى أن تستريح في الله».

تظهر الأدلة أن الغالبية العظمى من البشرية، في جميع الأوقات وكل الأمكنة، أمنت بشكل ما بإله أو آلهة. رغم أن هذه الحقيقة ليست برهانًا قاطعًا بأي كيفية،

coptic-books.blogspot.com

إلا أنها بداية لنقطة مرجعية يجب أن نضعها في أذهاننا بينما نحاول أن نجيب على هذا السؤال الكبير.

قانون العلة والنتيجة

في البداية، دعنا نتفكر في قانون العلة والنتيجة. لا يوجد أي نتيجة يمكن أن تحدث دون وجود علة أو سبب وراءها. إذا وجدت ملحوظة على بابك، فبالتأكيد هناك شخص وضعها. الدهان على الحائط، لابد من وجود من دهنه. لا شيء يأتي من العدم! إننا باعتبارنا كائنات بشرية بل والكون نفسه أيضًا مجرد نتائج لابد أن هناك علة أو سبب هو الذي أوجدها. ونَصِل في النهاية إلى سبب أو علة بلا سبب، وهو الله.

المتشكك الشهير برتراند راسل يذكر عبارة مذهلة في كتابه «لماذا لستُ مسيحيًا». إنه يقول إنه عندما كان طفلاً، تم تقديم «الله» له باعتباره الإجابة على الأسئلة الكثيرة التي أثارها عن الوجود. فسأل بإحباط: «حسنًا، فمن إذن خلق الله؟» ويقول إنه عندما لم يتلق أي إجابة، «انهار إيمانه بجملته». وللأسف، فإنه خبرته هذه تعد خبرة شائعة لدى الكثيرين، إلا أنها تفشل في الإجابة على السؤال المشتعل.

الله، الخالق، البادئ، هو بتعريفه أبدي، وهو غير مخلوق، إنه كائن بذاته. لو كان الله كائنًا مخلوقًا، لما كان علة، بل كان مجرد نتيجة. وعندها لما كان يصلح أن يكون هو الله.

الكاتب والمحاضر ر. س. سبرويل يشرح قائلاً: «لكون الله أبديًا، فهو لذلك ليس نتيجة. وحيث أنه ليس نتيجة، فإنه لا يستلزم علة. إنه بلا علة. من الضروري ملاحظة

coptic-books.blogspot.com

الاختلاف بين الكائن الأبدي الذي بلا علة، الموجود بذاته، وبين النتيجة التي تسبب نفسها بواسطة الخلق الذاتي»[٣].

الوقت اللانهائي زائد الفرصة؟

لا أحد يعتقد أنه يمكن أن يظهر جهاز كمبيوتر دون أن يكون هناك مصمم ذكي هو الذي صنعه. ومن غير المحتمل أن يقوم قرد بكتابة رواية "كليلة ودمنة" على الكمبيوتر بمفرده. فإذا وجدنا نسخة من هذه الرواية، سنستنتج أن هناك شخصًا عاقلاً هو التفسير الوحيد الممكن وراء هذه الكتابة. فكم بالأحرى يكون من غير المقبول أن نصدق أن هذا الكون، بكل ما فيه من تعقيد غير محدود، يمكن أن يكون قد وُجِدَ بالمصادفة؟!

فعلى سبيل المثال، الجسم الإنساني يمثل منظومة حية شديدة التعقيد والإبداع، إنه معجزة مستمرة في التصميم والتنظيم والفعالية. لقد تعجب ألبرت إينشتاين من هذا الأمر بشدة حتى إنه قال: «تتكون ديانتي من تبجيل متضع للروح الإلهي العظيم الذي أعلن نفسه في التفاصيل الدقيقة التي صرنا قادرين على استيعابها بعقولنا الهشة الضعيفة. إن هذا الإدراك القلبي العميق بتواجد قوة علوية عاقلة، أعلنت نفسها في هذا الكون الذي لا يمكننا أن نستوعب عظمته، هذا الإدراك هو الذي يشكل فكرتي عن الله»[٤]. وللعلم، فإن إينشتاين لم يتقدم في إيمانه إلى أن بلغ الإيمان بوجود إله شخصاني.

هناك اختياران أساسيان يمكن للمسيحيين ولغير المسيحيين الاختيار بينهما: هل بدأ الكون والبشرية بالمصادفة أم نتيجة لهدف وتصميم مُسبَق؟

لقد اعتمد العلماء لفترة طويلة على التفسير الذي يسمى بالزمن غير المحدود

coptic-books.blogspot.com

بالإضافة إلى المصادفة لتعليل أصل الحياة. ووجهة نظرهم هذه تتجنب الخلاصات غير المقبولة التي تقول بوجود مسبب إلهي. غير أن هذه العملية نفسها تستلزم وجود افتراضات وشروط مُسبقة بدونها يتعثر أن تنشأ الحياة. إذ لكي تنشأ الحياة بحسب هذا التفسير لابد أن تكون هناك:

- سحاب كثيف أساسي مُعد بصورة نموذجية
- رجات متكررة من شحنات كهربائية
- فترة زمنية غير محدودة – دهور ودهور

وبعد ذلك فإن أشكال الحياة سوف تتطور. غير أن الصعوبات التي تثيرها هذه النظرية كثيرة للغاية حتى أن هؤلاء العلماء أنفسهم اليوم يبرزون بصراحة نقاط ضعفها.

الفلكي الشهير سير فرد هويل قدم اقتراحًا بقياس تمثيلي لتوضيح هذه الصعوبات. إذا سأل: «كم يتطلب من الوقت لكي يقوم شخص معصوب العينين بحل لعبة مكعب روبيك*؟». فإذا قام هذا الشخص بحركة واحدة في الثانية، دون راحة، فبحسب تقدير هويل سوف يتطلب الأمر ١,٣٥ تريليون سنة! ولذلك فإنه يتوصل إلى أنه عندما تفكر في متوسط الأعمار المتوقعة للكائن البشري، فإن الشخص المعصوب العينين لا يمكنه أن يحل مكعب روبيك لو قضى فيه طوال حياته.

ثم يشرح هويل أن نفس الصعوبة سوف تواجه التكوين عن طريق المصادفة لواحدة فقط من سلاسل عديدة للأحماض الأمينية في الخلية الحية التي يكون فيها

* لعبة من ألعاب تنمية الذكاء والمهارات وهي عبارة عن مكعب له ستة أوجه وكل وجه به تسعة مربعات. وحل اللعبة هو ترتيب المكعب بحيث يكون كل وجه من وجوه المكعب بلون واحد. (المترجم).

coptic-books.blogspot.com

حوالي ٢٠٠٠٠٠ من مثل هذه الأحماض الأمينية. فإذا قمت بحساب الوقت اللازم للحصول على جميع الأحماض الأمينية الـ ٢٠٠٠٠٠ في الخلية الإنسانية لكي تأتي معًا بالمصادفة، سوف يكون ذلك حوالي ٢٩٣,٥ مرة من العمر المُقَدّر لكوكب الأرض (والذي بلغ ٤,٦ مليار سنة). الفرق ضد حدوث هذا سوف تكون أكثر بكثير من احتمالية أن يقوم شخص معصوب العينين بمحاولة حل مكعب روبيك!

وفي تمثيل آخر يدعم به هويل حجته. يشبه هذا بعقلية «مقبرة السيارات» ويسأل: «ما هي احتمالات أن يهب إعصار ويعصف بمقبرة سيارات تحتوي على جميع أجزاء طائرة بوينج، أن يقوم مصادفة بتجميعها معًا وتحويل هذه الأجزاء إلى طائرة جاهزة للإقلاع؟» ويجيب هويل: «الاحتمالات ضئيلة للغاية ولا تُذكر حتى لو أن هذا الإعصار عصف بمقبرة سيارات بحجم الكون كله!».

في كتابه البارز «الكون العاقل»، يتوصل هويل إلى أن «كلما اكتشف علماء الكيمياء الحيوية أكثر وأكثر بشأن مدى التعقيد المبدع والرائع في الحياة، زاد ذلك من وضوح أن احتمالات أن تكون نشأة الحياة مصادفة لا تزيد عن كونها احتمالات تافهة وضئيلة للغاية يمكنهم استبعادها بالكامل. إذ لا يمكن أن تكون الحياة قد ظهرت بالمصادفة»[٥].

النظام والتصميم في الكون

عندما نتحدث عن التصميم باعتباره نقيض للصدفة، نحن بذلك نشير إلى الأجزاء الظاهرة من عالمنا، أصغر النيترونات والبروتونات، وأكبر المجرات. من أو ما الذي أعطى المواصفات والمعلومات الأصلية التي جمعت كل الأشياء معًا؟ وهذه المعلومات هي ما نقصده بكلمة تصميم. سيكون من الممكن مقارنة ذلك بالخطة

coptic-books.blogspot.com

الأصلية التي أخذت زجاج ومعادن وبعض الأشياء وشكلت هذه المواد من أجل تصنيع تليفزيون صالح للاستخدام. لن يفكر أحد في اقتراح أن «الاختيار الطبيعي» أو التجمع الذاتي هو المسئول عن إنتاج مثل هذا المنتج. وبالفعل، فإن مصطلح «الاختيار الطبيعي» لن يكون تفسيرًا، بل سيكون مجرد شعار. فهو لن يخبرنا كيف عرفت هذه الأجزاء ما يكفي لكي تتجمع معًا لأجل الوصول إلى غاية نافعة. لابد أن شخصًا لديه المعلومات التي نسقت هذه الأجزاء لكي تصنع منها جهاز التليفزيون.

وبنفس الطريقة، فإن الأنظمة الطبيعية في كوننا تعلن بجلاء أن هناك شخصًا صمم وصاغ التعليمات على الأجزاء المفردة لكي تنتج العالم الذي نراه. ويقترح د. روبرت جانيو أنه سيكون من المقبول أن نقول إن هذا الكون مُصمم بصورة متعمدة. فإذا كان هناك شخص يمكنه أن يزعم أن الكائنات الحية يمكن إرجاعها وتعقبها إلى الخصائص الطبيعية للجسيمات الأصغر من الذرة، هنا تظهر بعض الأسئلة التي يجب الإجابة عليها:

- كيف ظهرت هذه الجسيمات؟
- ما الذي يجعل للإلكترون شحنته الكهربائية وكتلته الدقيقة بالضبط؟
- من أو ما هو الذي ثبت قيمة الجاذبية الأرضية باستمرار؟
- لماذا ينتقل الضوء بنفس السرعة تمامًا في كل مرة؟[٦].

من بين الأمثلة الوفيرة التي يمكننا الاستشهاد بها عن التصميم المتعمد، دعنا نفكر في الصفات المميزة للمياه. ويعدد د. هندرسون بعض من هذه السمات التي تشير ضمنًا إلى فكرة التصميم العمدي.

coptic-books.blogspot.com

الأرض نفسها دليل على التصميم الدقيق. «فلو أنها كانت أصغر كثيرًا، فإن سوف يتعذر وجود غلاف جوي للأرض (كما على كوكب عطارد والقمر)؛ ولو أنه أكبر كثيرًا فإن الغلاف الجوي سوف يحتوي على هيدروجين حر (كما في المريخ وزحل). كما أن بعد كوكب الأرض عن الشمس محدد بدقة – حتى أن مجرد وجود تغيير بسيط كان سوف يجعل الأرض شديدة الحرارة أو شديدة البرودة. كما أن قمرنا – وهو على الأغلب المسئول عن أحواض القارات والمحيطات، متفرد في نظامنا الشمسي ويبدو أنه قد تكون بطريقة مختلفة تمامًا عن الأقمار الأخرى الأصغر نسبيًا. علاوة على أن ميل محور الأرض هو الذي يضمن فصول السنة»[٨].

ويمكن رؤية أمثلة أخرى مذهلة في حياة الأشياء، ومن بينها الإنسان. فهناك حوالي أحد عشر مليون نوع من الحياة على الأرض، وكل واحد منها يمثل معجزة حية. إنها نتاج تعقيدات نظامية عاقلة على المستوى الجزئي تجعلنا نشعر بالذهول. فلنفكر في العين البشرية. يشير اللاهوتي الإنجليزي وليم بالي إلى «التكامل الفعال والتوائم بين العدسات وشبكية العين والمخ؛ مما يمكن الإنسان من الرؤية؛ وهذه دليل حاسم على وجود تصميم لخالق كلي الحكمة. لذلك فإننا نأخذ التصميم الوظيفي للكائنات الحية وملامحهم كدليل على وجود هذا المصمم»[٩].

حتى دارون نفسه في أحد فصول كتابه «أصل الأنواع» تحت عنوان «صعوبات مع النظرية» يقول: «يبدو لي إن الافتراض بأن العين، بكل ما فيها من أجزاء عديدة تعمل معًا... يمكن أن تكون قد تكونت بواسطة الاختيار الطبيعي، أعترف بحرية، بأنه افتراض سخيف بكل معنى الكلمة».

يقول ريتشارد لونتين خريج جامعة هارفارد والمؤمن بنظرية التطور إن الكائنات

coptic-books.blogspot.com

الحية «يبدو أنها مصممة بعناية وبشكل متقن» وهو يدعو كمال الكائنات الحية «الدليل الرئيسي على وجود المصمم الأعلى»[١٠].

الكون له بداية

بالإضافة إلى تصميم الكون، هناك معنى ضمني أن الكون له بشكل ما بداية، أي لحظة من الوقت جاءت بالعالم إلى الوجود. يصف الكتاب المقدس هذه اللحظة قائلاً: «من قدم أسست (يارب) الأرض والسماوات هي عمل يديك» (مز ١٠٢: ٢٥).

لقد تجنب العلماء فكرة أن الوقت له بداية أو نهاية طالما أن ذلك يفترض وجود تدخل إلهي. وعبر السنين تطورت عدد من النظريات البديلة.

• من بين المحاولات نموذج «الخلق المستمر/الوضع الثابت» للكون الذي اقترحه هيرمان بوندي وفرد هويل وتوم جولد سنة ١٩٤٨. وقد وصف د. جيمس بروكس هذا النموذج قائلاً: «في نموذج الوضع الثابت، يفترض أنه بينما تتحرك المجرات بعيدًا أكثر عن بعضها، تتكون مجرات جديدة فيما بينها، وذلك بسبب أن الكون يُخلَق باستمرار. ولذلك فسيبدو الكون بنفس الشبه بدرجة أو بأخرى في كل الأوقات وسيكون مصيره ثابتًا تقريبًا. هذا النموذج المتصور يقترح أن المادة (في شكل هيدروجين) تُخلق باستمرار من العدم، وتغير مسارها من أجل أن تقاوم تخفيف المادة والذي يحدث حينما تتباعد المجرات عن بعضها البعض»[١١]. والخلاصة التي يتوصل إليها من هذا ومن عناصر أخرى أن الكون ليس له بداية وليس له نهاية.

أما د. روبرت جاسترو، مؤسس معهد ناسا لعلوم الفضاء، فيوضح أن العكس هو الصحيح. ففي اللحظة التي يولد فيها نجم، فإنه يبدأ في استهلاك بعض الهيدروجين

coptic-books.blogspot.com

في الكون، وثمة تخفيف مستمر لكل من الهيدروجين والمعادن الأكثر ثقلاً في الكون اليوم. وهو يتوصل إلى أن نظرية الكون الأبدي لا يمكن الدفاع عنها[١٢].

· تفسير آخر يعرضها العلماء لبداية الكون أُطلِق عليه اسم «نموذج التذبذب». وهذا التفسير يقول إن الكون يشبه نبع المياه، يتسع ويتضاءل، ويكرر الحلقة على نحو غير محدد. ويكمن أساس هذه النظرية في أن الكون «مغلق»، أي لا توجد طاقة جديدة تدخل إلى حيزه. إن تمدد المواد سوف يصل إلى نقطة محددة وقوة الجاذبية الأرضية تجذب كل شيء معًا قبل التمدد من جديد. غير أن كل الدلائل تدحض هذه النظرية؛ فمن الواضح تمامًا أن الكون يفقد كثافته بدون أي علامة على أن هذا التمدد المستمر سوف ينعكس في أي وقت، ولذلك فهو ليس مغلقًا.

يقدم د. وليم كريج خلاصته بشأن هذين النموذجين بقوله: «كل من نظرية الوضع الثابت والتذبذب بالنسبة للكون تفشل في التوافق مع حقائق علم الكونيات الملاحظة. ولذلك يمكننا التوصل من جديد إلى أن الكون بدأ في الوجود»[١٣].

· هناك رأي ثالث بشأن بداية الكون، وهذا الرأي بات معروفًا باسم نظرية «الانفجار العظيم». لقد عين د. إدوين هوبل سرعة المجرات وأكد أن جميع المجرات تتحرك بعيدًا عنا وبعيدًا عن بعضها البعض بسرعة مدهشة. والقانون الذي يحمل اسمه ينص على أن: كلما كانت المجرة بعيدة، زادت سرعة تحركها.

المعنى الضمني المذهل في هذه النظرية هو أنه في لحظة من الزمن كانت جميع المواد محتشدة في كتلة ذات كثافة هائلة في درجة حرارة بلغت الكثير من تريليونات الدرجات. العلماء الذين لاحظوا هذه الظاهرة وضعوا نظرية تقول بأن الكون لابد

coptic-books.blogspot.com

أنه كان في الأصل ممثلاً في كرة نارية بيضاء ساخنة في اللحظات الأولى تمامًا بعد حدوث الانفجار العظيم.

جاء التأكيد على هذه النظرية في سنة ١٩٦٥ عندما قام عالما فيزياء باكتشاف مذهل أثبتا فيه أن الأرض كانت غارقة تمامًا في وهج ضعيف من الإشعاعات. وقد اتبعت موجاتها النموذج الدقيق للطول الموجي المتوقع في الانفجارات الهائلة. ومنذ ذلك الحين، أعاد العلماء تأكيد أنه قد لا يكون هناك أي تفسير آخر ملحوظ غير أن هذه الموجات الإشعاعية كانت نتيجة للانفجار العظيم.

قبل الانفجار العظيم

يُعلق د. روبرت جاسترو، الذي أعلن أنه يتخذ موقفًا لا أدريًا فيما يتعلق بالأمور الدينية، على نظرية الانفجار العظيم قائلاً:

الآن صرنا نرى كيف أن الأدلة الفلكية تقود نحو المنظور الكتابي لأصل العالم. تختلف التفاصيل، لكن العناصر الأساسية في الروايتين الفلكية والكتابية في سفر التكوين هي نفسها. سلسلة الأحداث التي تؤدي في النهاية إلى الإنسان تبدأ فجأة وبشكل حاد في لحظة محددة من الزمن، في ومضة نور وطاقة.

تقليديًا كان العلماء يرفضون فكرة الظاهرة الطبيعية التي لا يمكن تفسيرها، حتى مع الوقت والمجال غير المحدود. هناك نوع من الدين في العلم؛ فكل حدث يمكن تفسيره بطريقة عقلانية باعتباره نتيجة لبعض الأحداث السابقة؛ وكل تأثير لابد أن يكون له مسبب. غير أن العلم الآن أثبت أن الكون انفجر إلى الوجود في لحظة زمنية محددة. وهو يسأل: «ما هو السبب الذي أنتج هذا الأثر؟ من أو ما الذي وضع المادة

coptic-books.blogspot.com

والطاقة في هذا الكون؟» والعلم لا يجيب هذه الأسئلة.

ويختتم جاسترو حديثه بهذا التصريح البارز:

بالنسبة لعالِم عاش مؤمنًا بقوة العقل والمنطق، تأتي نهاية القصة مثل كابوس. فقد تسلق جبال الجهل؛ وكان موشكًا على الانتصار على أعلى القمم؛ وبينما يرفع ليضع قدمه فوق أعلى صخرة في الجبل، يجد في انتظاره فوق القمة مجموعة من اللاهوتيين الذين جلسوا على القمة منذ قرون[١٤].

في نظر كثيرين، يعتبر هذا تطورًا غريبًا جدًا، وهو غير متوقع من الجميع فيما عدا اللاهوتيين. إذ أنهم دائمًا ما قبلوا كلمة الله في الكتاب المقدس، أنه في البدء خلق الله السماوات والأرض.

وأحد هؤلاء اللاهوتيين، ويدعى داود، قال عن علم: «السماوات تحدث بمجد الله؛ والفلك يخبر بعمل يديه» (مز ١٩: ١). كما كتب بولس الرسول: «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم لأن منذ خلق العالم ترى أموره غير المنظورة وقدرته السرمدية ولاهوته مدركة بالمصنوعات حتى إنهم بلا عذر» (رو ١: ١٩– ٢٠). وأضاف القديس أغسطينوس على ذلك قائلاً: «من يمكنه أن يفهم هذا السر أو يشرحه للآخرين؟».

البرهان الأخلاقي

ويبقى هناك برهان آخر على وجود الله وهو ما يدعوه الكاتب الكبير سي. أس. لويس «الصواب والخطأ كمفتاح لمعنى الكون». هناك تأثير أو وصية داخل كل منا وهذا التأثير يحاول أن يجعلنا نسلك بطريقة معينة. ويشرح لويس أنه بشكل عام

coptic-books.blogspot.com

نجد أشخاصًا يلجئون عمومًا إلى نوع من الشعور بالصواب والخطأ. ويتجادل الناس مع بعضهم البعض قائلين: «هذا هو مقعدي. لقد جلست عليه قبلك! تخيل أنني عملت نفس الشيء بك! كيف سيكون رد فعلك تجاهها؟ حسنًا، لقد وعدت». المتعلمون مثلهم في ذلك مثل غير المتعلمين والأطفال مثل الكبار جميعهم يقولون أشياء مثل هذا كل يوم.

في هذه الحجج يتم الاستناد إلى بعض المعايير السلوكية التي يُفتَرَض أن الشخص الآخر سوف يقبلها. ويكون لدى الشخص أسباب منطقية للقيام بذلك. فمن المقبول القيام بذلك.

اللجوء يكون إلى قانون أو قاعدة للعب النظيف أو الأخلاق وهذا القانون راسخ لدى الشخصين. ونادرًا ما يقول الشخص الآخر: «أنا لا يعنيني معاييرك؟» فهذا الأمر يكون مشتركًا بينهما. إنهما لا يشككان فيه. كما يقول لويس: «الصراع يعني محاولة إظهار أن الشخص الآخر مخطئًا».

ينبغي أن يتعامل هذا القانون مع ما يجب أن يحدث. فبشكل ما نحن نعرف ذلك بداخلنا. إنها ليست مجرد منظومة من العادات الثقافية أو المعايير الثقافية. كذلك فهناك إجماع مدهش ينتقل من حضارة إلى حضارة بشأن اللياقة الأخلاقية. ونحن جميعًا نتفق أن بعض الأخلاقيات أفضل من البعض الآخر. «إذا لم يكن هناك مجموعة من الأفكار الأخلاقية أكثر صحة أو أفضل من البقية، فلن يكون هناك أي معنى لتفضيل الأخلاقيات المتحضرة عن الأخلاق الهمجية، أو الأخلاق المسيحية عن الأخلاق النازية»[١٥].

يقول لويس إن القانون الأخلاقي لا يمكن أن يكون مجرد ميثاق أو عرف

coptic-books.blogspot.com

اجتماعي، لكنه يشبه أكثر جدول للحسابات الرياضية. لن نقول أبدًا إن الجدول الرياضي مجرد عُرف اجتماعي تم ابتكاره لمساعدتنا وأنه كان باستطاعتنا القيام بالأمر بشكل مختلف لو أننا أردنا ذلك. إن حاصل جمع ٢ + ٢ سوف يظل ٤ بغض النظر عن الثقافة المحيطة. لذلك، فلو كان هناك قانون أخلاقي، فلابد أن يكون هناك مُشَرِّع أو مانح لهذا القانون. ويصف الكتاب المقدس الإنسان باعتباره مخلوقًا على صورة الله، وهو بذلك يميز الإنسان على بقية المخلوقات. وتأتي هذه الصورة الأخلاقية معًا منذ لحظة الولادة بغض النظر عن أصلنا أو جنسيتنا. لا يمكننا أن نسمع حيوانًا أليفًا يسأل: «هل هذا صواب أم خطأ؟» أو «هل هذا جيد أم سيئ؟». فمثل هذه الأفكار هي أمر مميز فقط للكائنات البشرية، وبالنسبة للبشر فإن الصورة الأخلاقية ليست أمرًا اختياريًا.

نعم، هناك شخص وراء الكون. وهو الله الذي لديه عقل وعواطف وضمير وإرادة ذاتية – أي أنه يتمتع بشخصانية كاملة. هذه المقومات منحنا إياها عندما خلقنا، ومن بينها القانون الأخلاقي. فهو مهتم للغاية بالسلوك الصحيح – بالسلوك بالعدل، وعدم الأنانية والشجاعة والإيمان الجيد والأمانة والصدق.

«الذين يظهرون عمل الناموس مكتوبًا في قلوبهم شاهدًا أيضًا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة» (رو ٢: ١٥)

الله: مفسد البهجة السماوي

من المهم هنا أن نلاحظ أنه على الرغم من وجود الكثير من المؤشرات على وجود الله في الطبيعة، إلا أنه لا يمكننا على الإطلاق معرفة وجود الله وصفاته بشكل

coptic-books.blogspot.com

حصري من خلال الطبيعة. لقد طُرِحَ هذا السؤال منذ قرون مضت، «أإلى عمق الله تتصل؟» (أي ١١: ٧). والإجابة هي لا! إلا إذا أعلن الله ذاته، ودون ذلك لن يكون أمامنا سوى التشوش والتخمين.

من الواضح أنه بين هؤلاء الذين يؤمنون في الله ثمة أفكار عديدة تنتشر باتساع اليوم بشأن ما هي صفات الله.

على سبيل المثال، البعض يؤمن بأن الله مفسد بهجة سماوي. وهم يرونه كأنه يتطلع من شرفة السماوات بحثًا عن أي شخص يبدو أنه يستمتع بالحياة. وعندما يجد مثل هذا الشخص، فإنه يصرخ عاليًا: «اقطعوه فورًا».

البعض الآخر يعتقد أن الله يشبه الجد العاطفي الذي في السماء، فهو يتأرجح باعتدال ويمسك لحيته الطويلة ويقول: «الأطفال سيظلون أطفالاً». وكل شيء سوف يتم على أكمل وجه في النهاية، بصرف النظر عما فعلته، لأن هذا أمر مُسلّم به نتيجة لاتجاه الله العام نحو الناس.

وهناك من يعتقدون أن الله كرة كبيرة من النار ونحن مجرد ومضات ضئيلة سوف ننجذب في النهاية إلى الكرة النارية الكبيرة. ويظل البعض الآخر، مثل إينشتاين، يعتقدون أن الله قوة أو عقل غير شخصاني أي ليس شخصًا بل مجرد قوة.

بالنسبة للشخص الربوبي، خلق الله العالم لكنه لم يتدخل بعد ذلك فيه على الإطلاق. لقد بدأ العملية، لكنه الآن يشاهدها وهي تسير دون أن يفعل أي شيء.

ولكن بالنسبة للمؤمن بالله الواحد، فإنه يرى الله بأنه الخالق والحاكم؛ وهو

coptic-books.blogspot.com

يتدخل بصورة شخصية في حياة خليقته ويعلن عن نفسه.

هربرت سبنسر، أحد دعاة مذهب اللاأدرية منذ حوالي قرن مضى، لاحظ بشكل صائب أن طائر لم يُعرف عنه أبدًا أنه يطير مخترقًا الفضاء الخارجي. لذلك، توصل إلى أنه بالمثل من المستحيل على المحدود أن ينفذ إلى غير المحدود. فحتى لو أن الله موجود بالفعل فلا يمكننا أبدًا أن نعرفه بصورة شخصية أو نعرف أي شيء عن وجوده.

لقد كان سبنسر محقًا عندما لاحظ أن الطيور لا تُحلق خارجًا إلى الفضاء الخارجي. كانت ملاحظته صحيحة، لكن الخلاصة التي توصل إليها افتقرت إلى بديل محتمل آخر شديد الأهمية: وهو أن الله، الخالق غير المحدود، يمكنه أن يخترق عالم محدوديتنا، غير المحدود يمكنه اختراق المحدود، وبالتالي يمكنه أن يتواصل معنا وينقل لنا حقيقته فعلاً. وهذا، بالطبع، ما فعله الله.

الله اخترق العالم المحدود

كما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «الله، بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثًا لكل شيء، الذي به أيضا عمل العالمين» (عب ١: ١– ٢).

لقد أخذ الله المبادرة فعلاً عبر التاريخ لكي يتواصل مع الإنسان. وإعلانه الكامل تجلى في اختراقه للتاريخ البشري في شخص يسوع المسيح. وهنا، فيما يتعلق بالشخصية الإنسانية، يمكننا أن نفهمه لأنه عاش بيننا.

إذا كنت ترغب في توصيل محبتك لمستعمرة من النمل، كيف يمكنك أن تفعل هذا

coptic-books.blogspot.com

بأقصى فعالية؟ من الواضح أن أفضل الحلول هو أن تصير أنت نفسك نملة. فبهذه الطريقة وحدها يمكن لوجودك وصفاتك أن يتم تُنقَل بصورة كاملة وفعالة. مع الفارق الكبير بين الأمرين هذه يصور ما فعله الله لنا لكي يجعل نفسه معروفًا بوضوح لنا. فكما قال ج. ب. فيلبس عن حق: «إننا الكوكب الذي تعرض للزيارة». أفضل وأوضح إجابة للسؤال عن كيف نعرف أن هناك إلهًا تكون في أن هذا الإله قد زارنا. والمؤشرات الأخرى التي ناقشناها مجرد مفاتيح لننتبه إليها. ولكن ما يؤكدها تمامًا هو ميلاد وحياة وموت وقيامة يسوع المسيح.

غير المرئي لا يعني غير الحقيقي

الحياة التي تتغير

هناك دليل آخر على حقيقة وجود الله في حضوره الواضح في حياة الرجال والنساء اليوم. فحيثما يكون هناك من يؤمن ويثق بيسوع المسيح، نجد تغيير جوهري يحدث في حياة الأفراد وفي النهاية الجماعات. ومن بين الأمثلة المؤثرة للغاية على ذلك نجد تسجيلها بواسطة إرنست جوردون، وهو أسير حرب الذي صار فيما بعد قسًا في جامعة برنستون. ففي كتابه عبر وادي كواي يخبرنا كيف، أثناء الحرب العالمية الثانية، كان الأسرى لدى الجيش الياباني في شبه جزيرة مالاي ينحدرون حتى صاروا كالحيوانات تقريبًا، فهم يسرقون الطعام من الآخرين الذين يتضورون جوعًا. وفي وسط إحباطهم، قرر الأسرى أنه سيكون من الجيد أن يقرأوا العهد الجديد.

وحيث أن جوردون كان خريجًا من الجامعة، طلبوا منه أن يقودهم. وهو نفسه كان يعترف أنه متشكك في وجود الله، ومن طلبوا منه قيادتهم كانوا غير مؤمنين

coptic-books.blogspot.com

أيضًا. ولكنه هو والآخرين جاءوا للثقة في المسيح عندما عرفوه بكل جماله وقوته من خلال البساطة المنظمة الموجودة في العهد الجديد. كيف هذه الجماعة من البشر الضعفاء الباحثين تحولوا إلى جماعة محبة، فهذه قصة مؤثرة وقوية توضح بجلاء حقيقة الله في يسوع المسيح. والكثيرون اليوم أيضًا، بمصطلحات أقل إثارة، قد اختبروا هذه الحقيقة نفسها.

لذا، فهناك دليل مقنع من الخليقة والتاريخ والحياة المعاصرة أن هناك إلهًا، وهذا الإله يمكن أن يكون مُخْتَبَرًا بشكل شخصي.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثالث

هل المسيح هو الله؟

إذا لم يأخذ الله زمام المبادرة ويعلن لنا عن نفسه، فمن المستحيل أن نعرف بشكل قاطع إذا كان الله موجودًا وكيف يبدو. وإن لم يأخذ الله زمام المبادرة ليعلن لنا عن نفسه فسنكون عرضة للتخمين والحدس، والرأي غير السليم، أو حتى سنكون عرضة للمحاباة والتمييز. فمن المنطقي أن نسأل كيف يكون الله وما هو موقفه تجاهنا. فإذا كنا متأكدين من أنه موجود ولكننا علمنا أنه يبدو مثل أدولف هتلر متقلب الأطوار وقاسي ومتحيز وشرير، فيا لها من حقيقة رهيبة!.

إن إلقاء نظرة سريعة على التاريخ قد تعطينا بعض المفاتيح عن إعلان الله عن نفسه. وإحدى تلك المفاتيح الواضحة شهير جدا. ففي قرية مغمورة منذ ألفي عام في فلسطين، ولد طفل قيل إنه «ملك اليهود»، ولكن ميلاده كان مهددًا بحكم الملك هيرودس. وفي محاولة لقتل هذا الطفل، والذي قيل إنه «ملك اليهود»، أعطى هيرودس أوامره بقتل جميع الأولاد المولدين في بيت لحم من سن سنتين وأقل. ولكن أمله في قتل أي منافس قد ضاع هباءً. وقد سمي هذا في التاريخ باسم «مذبحة الأبرياء» (مت ٢: ١- ١٨).

وقد قسم ميلاد المسيح التاريخ إلى حقبتين. فقد كُتِبَ لحياة هذا الطفل أن تغير التاريخ وتكون نقطة فاصلة في تاريخ البشرية. إن مجيئه منذ ألفي عام غير العالم وغير التقويم. وهذا التاريخ يعترف به ويستخدمه حتى الملحدين. كما أن جميع

coptic-books.blogspot.com

حكام البلاد شرقًا وغربًا، بغض النظر عن دياناتهم، يستخدمون عام ميلاد المسيح التقريبي. وبدون تفكير، نحن نكتب ميلاده على الخطابات، والوثائق القانونية، وفي سجلات التاريخ. وفي اليوم الذي سننسى فيه ميلاده، سوف تنهار أشياء كثيرة من حولنا.

ومازلنا حتى يومنا هذا نحتفل بميلاد هذا الطفل، والذي كان والداه يعيشان في مدينة الناصرة، حيث تعلم هناك النجارة والتي كانت مهنة والده الأرضي. ومنذ البداية كان يسوع طفلاً مختلفًا. فعندما كان في الثانية عشر من عمره أذهل المعلمين والحاخامات بأسئلته في هيكل أورشليم. وقد احتج والداه عليه لأنه ظل في الهيكل بعدما رحلا، ولكنه أجاب إجابة غامضة «ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي؟» (لو٢: ٤٩). وقد أشارت إجابته هذه إلى علاقة فريدة بينه وبين الله.

عاش هذا الشاب في الخفاء حتى بلغ الثلاثين من العمر، ثم بدأ خدمته العلانية والتي استمرت لثلاثة أعوام. وقد عُرِف بأنه شخص عطوف، كما قيل لنا إن «عامة الناس كانوا يستمعون له بسرور». وتميز يسوع عن المعلمين في أيامه بأنه "كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة». (مت ٧: ٢٩).

يسوع قال إنه ابن الله

سريعًا ما بدا من الواضح بعدة طرق أن يسوع كان يقول عن نفسه أشياء مذهلة تسبب الصدمة. فقد بدأ يعرف نفسه بأكثر من مجرد معلم مشهور أو مجرد نبي. كما بدأ يقول بوضوح إنه هو الله. فقد جعل يسوع هويته هي النقطة المحورية لتعليمه وكان السؤال الأكثر أهمية الذي كان يسأله للذين يتبعونه: «أنتم من تقولون أني أنا»؟ وقد أجاب بطرس على هذا السؤال «أنت هو المسيح، ابن الله الحي» (مت

coptic-books.blogspot.com

١٦: ١٥، ١٦). ولم يندهش يسوع من هذه الإجابة ولا حتى انتهر بطرس عليها. بل على العكس مدحه.

وقد أخبر يسوع عن كونه ابن الله بشكل واضح، كما تأثر سامعيه كلية بكلماته. وقد قيل لنا «فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه. لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضا إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله» (يو ٥ : ١٨).

وفي مناسبة أخرى قال يسوع «أنا والآب واحد» (يو ١٠ :٣٠) وفي الحال أراد اليهود أن يرجموه بحجارة فسألهم يسوع لأي عمل صالح يريدون أن يرجموه. فأجابوا قائلين: «لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا» (يو ١٠ : ٣٣).

وقد بين يسوع وأظهر الصفات التي تنسب إلى الله فقط. فعندما أنزلوا المفلوج من السقف عند قدميه قال «يا بني مغفورة لك خطاياك» (مر ٢: ٥). وسبب هذا اضطرابًا بين الكتبة الذين قالوا في قلوبهم «لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف. من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده» (مر ٢ : ٧).

وقد علم يسوع أفكارهم فقال لهم «أيما أيسر أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم واحمل سريرك وامشي؟» (مر ٢: ٨ ، ٩). وفي الواقع فقد أجاب يسوع عن سؤالهم: «ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا (وهو ما يستطيع الله وحده أن يفعله)» (مر ٢ :١٠) وأمره «لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك» (مر ٢: ١١) فقام الرجل ومشى!.

كما استخدم يسوع لقب ابن الإنسان ليشير إلى نفسه، ولكن مع بعض التأكيد

coptic-books.blogspot.com

والجزم عن ألوهيته. وفي كلماته بخصوص مجيئه تحدث يسوع عن نفسه كابن الإنسان «الذي يأتي ليبذل نفسه فدية عن كثيرين». وهذا ليس إنكارا لألوهيته بأي شكل، بل أن هذا اللقب يحمل في طياته كلاًمن لاهوته ومجيئه كجزء من إنسانيته. وقد كان سلطانه ومعجزاته وتعليمه وشخصيته هي سمات حقيقية لله وحده.

وفي اللحظة الحاسمة، وعندما كانت حياته على المحك بسبب أقواله، وجه إليه رئيس الكهنة مباشرة هذا السؤال: «أأنت المسيح ابن المبارك؟» فقال يسوع أنا هو. وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيًا في سحاب السماء. فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود. قد سمعتم التجاديف» (مر١٤: ٦١- ٦٤).

ويلخص چون ستوت هذا كالآتي:

لقد كان تعريفه بنفس مقاربًا تمامًا لله. وقد كان من الطبيعي له أن يعادل طبيعته البشرية مع طبيعته الإلهية. وهذا يعني:

أن معرفته كانت تعني معرفة الله؛

وأن رؤيته كانت تعني رؤية الله؛

وأن الإيمان به يعني الإيمان بالله؛

وأن قبوله كان هو قبول الله؛

وأن كراهيته تعني كراهية الله؛

وأن إكرامه يعني إكرام الله[1].

coptic-books.blogspot.com

أربعة احتمالات فقط!

عندما نواجه أقوال يسوع عن الألوهية، سيكون هناك أربعة احتمالات. إما أن يسوع كاذب أو مجنون أو أنه مجرد أسطورة إما أنه حقيقية. فإذا قلنا إنه غير حقيقي، فسينقلنا اعتقادنا هذا آليا إلى توضيح واحد من البدائل الثلاثة الأخرى، سواء أدركناه أو لم ندركه. فإن هذا التوضيح سيساعدنا على فحص تلك الاحتمالات.

١- هل كان يسوع يكذب عندما كان يقول إنه هو الله بينما كان يدرك أنه ليس إلهًا؟

لو كان كذلك، فقد كان يسوع يخدع سامعيه عن عمد ليعطي لنفسه ولتعليمه السلطان. ولكن قليلين يتبنون هذا الاحتمال. وحتى الذين ينكرون عليه ألوهيته، يؤكدون بأن يسوع معلم أخلاقي عظيم. وقد فشلوا في إدراك وجهتي النظر المتخالفتين، فإذا كان يسوع كاذبا عن عمد بخصوص النقطة الأكثر أهمية من تعليمه، والمتعلقة بهويته، فإنه من الصعب للغاية أن يكون معلمًا أخلاقيًا عظيمًا.

٢- هل كان يسوع مجنونًا؟

معنى تبني هذا الاحتمال هو تشويه للحقائق. ففي الواقع، لا يوجد دليل يؤيد هذا الرأي، بل أن جميع الدلائل تصب في الاتجاه المضاد. وعلى الرغم من أن هذا الاحتمال يصدم، إلا نه يبدو أخف حدة من قول إن يسوع كان مخلصًا ولكنه مخادع. واليوم، فإن الشخص الذي يعتبر نفسه إلهًا أو يدعي الألوهية يُعتَبَر «مجنونًا»، وعلينا أن نقدم له المساعدة. غير أنه، إذا تم تطبيق هذا التعريف على يسوع فإنه سيكون مضحكًا لغرابته.

coptic-books.blogspot.com

وعندما ننظر إلى حياة المسيح، فإننا لن نرى أية دليل على الشذوذ وعدم الاتزان وهي الأعراض الشائعة في الشخص المجنون. بل على العكس نجد هدوءًا ورباطة جأش عظيمة تحت الضغط. ففي أثناء محاكمته أمام بيلاطس، وعندما كانت حياته على حافة الموت، كان هادئا وساكنا. وكما يقول عنه سي. إس. لويس، «إن التناقض بين عمق وصحة تعليمه الأخلاقي، وبين اعتباره مصابًا بجنون العظمة لهو بالفعل تناقضًا واضحًا للغاية لا يمكن قبوله»[٢].

٣- هل كان يسوع أسطورة؟

يقول هذا الاحتمال بأن كل أقوال يسوع وقوته الخارقة هي من اختراع اتباعه المتحمسين، ومن ثم فهي أسطورة. وقد شاع أن قول يسوع بأنه هو الله، وتعاليمه التي قالها، ومعجزاته التي صنعها قد تمت إضافتها في القرنين الثالث والرابع. كما أشيع أن الكلمات كانت توضع في فمه تلك الكلمات كانت ستجلب الصدمة له هو شخصيًا لو سمعها. ولو أتيح له أن يعود إلى الأرض فإنه سينكرها ويدحضها في الحال.

وقد تم نقض نظرية الأسطورة، في ثلاثة أوجه، من قبل العديد من الاكتشافات الأثرية في العصر الحديث:

– أنه قد تم إثبات صحة سيرة حياة المسيح المكتوبة في الأناجيل الأربعة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) والتي كتبت أثناء حياة المعاصرين له.

– وفقا لعالم الآثار د. وليم ف. اولبرايت "فإنه لا يوجد سبب لتصديق أن أيًا من الأناجيل الأربعة قد كتب بعد عام ٧٠ م».

coptic-books.blogspot.com

- إذا كان يسوع مجرد أسطورة فإنه لا يصدق أن يحظى الإنجيل بهذا الكم الهائل من الانتشار والتأثير بدون أي تشويه للحقائق. من الخيالي في يومنا هذا أن يكتب أحد سيرة حياة الراحل جون. ف. كينيدي ويقول فيها إن كينيدي يقول إنه الله، وأنه يغفر خطايا الناس وأنه قام من الموت. فمثل هذه القصة ستكون غريبة جدًا ولن يصدقها أحد حيث أن هناك العديد من المعاصرين كانوا يعرفون هذا الرجل!. ومن ثم فإن نظرية الأسطورة غير سليمة في ضوء المنطق والتاريخ المبكر لمخطوطات الإنجيل.

٤- هل كان يسوع يقول الحق - حينما أعلن أنه الله الذي جاء إلى الأرض؟

تقول إحدى وجهات النظر إن الأقوال لا تعني الكثير. فالكلام رخيص. فيستطيع أي شخص أن يعطي أقوالاً، وقد فعل الكثيرون هذا حول العالم. فأنا يمكنني القول إنني إله، وكذلك أنت، ولكن السؤال الذي يجب على جميعنا أن نجيب عليه «ما هي البراهين والدلائل التي يمكننا أن نقدمها لنثبت أقوالنا؟». بالنسبة لي لن يستغرق الأمر سوى خمس دقائق لدحض أقوالي وكذلك من المحتمل أيضا أن المرء لن يستغرق كثيرًا من الوقت لحسم أمرك أنت أيضا.

أما عندما نأتي إلى يسوع الناصري، فلن يكون الأمر بسيطًا. فقد كانت لديه البراهين والإثباتات التي تؤيد أقواله. فقال «فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب في وأنا فيه». (يو ١٠: ٣٨).

ما هي إثباتات وبراهين يسوع؟

١- كانت طباع يسوع تتفق وتطابق مع أقواله

coptic-books.blogspot.com

فقد رأينا سابقًا أن هناك كثيرين الذين قالوا بأنهم مشاهير أو آلهة ولكن أقوالهم لم تتفق مع تصرفاتهم وأعمالهم. ولكن هذا لم يحدث مع المسيح، ونحن لا نقارن المسيح مع الآخرين؛ بل أننا نقارن الآخرين به. فالمسيح شخص فريد كما الله.

* كان المسيح بلا خطية. وقد مكنه ذلك من تحدي أعدائه بالسؤال «من منكم يبكتني على خطية». (يو ٨: ٤٦) ولكنهم لم يردوا بل صمتوا على الرغم من أنه حدد لهم من يريد أن يبين خطأً في شخصيته.

* نحن نقرأ عن تجارب يسوع، ولكننا لم نسمع قط عن اعتراف من جانبه بالخطية، كما أنه لم يطلب مطلقًا الغفران على الرغم من أنه طلب من أتباعه أن يفعلوا هذا. وعدم القصور الأخلاقي هذا من جهة يسوع يتنافى مع تفسيرات القديسين والروحانيين في كل العصور. فحتى الرجال والنساء الذين يتقربون لله، كلما اقتربوا منه غمرهم الإحساس بالقصور، والفساد، والضعف. وفي المملكة الأخلاقية والأخلاق العامة، فإن هذا أيضًا حقيقي. فكلما كان الشخص أقرب ليكون نورًا مشعًا كلما أدرك حاجته للاغتسال.

* تحدث أتباع يسوع مثل يوحنا، وبولس، وبطرس، وجميع الذين آمنوا منذ صغرهم بعمومية الخطية، تحدثوا جميعا عن أن يسوع بلا خطية

«الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر» (١ بط ٢: ٢٢).

«وليس فيه خطية» (١يو ٣: ٥).

«لم يعرف خطية» (٢كو ٥: ٢١).

coptic-books.blogspot.com

وحتى بيلاطس الذي لم يكن صديقًا ليسوع قال عنه «أنا لست أجد فيه علة واحدة» (يو ١٨: ٣٨).

وقائد المائة الذي كان شاهدًا على موت يسوع قال «حقًا كان هذا ابن الله» (متى ٢٧: ٥٤).

٢- نجد في يسوع الشخص الكامل، ويحدد برنارد رام قائلاً:

لو كان الله إنسانا فإننا نستطيع أن نتوقع أن شخصه سيكون إنسان حقيقي. والله وحده هو من يستطيع أن يخبرنا كيف يجب أن يكون الإنسان الحقيقي. وبالتأكيد كان يوجد ضمن نماذج العهد القديم نذيرون للتقوى. ويجب أن يكون الوعي الكامل، مع تكريس وتقديس الحياة الكامل لله هو الأكثر أهمية. ثم يأتي بعد هذا الفضائل الأخرى، والهبات، والصفات إلى تميز الإنسان الكامل. كما يجب ألا يكظم الذكاء الإيمان، ولا يجب أن تكون الصلاة بديلاً للعمل ولا يجب أن تكون الغيرة مجرد تعصب أعمى غير عاقل، ولا يجب أن يصبح التشدد جامدًا متبلد الحس.

وفي المسيح نجد المزيج المتكامل لهذه السمات الشخصية، حيث أن المسيح هو الله المتجسد فهو إنسان كامل.

ويصف چون تشاف:

لم تنحط غيرة يسوع أبدًا إلى انفعالات، ولم ينحدر ثباته أبدًا إلى العناد، ولم يتحول إحسانه إلى ضعف، ولم يتحول عطفه إلى مجرد مشاعر خاوية. كما كان عدم اهتمامه بالماديات خاليًا من اللامبالاة أو الانطواء المبالغ فيه. كما كان إنكاره لذاته خاليًا من النكد المزاجي. وما لم يكن اعتداله وضبط نفسه خاليًا من الصرامة.

coptic-books.blogspot.com

فقد جمع يسوع بين براءة الطفولة وقوة الرجولة. وأيضًا مزج بين التكريس لله والاهتمام غير المنقطع بخير وسعادة الإنسان، كما جمع بين الحب الرقيق للخطاة والرفض الصارم للخطية، وكذلك جمع بين الكرامة المستحقة والتواضع الظاهر. وقد جمع بين الشجاعة والحكمة الحذرة، وبين الحزم الصارم والكياسة الجميلة[٢].

٣- أظهر يسوع سلطانًا على قوى الطبيعة، وهذا السلطان لا يخص سوى الله خالق هذه الطبيعة. فقد أسكن يسوع الريح الشديدة، والأمواج في بحر الجليل. وبهذا حرك يسوع تساؤلات الذين في القارب «من هو هذا فإن الريح أيضًا والبحر يطيعانه» (مر٤: ٤١).

كما حول يسوع الماء إلى خمر، وأطعم خمسة آلاف شخص بخمسة أرغفة وسمكتين، وأقام من الموت ابن الأرملة الوحيد وأرجعه إليها، وأعاد إلى الأب الحزين حياة ابنته. وقال للعازر «لعازر هلم خارجا» فأقامه من الموت بصورة معجزية غير عادية.

والشيء الأهم هو أنه حتى أعدائه لم ينكروا تلك المعجزة. بل أنهم بالأحرى أرادوا أن يقتلوه وقالوا «إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به» (يو١١: ٤٨).

٤- أظهر يسوع سلطان الخالق على المرض. فقد جعل الأعرج يمشي، والأخرس يتكلم، والأعمى يرى. إن جزءًا من معجزات الشفاء جاء كمعالجة لمشاكل خلقية، وليس مجرد علاج لأمراض جسمانية مكتسبة. وأكثر تلك المعجزات عجبا هي معجزة شفاء الأعمى والمسجلة في (يوحنا ٩). فعلى الرغم من أن هذا الأعمى لم يستطع إجابة سائليه المتشككين، إلا أن تجربته كانت كافية تماما لإقناعه هو. «إنما أعلم

coptic-books.blogspot.com

شيئًا واحدًا. أني كنت أعمى والآن أبصر» (يو ٩: ٢٥). وقد أندهش هذا الرجل بشدة لأن أصدقاءه لم يدركوا أن الذي شفاه هو ابن الله، فقال لهم: «منذ الدهر لم يسمع أن أحدا فتح عيني مولود أعمى» (يو ٩: ٣٢). فقد كان الدليل جليًا واضحًا بالنسبة لهذا الأعمى.

٥- كانت قيامة يسوع من الموت هي أهم دليل لإثبات صحة أقواله عن ألوهيته. فقد تنبأ المسيح عن موته خمس مرات خلال فترة حياته. كما تنبأ أيضا عن كيفية موته، وعن قيامته من الموت بعد ثلاثة أيام، وظهوره لتلاميذه. (مت ١٦: ٢١؛ ١٧: ٢٢- ٢٣؛ مر ٨: ٣١؛ ١: ٣٢- ٣٣؛ لو ٩: ٢٢). وبالتأكيد كان هذا هو الامتحان العظيم. فقد كان هذا القول سواء حدث أو لم يحدث سهل الإثبات.

والقيامة قضية جوهرية وأساسية للغاية، لذلك سأخصص لها فصلاً كاملاً. وإذا كانت القيامة قد حدثت بالفعل، فمن ثم لن تكون هناك أية صعوبة في عمل المعجزات الأخرى. وإذا أثبتنا صحة القيامة، فسنصل إلى إجابة السؤال الكبير عن الله وشخصه وعلاقتنا به. والإجابة عن هذا السؤال ستمكننا من إجابة كل الأسئلة الفرعية الأخرى.

فقد غير المسيح التاريخ وهو الشيء الذي يستطيع الله وحده أن يفعله. ويكمل تشاف صورته عن يسوع والمرسومة في العهد الجديد:

بدون مال أو قوة، وبدون علم أو تعليم، غزا يسوع الناصري ملايين أكثر من الإسكندر وقيصر ونابليون؛ فقد ألقى الضوء على الموضوعات الإنسانية واللاهوتية أكثر من جميع الفلاسفة والمعلمين؛ وبدون فصاحة وبلاغة المدارس، قال يسوع كلام الحياة الذي لم يقوله أحد من قبل ولن يقوله أحد، وقد أثرت كلماته إلى ما

coptic-books.blogspot.com

أبعد من كلمات الخطيب أو الشاعر؛ وبدون كتابة ولا حتى خط واحد، بدأ وأعطى المادة العلمية للكثير من المواعظ والخطب والأحاديث والمناقشات والمجلدات التعليمية وأعمال الفنون والترانيم والتسبيح، أكثر من جيش كامل من رجال العصور القديمة والحديثة[٤].

٦- وأخيرا، نحن نعلم أن يسوع المسيح هو الله لأننا نستطيع أن نختبره ونستشعر وجوده في القرن العشرين. والاختبار في حد ذاته ليس حاسمًا، ولكن مع الحقيقة التاريخية للقيامة يعطينا الأساس لإيماننا الراسخ. ومن ثم لا يوجد أي افتراض آخر لتفسير جميع الحقائق التي لدينا سوى الحقيقة العميقة أن يسوع المسيح هو الله الابن.

والخير الأعظم الذي يمكننا أن نقدمه للناس هو أن نقدم لهم يسوع المسيح ابن الله.

coptic-books.blogspot.com

الفصل الرابع

هل قام المسيح من بين الأموات؟

اشترك أصدقاء وأعداء المسيحية في نظرتهم لقيامة يسوع المسيح، فكلاهما رأى فيها حجر الأساس للإيمان المسيحي. ففي الكنيسة المبكرة في كورنثوس كان البعض يتساءل، بل حتى ينكر، إمكانية قيامة الأموات. وعندما سمع الرسول بولس ذلك، قدم ملخصًا رائعًا في عبارة واحدة «وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم» (١كو ١٥: ١٤). بهذه الكلمات القليلة يبدو أن بولس بنى كل حجته على القيامة الجسدية ليسوع المسيح. فإما أن يسوع قد قام أو لم يقم من بين الأموات. فإذا كان قد قام بالفعل، فإن تلك كانت أكثر اللحظات إثارة وتميز في كل التاريخ وهي تعطينا إجابة شاملة لأكثر الأسئلة عمقًا في وجودنا بأكمله:

من أين أتينا؟

لماذا نحن هنا؟

ما هو مصيرنا المستقبلي؟

إذا قام المسيح، فإننا بذلك نعلم بكل يقين أن الله موجود، وماذا يشبه وما الذي يهتم به لكل شخص منا بصورة فردية. هنا، يأخذ الكون معنى وغاية، ونحن ساعتها يمكننا أن نختبر الله الحي في الحياة المعاصرة. هذه وغيرها الكثير من الأمور التي تشمل الحياة بكليتها سوف تكون صحيحة لو أن يسوع الناصري قد قام من بين الأموات.

coptic-books.blogspot.com

ليس تفكيرًا حالمًا

على الجانب الآخر، لو أن المسيح لم يقم من بين الأموات، تصير المسيحية مجرد متحف جميل وليس إلا. ولا يكون لها أي شرعية أو مصداقية موضوعية. وبالرغم من أنها قد تصير عندها فكر حالم ولطيف، إلا أنها بالتأكيد عندها لن تستحق أن نعتنقها. لقد ذهب الشهداء في الحقبة المسيحية المبكرة إلى جب الأسود بلا تردد، وكانوا يرنمون وهم في طريقهم للموت! وفي القرن الحالي هناك أشخاص كثيرون يهبون حياتهم، فهل هم بذلك أضاعوها هباءً وراحوا ضحية حماقتهم وانخداعهم.

إن الهجوم على المسيحية من قِبَل المنشقين قد تركز في الغالبية العظمى من المرات على القيامة. فقد نظروا إليها عن حق باعتبارها حجر الزاوية الذي يقوم عليه الإيمان المسيحي بأكمله. وقد تم تدبير حملة مخططة بارزة في بداية ثلاثينات القرن الماضي بقيادة محامي بريطاني شاب. وكان هذا الشاب مقتنعًا بأن القيامة كانت مجرد نسج من الخيالات والأوهام. وحيث أنه أدرك أن القيامة هي أساس الإيمان، لذلك قرر أن يقدم خدمة للعالم بأن يفضح هذه الخديعة والخرافة مرة واحدة ومن ثم تنهار للأبد. وباعتباره محاميًا، شعر أنه يمتلك المهارات النقدية التي تمكنه من فحص وتمحيص جميع الأدلة ولإثبات عدم جدوى جميع البراهين التي لا تتلاءم مع المعيار القوي للقبول بها في المحاكم القانونية اليوم.

ولكن، بينما كان فرانك موريسون يقوم بأبحاثه، حدث أمر مميز. إذ ظهر أن القضية ليست بالسهولة التي كان يتوقعها. وكنتيجة لذلك حمل الفصل الأول من كتابه «من دحرج الحجر؟» عنوانًا هو «الكتاب الذي يرفض أن يُكتَب». وفي هذا الفصل شرح كيف، بينما كان يفحص البراهين، أصبح مقتنعًا ضد إرادته بحقيقة القيامة الجسدية.

coptic-books.blogspot.com

المعلومات التي يجب دراستها

ما هي بعض المعلومات التي يجب مراعاتها ودراستها في الإجابة على سؤال: «هل قام المسيح من بين الأموات؟».

أولاً: هناك حقيقة وهي الكنيسة المسيحية. وهي متسعة في جميع أنحاء العالم. ويمكن تتبع تاريخها حتى فلسطين في حوالي سنة ٣٢ م. كما أن سفر أعمال الرسل يقدم بعض القصص المبكرة المرتبطة بكيفية انجذاب مجتمعات بأكملها لرسالة الرب يسوع وقيامته. فقد دعي المؤمنون في البداية مسيحيين في مدينة أنطاكية. وفي تسالونيكي وعظ بولس الرسول مقنعًا بعض اليهود، وعدد كبير من خائفي الله من اليونانيين، وعدد ليس بقليل من السيدات البارزات في المجتمع لكي يؤمنوا جميعًا. وقد كانت رسالتهم كما قيل حرفيًا قد فتنت العالم (أع ١٧: ٦). وقد كانوا يشيرون دائمًا إلى القيامة باعتبارها أساس تعاليمهم، ووعظهم وحياتهم - وبالتأكيد - موتهم.

ثم هناك حقيقة اليوم المسيحي. وهو يوم الأحد يوم العبادة للمسيحيين. ويمكن أيضًا تتبع تاريخه حتى سنة ٣٢ م. مثل هذا التحول في التقويم كان حدثًا تذكاريًا. ولابد أن شيئًا محفزًا قد حدث مما جعلهم يغيرون يوم العبادة من يوم السبت اليهودي وهو اليوم السابع من الأسبوع، إلى يوم الأحد، وهو اليوم الأول في الأسبوع. يذكر (سفر الأعمال ٢٠: ٧) هذا الأمر ببساطة: «وفي أول الأسبوع، إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزًا» وهكذا قد صارت عادة ثابتة. ويقول المسيحيون إن التحول جاء نتيجة لرغبتهم في الاحتفال باليوم الذي قام فيه يسوع من بين الأموات. وهذا التحول يكون أكثر تميزًا للغاية حينما نتذكر أن أول المسيحيين كانوا من اليهود.

coptic-books.blogspot.com

فإذا لم تكن القيامة هي السبب وراء هذا التغير، فما هو السبب القوي جدًا ليجعلهم يتركون يومهم المقدس بحسب الشريعة؟

يوجد كتاب مسيحي، وهو العهد الجديد. والذي تتضمن صفحاته شهادات مستقلة على حقيقة القيامة. وثلاث من هذه الشهادات، على الأقل، هي لشهود عيان وهم: يوحنا وبطرس ومتى. ويقدم إنجيل لوقا دليلاً لمؤرخ لديه خلفية كلاسيكية ومعروف عنه أنه كان يسافر مع بولس الرسول وسمعه يعظ عن القيامة (٢تي ٤: ١١). وكان بولس في كتابته للكنيسة في الفترات المبكرة يشير إلى القيامة بطريقة توضح أن هذا الحدث، بالنسبة له ولقارئيه، كان معروفًا بكل وضوح ومقبول بدون شكوك أو تساؤل. فهل هؤلاء الرجال الذين ساعدوا في الترقي بالمنظومة الأخلاقية للمجتمع يرتكبون مثل هذه الأكاذيب أم هل يمكن أن يكونوا مجرد رجال مجانين ومخرفين؟ هذه البدائل تنبع من معرفتنا البشرية ويصعب أكثر أن نصدقها عن حقيقة أن يسوع، الذي هو تجسد الله، قد قام من بين الأموات. لا يوجد قطعة صغيرة من الأدلة يمكن أن تدعم وجهة نظر أخرى.

للإيمان العاقل، هناك جانبان للقيامة يتطلبان التفسير من قِبَل المؤمن وغير المؤمن على حد سواء. وهما القبر الفارغ والظهور المزعوم ليسوع المسيح بعد دفنه.

رواية القبر الفارغ

كان أقدم تفسير قد شاع للقبر الفارغ هو أن التلاميذ سرقوا الجسد! ففي (مت ٢٨: ١١- ١٥)، نقرأ تسجيلاً لرد فعل رؤساء الكهنة والشيوخ عندما أخبرهم الجنود بالأخبار الغامضة التي أثارت غيظهم بأن جسد يسوع اختفى. فأعطى هؤلاء

coptic-books.blogspot.com

القادة الدينيون بعض المال للجنود وأخبروهم أن يقولوا إن التلاميذ جاءوا في الليل وسرقوا الجسد بينما كان الحرس نيامًا. وكانت هذه القصة زائفة بوضوح لدرجة أن متى لم يكلف نفسه حتى عناء أن يدحضها! فأي قاض سوف ينصت إليك إذا قلت إن جارك جاء إلى منزلك وسرق تليفزيونك بينما كنت أنت نائمًا؟ فمن الذي يعرف ما حدث بينما كان هو نائم؟ إن شهادة مثل هذه لن تلقى سوى السخرية والرفض في أي محكمة.

علاوة على ذلك، نحن نتواجه هنا مع استحالة نفسية وأخلاقية. حيث أن سرقة جسد المسيح كان أمرًا غريبًا تمامًا عن شخصية التلاميذ وعن كل ما نعرفه عنهم. ويعني هذا أنهم قد لفقوا كذبة بشكل متعمد نتج عنها خديعة والموت المطلق لآلاف من البشر. بل إنه حتى من غير المعقول أن القليل من التلاميذ تآمروا معًا وقرروا سرقة الجسد ولم يخبروا الآخرين.

لقد واجه كل شخص من هؤلاء التلاميذ التجارب والتعذيب، وجميعهم فيما عدا الرسول يوحنا ماتوا شهداءً نتيجة لتعاليمهم وإيمانهم. فالناس يموتون لأجل ما يؤمنون بأنه حقيقي، رغم أن ذلك قد يكون خاطئًا. ولكنهم لا يتقدمون للموت لما يعرفون أنه كذب. فإن أكثر لحظة يكون فيه الإنسان صادقًا هي تلك التي يواجه فيها الموت. ولو أن التلاميذ أخذوا الجسد وكان المسيح ما يزال ميتًا، فكيف سنفسر مشكلة ظهوراته المفترضة؟

الفرضية الثانية تقوم على أن السلطات (اليهودية أو الرومانية) نقلت الجسد. ولكن لماذا؟ فالرومان قد وضعوا حرسًا خاصًا عند القبر، فما الذي سيكسبونه من نقل الجسد؟ الجواب المقنع لهذه الفرضية هو صمت هذه السلطات في وجه الكرازة

coptic-books.blogspot.com

الجسورة للتلاميذ في أورشليم عن القيامة. لقد اشتعل غضب القادة الدينيون للغاية وفعلوا كل ما بوسعهم لإسكات التلاميذ (أع ٤). فقبضوا على بطرس ويوحنا، وضربوهم وهددوهم في محاولة لغلق أفواههم.

سواء بالنسبة للسلطات اليهودية أو الرومانية كان يوجد حل بسيط للغاية لمشكلتهم. فلو أن أحد هذه السلطات قد أخذت جسد المسيح، كان باستطاعتهم عمل موكب له في شوارع أورشليم. وبضربة واحدة كانوا سينجحون كليًا في القضاء على المسيحية في مهدها. ولكن عدم قيامهم بذلك يحمل شهادة بليغة على حقيقة أن الجسد لم يكن بحوزتهم.

هناك نظرية أخرى شائعة تسمى «نظرية القبر الخاطئ»، وهي تقترح أن النساء المفجوعات اللاتي أكتنفتهنّ الأحزان ضللن طريقهنّ في عتمة الفجر. وفي حزنهن تخيلن أن المسيح قد قام لأن القبر كان خاويًا.

غير أن هذه النظرية تسقط أمام نفس الحقيقة أن قضت على النظريات السابقة. فلو أن النساء ذهبن إلى قبر خاطئ، لماذا لم يذهب رؤساء الكهنة وغيرهم من أعداء الإيمان إلى القبر الصحيح ويخرجوا الجسد؟ كذا فمن غير المعقول أن جميع أتباع يسوع سوف يقعوا في نفس الغلطة. فبالتأكيد أن يوسف الرامي، صاحب القبر، كان سيحل هذه المشكلة. وفوق ذلك، يجب أن نتذكر أن تلك كانت أرض خاصة تم تجهيزها للدفن وليست مدافن عامة، كما يمكن أن نتخيل. لم يكن هناك قبر آخر قريب يمكن أن يدفع نحو الوقوع في هذا الخطأ.

نظرية الإغماء أيضًا من النظريات التي تقدمت لتفسير القبر الفارغ. وفيها، لم يمت المسيح موتًا فعليًا. لكنهم ظنوا عن خطأ أنه مات بينما كان يسوع في حالة

coptic-books.blogspot.com

إغماء نتيجة للإنهاك الشديد والألم ولفقدان كميات كبيرة من الدماء. وعندما وضعوه في القبر بجوه اللطيف، انتعش وأفاق. فخرج من القبر وظهر لتلاميذه، وظنوا هم عن خطأ أنه قام من الموت.

هذه النظرية جديدة. وقد ظهرت أولاً في نهاية القرن الثامن عشر. والأمر الجدير بالاعتبار أنه لا يوجد أي اقتراحات من هذه النوعية ظهرت في القديم بين كل الهجمات العنيفة التي شُنَّت على المسيحية. حيث كانت كل السجلات المسيحية مؤكدة بشأن موت يسوع وإراقة دماه.

دعنا نتخيل للحظات أن المسيح دُفِنَ وهو حي لكنه في حالة إغماء فقط. هل من الممكن الاعتقاد بأنه سوف يبقى على قيد الحياة طوال ثلاثة أيام في القبر الرطب دون طعام أو ماء أو رعاية من أي نوع؟ هل كان سينجو وهو ملفوف بكمية هائلة من الأكفان الكتانية الممتلئة بالحنوط؟ وهل سيكون لديه القوة لكي يحرر نفسه من هذه الأكفان المربوطة حوله، ويحرك الحجر الثقيل بعيدًا عن فتحة القبر، ويتغلب على الحراس الرومان ويسير أميالاً على قدميه التي كانت مثقوبة بالمسامير؟ ثم، وعند هذه النقطة، هل كان سيتمتع بالقوة لكي يقدم نفسه كإله مجيد وعظيم ينبغي عبادته؟ مثل هذا الاعتقاد أكثر خيالاً من الحقيقة البسيطة الخاصة بالقيامة نفسها.

حتى الناقد الألماني دافيد شتراوس، الذي لم يؤمن قط بالقيامة، رفض هذه الفكرة واعتبرها غير قابلة للتصديق. وقال:

من المستحيل أن شخصًا قد خرج للتو من القبر نصف ميت، وكان يعاني من الضعف والمرض، وفي حاجة إلى العلاج الطبي، وللتضميد وللتدعيم وللرعاية، وهو

coptic-books.blogspot.com

الذي على الأقل كان متألمًا للغاية، يمكنه أن يعطي التلاميذ الانطباع أنه سحق الموت والقبر؛ وأنه رئيس الحياة. إن هذا كان ليستقر في قاع خدمتهم المستقبلية. مثل هذه القيامة لم تكن إلا لتضعف الانطباع الذي أعطاه لهم في الحياة والموت – أو على أبعد تقدير، كان يمكن أن يعطيهم في صوت رثائي– لكنه كان من غير الممكن أن يقدر على تغيير أحزانهم وتحويلها إلى حماسة أو يرتقي بتبجيلهم له ويحوله إلى عبادة[1].

أخيرًا، لو أن هذه النظرية صحيحة، فإن المسيح بهذا يكون قد تورط هو بنفسه في كذب وتزييف. لقد آمن تلاميذه وبشروا بأنه مات وعاد إلى الحياة ثانية. ولم يفعل يسوع أي شيء لتبديد هذا الاعتقاد، بل بالأحرى شجعه. النظرية الوحيدة التي تفسر تفسيرًا وافيًا للقبر الفارغ هي قيامة يسوع المسيح من الموت. وهكذا فإن أصحاب الأديان الأخرى صارت قبورهم مزارات يتعبدون فيها. أما المسيح فقد صار قبره الفارغ مكانًا يبتهج فيه المسيحيون.

ظهورات المسيح

الجزئية الثانية من البيانات التي يتوجب على المؤمنين وغير المؤمنين تفسيرها هي الظهورات المسجلة للمسيح. هناك تسجيل لعشر ظهورات متمايزة. وقد حدثت هذه الظهورات من صباح يوم قيامته حتى صعوده بعد أربعين يومًا. وهي تعبر عن تنوعًا كبيرًا في الوقت والمكان والناس. وقعت اثنتان منها مع فردين وهما بطرس ويعقوب. وبقية الظهورات كانت للتلاميذ كمجموعة، وهناك واحدة كانت أمام خمسمائة من المؤمنين المتجمعين. وكل واحدة منها كانت في مكان مختلف. البعض منها كان في البستان بالقرب من القبر؛ والبعض الآخر كان في العلية. ووقعت إحدى الظهورات

coptic-books.blogspot.com

في الطريق من أورشليم إلى عمواس، وحدث بعضها بعيدًا في الجليل. وتميَّز كل ظهور بتصرفات وكلمات مختلفة ليسوع.

لا يمكن للأكاذيب والأساطير أن تفسر القبر الفارغ، ولا تستطيع كذلك أن تتجاهل ظهورات المسيح على هذا النوع من الأساس. إذ تعد هذه الروايات بمثابة شهادات لشهود عيان – لأشخاص كانوا هناك، وقد رأوا وتفاعلوا معه وكانوا واثقين يقينًا من حقيقة ما أعلنوه.

بشكل منطقي، يمكن للمرء أن يفترض حالة من الهلاوس للتشكيك في هذه الروايات لشهود العيان عن ظهورات المسيح بعد الصلب. وقد تبدو في البداية تفسيرات معقولة لحادث بدا خارقًا للطبيعة. ويمكن اعتباره تفسيرًا معقولاً إلى أن نتذكر القوانين العامة للطب الحديث التي تنطبق على مثل هذه الظاهرة النفسية. إذ عندما نربط هذه المبادئ بالدلائل التي بين أيدينا، يمكننا أن نرى أن ما بدا في الأول معقول جدًا، صار في الحقيقة غير معقول بل مستحيل الحدوث.

تحدث الهلاوس عمومًا لدى أشخاص يميلون إلى أن يكونوا من نوي الخيال الخصب. ولكن ظهورات المسيح كانت لجميع أنواع الناس. في الحقيقة كان البعض منهم شديد الحساسية، ولكن البعض الآخر منهم كانوا من الصيادين شديدي الواقعية مثل بطرس وآخرين من أمزجة مختلفة.

تُعرف الهلاوس على أنها أمر شديد الذاتية والفردانية. ولأجل هذا السبب، لا يوجد شخصان يكون لهم نفس الاختبار. ولكن في حالة القيامة، فقد ظهر المسيح ليس فقط لأفراد بل لمجموعات، بما فيها إحدى الظهورات التي كان فيها أكثر من خمسمائة شخص. وقال بولس الرسول إن أكثر من نصف هؤلاء الناس كانوا ما

coptic-books.blogspot.com

يزالون على قيد الحياة ويمكنهم أن يخبروا بهذه الأحداث (١كو ١٥).

تحدث الهلاوس عادة في حالات وأماكن محددة فقط، وهي دائمًا ما يصاحبها بعض الأحداث الخيالية. غير أن هذه الظهورات حدثت في داخل البيوت وخارجها، في الصباح وبعد الظهر والمساء.

بوجه عام، تحدث هذه الخبرة النفسية عبر فترة طويلة من الزمن وببعض الانتظام. لكن تلك الظهورات حدثت أثناء فترة أربعين يومًا وتوقفت بعد ذلك نهائيًا. ولم يقل أحد بعد ذلك أنها حدثت ثانية.

لعل أكثر دليل شامل على خطأ نظرية الهلاوس هو حقيقة كثيرًا ما نتجاهلها. فمن أجل الحصول على اختبار مثل هذا، يجب على المرء أن يكون لديه رغبة شديدة بالإيمان بأنه يرى شيئًا ليس موجودًا في الواقع ويجعله حقيقة واقعة في خياله. على سبيل المثال، المرأة التي فقدت ابنها في الحرب تتذكر كيف اعتاد على المجيء إلى البيت من العمل كل مساء في الساعة الخامسة والنصف. وهي تجلس على كرسيها الهزاز في كل عصر، تتأمل وتفكر. وأخيرًا، تعتقد أنها رأته يأتي من الباب وتتحاور معه. عند هذه اللحظة تكون قد فقدت الاتصال مع العالم الحقيقي.

أُقنِعُوا بشيء بغير إرادتهم

ربما يعتقد المرء أن الهلاوس هي ما حدث للتلاميذ فيما يتعلق بالقيامة. ولكن الحقيقة أن ما حدث كان العكس تمامًا، إذ تم إقناعهم بغير إرادتهم أن يسوع قد قام من بين الأموات!

* جاءت مريم إلى القبر في أول أيام عيد الفصح يوم الأحد صباحًا ومعها

coptic-books.blogspot.com

الحنوط في يديها. لماذا؟ لكي تدهن الجسد الميت للرب الذي أحبته. من الواضح أنها لم تكن تتوقع أن تجده قائمًا من الموت. في الحقيقة، عندما رأت يسوع للمرة الأولى ظنته البستاني وتحدثت معه على هذا الأساس! ولكن بعد أن تحدث معها ونطق باسمها أدركت من كان الشخص الذي تتكلم معه.

* عندما سمع التلاميذ الآخرون بذلك، لم يؤمنوا بذلك. إذ بدت القصة لهم «مجرد تخاريف».

* وفي النهاية عندما ظهر يسوع المُقام للتلاميذ كانوا مرتعبين وظنوا أنهم يرون شبحًا! لقد ظنوا أنهم أصيبوا بالهلاوس، وهذا أصابهم بخيبة الأمل. ولكي يقنعهم قال لهم أخيرًا: «جسوني وانظروا؛ فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون». وسألهم إن كان عندهم أي طعام، فناولوه جزءًا من سمك مشوي، وشيئًا من شهد العسل. ولم يضف لوقا الأمر الواضح الذي لا يحتاج إلى شرحه، وهو أن الأرواح لا تأكل السمك (لو ٢٤: ٣٦- ٤٣)!

* وأخيرًا، هناك قضية كلاسيكية مازالت في حديثنا اليوم وهي توما الشكاك. لم يكن موجودًا عندما ظهر يسوع للتلاميذ في المرة الأولى. فأخبروه عن هذا الظهور، لكنه سخر من الأمر ولم يرغب في أن يصدق حدوث ذلك. ولسان حاله يقول: «لن أصدق ما لم أرى بعيني. إن لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع إصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أؤمن». إنه بالتأكيد لم يكن مستعدًا لأن يهلوس هو أيضًا!

يعطينا يوحنا تصويرًا في (يوحنا ٢٠) لقصة ظهور الرب يسوع إلى التلاميذ بعد

coptic-books.blogspot.com

ثمانية أيام. وهنا جاء يسوع ودعا توما أن يفحص الدليل في يديه وجنبه. فنظر توما إليه وسقط راكعًا أمامه مقدمًا له السجود وقائلاً: «ربي وإلهي» (يو ٢٠: ٢٨).

ومن ثم يتضح أنه لكي يعتمد المرء على نظرية الهلاوس في تفسير ظهورات المسيح، فإن عليه أن يتجاهل كليًا كل هذه الأدلة والبراهين.

ماذا كان الأمر الذي حوّل حفنة من التلاميذ المرتعبين والجبناء إلى رجال شجعان وقادرين على الإقناع؟ ما الذي غير بطرس الذي كان، في الليلة السابقة للصلب، كان مرتعبًا وخائفًا لدرجة أنه أنكر على الملأ أنه يعرف يسوع. وبعد حاول خمسين يومًا صار أسدًا مغوار، يخاطر بحياته حينما كان يقول إنه رأى يسوع القائم من بين الأموات. وعلينا أن نتذكر أن بطرس وعظ بعظته النارية يوم الخمسين في أورشليم، في المكان الذي حدثت فيه كل هذه الأحداث وبالتالي فقد تعرضت حياته للخطر. لم يكن بطرس في الجليل، بل كان بعيدًا عنه في المكان الذي لا يمكن لأحد فيه أن يحدد الحقائق وفي المكان الذي يمكن لعباراته الرنانة أن تنطلق بلا تحدي. وحدها القيامة الجسدية للمسيح، يمكنها أن تنتج هذا التغيير.

coptic-books.blogspot.com

الأشخاص الذين رأوا الرب يسوع حيًا	المرجع الكتابي
امرأتان خارج أورشليم	متى ٢٨: ٩- ١٠
مريم المجدلية	يوحنا ٢٠: ١٥- ١٨
التلميذان المسافران على الطريق إلى عمواس	لوقا ٢٤: ١٣- ٣٢
بطرس في أورشليم	لوقا ٢٤: ٣٤
عشرة تلاميذ في العلية	يوحنا ٢٠: ١٩- ٢٥
أحد عشر تلميذًا في العلية	يوحنا ٢٠: ٢٦- ٣١
سبعة تلاميذ يصطادون	يوحنا ٢١: ١- ٢٣
أحد عشر تلميذًا على الجبل في الجليل	متى ٢٨: ١٦- ٢٠
أكثر من خمسمائة شخص	١كورنثوس ١٥: ٥
يعقوب	١كورنثوس ١٥: ٥
التلاميذ الذين شاهدوا يسوع في صعوده للسماء	لوقا ٢٤: ٤٤- ٤٩؛ أعمال ١: ٣- ٨

(جدول ٤- ١ ظهورات القيامة)

البرهان المعاصر

أخيرًا، هناك دليل لصالح القيامة يتسم بكونه معاصرًا وشخصيًا. فإذا كان يسوع المسيح قد قام من بين الأموات، فهو حي اليوم، ومستعدًا لأن يدخل ويغير حياة من يدعونه ليدخل إلى حياتهم. هناك الآلاف الآن يعيشون حاملين شهادة

coptic-books.blogspot.com

واحدة أن حياتهم حدث بها تحول جذري بواسطة يسوع المسيح. لقد غيرهم كما وعد أن يفعل. البرهان على الطعام هو في تناوله والاستمتاع به، هكذا الحال مع يسوع المسيح فمازالت الدعوة مفتوحة: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مز ٣٤: ٨). والطريق لقبول عرض التواصل مع المسيح الحي هو طريق مفتوح للجميع.

إيجازًا نقول إذن إننا نستطيع أن نتفق مع كانون ب. ف. ويستكوت، العالم العبقري في جامعة كمبريدج، الذي قال: «بالفعل، إن أخذت كل الدلائل والبراهين معًا، لا يكون من الصعب أن نقول إنه لا يوجد أي حادث تاريخي لديه أسانيد أفضل أو أكثر تنوعًا من حادثة قيامة المسيح. فلا شيء سوى الافتراض السالف الذكر والذي نادي بأنه هذه القصة لابد أن تكون مزيفة أمكنه اقتراح فكرة النقص في البرهان عليها[٢].

coptic-books.blogspot.com

الفصل الخامس

هل الكتاب المقدس هو كلمة الله؟

سمعت عن عائلة مسيحية كانوا يصلون بصوت عالي مع بعضهم عدة مرات كل يوم. يوم ما نظر أصغر طفل في العائلة إلى صورة السيد المسيح التي على حائط المطبخ، وبدأ يحملق بها وقال بشكل عميق: «يسوع، يسوع، يسوع. هذا كل ما أسمعه. ولكنه لا يرد علينا أبدًا».

لحسن حظنا، يسوع يرد علينا في الكتاب المقدس. الرسول بطرس يخبرنا إن الله ابلغنا «أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة» (٢بط ١: ٣). عندما نتأمل الكتاب المقدس باعتباره يشمل كل ما يريدنا الله أن نعرفه عن الألوهية، هنا يمكن لوجهة نظرنا أن تتغير. حقًا الكتاب المقدس ليس كتابًا غير هام. فخالقنا دائمًا ما يوصينا ويذكرنا أن نقرأ التعليمات الخاصة به في كتابه.

مازال يجب علينا أن نطرح سؤالاً: هل الكتاب المقدس هو كلمة الله؟ كيف نعرف أن الكتاب المقدس هو في مجمله كلمة الله؟ ما هي رسالة الكتاب المقدس؟ هل هناك وحدة في رسالة الكتاب المقدس ككل؟ وهو يتضمن الشعر والتاريخ والنبوات والتعليم. هل في هذا كله يتكلم الله؟ ما الذي يكمن وراء القصص والتاريخ الموجودة في الكتاب المقدس؟

coptic-books.blogspot.com

كل هذه أسئلة مهمة، ونقطة الانطلاق في الإجابة عليها تكمن في البحث على مستوى النطاق الواسع، على مجمل الرسائل في الكتاب المقدس. القراءة الحريصة تظهر لنا الله الذي يصيغ الأحداث. القصة تبدأ من خلق عالمنا. ثم نرى الله يتحدث إلى البشرية، ويأخذ المبادرة نحونا. «تكلم الله» هذه العبارة كثيرًا ما تتكرر في الكتاب المقدس. إنه ليس شخصًا يتكلم باسم الله ولكنه الله يتكلم عن نفسه.

تخيل للحظة إن هذا الكتاب هو رسالة من إله السماء يرسلها إلى كل واحد منا. وكلما تزداد في قراءتك، دع النص يلهب حماستك للقراءة أكثر. كبداية جيدة سنلقى نظرة عامة على أول سفر، وهو سفر التكوين، الذي يسرد قصة خلق عالمنا. ثم سنعبر حتى نصل إلى العهد الجديد. ها هو المسيح يتجسد ويأتي إلينا. ونتعرف فيه على معجزاته وأعماله، وعلاقاته الطيبة اللطيفة مع الذين حوله، وتعريفه لنفسه وأخيرا موته المفاجئ ويليه قيامته العظيمة.

إن البشاير الأربعة هي «الجينات النقية للإيمان المسيحي» كما عرفها مالكوم موجيردج. «من مجد هذه الكلمات تم تشييد مباني مهيبة، وأُلِّف باخ موسيقاه، ورسم الجريكو رسوماته، وانهمك القديس اغسطنيوس في كتابة رائعته «مدينة الله» متأثرًا به، وباسكال كتب رسائله الريفية أيضًا عن الكتاب المقدس. وفي هذا الكتاب وجد يوحنا بنيان إلهامه في وصف رحلة الغربة في برية هذا العالم»[1].

ولكن كيف يمكننا أن نعلم الإجابة على هذا السؤال بعيد المدى، هل هذا الكتاب فعلاً كتاب سماوي مرسل من الله نفسه؟ في البداية، يمكننا أن نقول إن الكتاب المقدس نفسه يدعى أنه وحى من الله. وفي حين إن مثل هذه الادعاءات وحدها ليست هي الدليل القاطع والنهائي، ولكنها تمثل مجموعة كبيرة من البيانات التي لا يمكن

coptic-books.blogspot.com

تجاهلها. فالكتاب المقدس يشير بصورة مؤكدة وبطرق عديدة أن كلماته هي كلمات الله، وهذه حقيقة كبرى يجب أن نضعها في الاعتبار.

ليس كتابًا عاديًا

من الواضح أن الكتاب المقدس ليس كتابًا عاديًا أو مألوفا وليس مجرد بحث فلسفي مثل كتابات سقراط أو أفلاطون. إذ أنه يستخدم عبارة «كلمة الله» ٣٩٤ مرة في العهد القديم لكي يشير إلى نفسه، بالإضافة إلى استخدامه مختلف المترادفات مثل الشريعة والتشريع والقواعد والأوامر والأنظمة والوصايا[٢]. وكثيرًا ما كان العهد الجديد يقتبس من العهد القديم باعتباره "كلمة الله". ويظهر لنا هذا بوضوح في (مزمور ١١٩: ١١): «خبأت كلامك في قلبي لكي لا أخطئ إليك».. هذا المزمور الذي يعد نموذجًا للعبقرية الأدبية، حيث يبدأ كل مجموعة مكونة من ثمانية آيات بحرف من حروف الأبجدية العبرية، وجميعها تقريبًا تشير إلى «كلمة الله» بشكل أو بآخر.

وعلى الرغم من أن الكتاب المقدس كتبه حوالي ٤٠ مؤلفًا، إلا أننا نجده يتكلم عن موضوع واحد، وهو اتصال الله بالإنسان وجواب الإنسان عليه. هذا الخيط يسرى في كل الكتاب من البداية حتى النهاية. السفر الأول كتب عام ١١٠٠ قبل الميلاد تقريبًا، و السفر الأخير، سفر الرؤيا، كتب في حوالي عام ١٠٠ بعد ميلاد المسيح. كل من الأربعين مؤلفا أعطى لمحة عن مجي المسيح وخلاصه للبشرية.

بيتهوفن لم يكن وحيًا من الله

الكتاب المقدس يعرف نفسه قائلاً: «كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر» (٢تي ٣ :١٦)

coptic-books.blogspot.com

كلمة الوحي من الله (أو أنفاس من الله أو غيرها من الصيغ في الترجمات) وينبغي عدم الخلط بينها وبين الاستعمال الفضفاض للكلمة، كما هو الحال عندما نقول شكسبير أُلهم وكتب روايات عظيمة، أو عندما نقول إن بيتهوفن أوحي له وألف إلحانًا عظيمة. الإلهام أو الوحي في المنظور الكتابي فريد من نوعه. الله هو الكاتب الأساسي. إن هذه الكلمة لا تشير إلى الكُتاب الأربعين ولكن إلى الكلمات المكتوبة. ويجب أن نتمسك بهذه النقطة الهامة.

تخبرنا عبارة «وحى الله» بوضوح عن الرسالة التي نشأت فيه. فنجد أن نبوات العهد القديم «لم تأتي نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢بط ١:٢١). وهكذا يمكن اعتبار الكتاب المقدس منتجًا إلهيًا. لم تكن هذه مجرد كلمات بشرية ولكنه كلمة الله التي تظهر لنا من خلال كلمات بشرية. ولكن هؤلاء الكتاب لم يكونوا مجرد آلة كتابة. الله لا يضغط عليهم مثل مفاتيح الآلة الكاتبة لكتابة رسالته. الله لم يملى عليهم الكلمات، كما يحاول البعض تصوير الوحي في الكتاب المقدس على شكل رسم كاريكاتيري. وكان من الواضح تمام إن كل كاتب كان له أسلوبه الخاص. فلم تكن طريقة كتابة سفر إرميا مثل إشعياء، ويوحنا لم يكتب مثل بولس. الله يعمل من خلال شخصية الإنسان ولكنه يوجه الكُتاب ويرشدهم لكي ما يكون ما يكتوبه هو ما أراد الله أن يقوله.

دلالة على الأصل الخارق

الكتاب المقدس هو كلمة الله بغض النظر عن الآراء الشخصية. ليس الإيمان فقط هو ما يجعله كلام الله. وأيضا عدم الإيمان لا يجعل الكتاب المقدس ليس كلمة الله. لأنه في كل أجزاء الكتاب المقدس نجد إشارات للأصل الخارق للكتاب المقدس.

coptic-books.blogspot.com

* الأنبياء والكتاب الآخرون كانوا مدركين أنهم ينطقون باسم الله. «كلمة الله تحل علي» ذكرت كثيرا هذه العبارة في آيات العهد القديم. يقول داود: «روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني» (٢صم ٢٣ :٢). وقال إرميا: «ومد الرب يده ولمس فمي، وقال الرب لي: ها قد جعلت كلامي في فمك» (إر ١ :٩).

ثم بعد ذلك عندما قام بعض الكُتاب المتأخرين للكتاب المقدس باقتباس نصوص أقدم من الكتاب المقدس أيضًا، فقد كانوا يقتبسونها على أساس أنها كلمة الله وليس على أنها كلام أحد الأنبياء فقط. على سبيل المثال بولس كتب: والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يبرر الأمم، سبق فبشر إبراهيم أن «فيك تتبارك جميع الأمم».. (غل ٣ : ٨).

جاء الحديث في بعض الفقرات في الكتاب المقدس كما لو أنه هو الكاتب. على سبيل المثال: «أيها السيد، أنت ... القائل بفم داود فتاك: لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل؟» (أع ٤ : ٢٤-٢٥) مقتبسة عن (مز ٢ :١). يشير بنچمين ويرفيلد إلى أن هناك حقيقة ثنائية فبعض النصوص الكتابية مكتوبة على أساس أنها من أقوال الله مباشرة والبعض الآخر مكتوب على أن الله ذاته هو من يقوم بالكتابة. وهذا ممكن أن يدل على أنه في ذهن الكاتب أن النص المكتوب كان هو كلام الله. أصبح من الطبيعي عندما نقول «النص يقول» أو عندما نقول «الله يقول» يكون المفهوم هو «النص الذي هو كلمة الله يقول» طريقتين للتعبير، معا يضعان لنا تعريفًا مطلقًا لكلمة «النص المقدس وكلمة الله»[٣].

كُتَّاب العهد الجديد كانوا واضحين تمام أن لديهم نفس السلطة التي كانت لدى كتاب العهد القديم. قال الرب يسوع إن يوحنا المعمدان نبي وأفضل من نبي

coptic-books.blogspot.com

(مت ١١: ٩- ١٥). وكما وضعها چوردن كلارك «أنبياء العهد الجديد كانوا يوحى لهم مثلهم مثل أنبياء العهد القديم تمامًا»[٤].

زعم بولس أنه يمتلك سلطانًا نبويًا: حينما قال: «إن كان أحد يحسب نفسه نبيًا أو روحيًا، فليعلم ما أكتبه إليكم أنه وصايا الرب» (١كو ١٤: ٣٧).

يتكلم بطرس عن رسائل بولس بأنها «فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين، كباقي الكتب أيضًا، لهلاك أنفسهم (٢بط ٣ : ١٦) وإشارته لهذه الكتابات على نفس المستوى مع «باقي الكتب» يظهر لنا أن بطرس ينظر لكتاب العهد الجديد على أنهم يملكون السلطة النبوية ذاتها.

وجهة نظر يسوع المسيح في الكتاب المقدس

الأمر الأكثر أهمية من الكل هو وجهة نظر الرب يسوع فيما يتعلق بالكتاب المقدس. ماذا كان يعتقد بخصوصه؟ كيف استخدمه؟ فلنحاول إجابة هذه الأسئلة، سنجد الإجابة في كلمة الله المتجسد نفسه، الرب يسوع المسيح الذي تكلم عنه الكتاب المقدس كلمة الله المكتوبة.

كان اتجاه يسوع يمتاز بالشفافية تجاه العهد القديم حينما قال: «فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» (مت ٥: ١٨). كما قام بالاقتباس من العهد القديم كمرجع له في كثير من الأحيان، واستخدم كثيرا كلمة «مكتوب» مثلا في التجربة التي جربه بها إبليس له في البرية (مت ٤). وبعد قيامته تحدث عن نفسه وعن الأحداث التي حدثت معه على أنها حقائق من العهد القديم ولابد إن تحدث "كيف تكمل الكتب: أنه

coptic-books.blogspot.com

هكذا ينبغي أن يكون؟ وأما هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الأنبياء» (مت ٢٦:٥٤-٥٦).

عندما بدء يسوع بالتعليم، دخل مجمع الناصرة المكان الذي نشأ فيه. ودفع له كتاب إشعياء النبي. وفتح يسوع الكتاب وابتدأ بقراءة نص مكتوب منذ أكثر من ثمانمائة عام. وهو نص من سفر إشعياء ٦١: ١-٢، وأعطاه للخادم مرة أخرى وجلس. وكانت عيون جميع الحاضرين في المجمع شاخصة إليه وخاصة عندما قال هذه الكلمات: «إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم».

تخيل الصدمة التي حدثت لهم بعد أن أعلن إتمام النبوءة المكتوبة من أكثر من ثمانمائة عام مضى. القديس لوقا سجل لنا في إنجيله: «وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه» (لو ٤: ٢٢). الجموع التي شاهدته طالبته بأن يفعل معجزة لهم. مع أنهم شعروا بأنه يستحق التقدير الشديد عندما قرأ لهم هذه الكلمات

«روح الرب على،

لأنه مسحني لأبشر المساكين،

أرسلني لأشفي المنكسري القلوب،

لأنادي للمأسورين بالإطلاق،

وللعمي بالبصر،

وأرسل المنسحقين في الحرية،

وأكرز بسنة الرب المقبولة». (لو ٤: ١٨- ١٩)

coptic-books.blogspot.com

وربما أكثر المواقف التي أعلن فيها تأييده للعهد القديم عندما صرح قائلا: «لا يمكن أن يُنقض المكتوب» (يو ١٠: ٣٥). نحن نعرف يسوع المسيح على أنه المخلص والسيد، وهذا سيخلق تناقضًا غريبًا وغير مقبول في حالة قولنا إن الكتاب المقدس ليس كلمة الله. وهذا سيضعنا في موقف تعارض مع المخلص الوحيد الذي نعرفه على انه الإله الأبدي، خالق كل الخليقة.

البعض اقترح إن وجهة نظر السيد المسيح بخصوص العهد القديم، على أنه أخضع نفسه للتصورات السائدة في وقته وبين سامعيه. وبمعنى آخر أنه كان يساير وجهة النظر السائدة في ثقافته ومجتمعه في بعض الأحيان. والنظرية هي أنه طالما أن المعلمين في المجامع قبلوا كتابات العهد القديم على أنها مصدر موثوق به، لذلك فقد استخدم يسوع العهد القديم للحصول على قبول أوسع وأكبر لتعليمه.

كما أظهرت لنا حادثة مجمع الناصرة التي سبق ذكرها، فإن هناك صعوبات جمة تواجه هذه الأطروحة. اعتراف يسوع بالعهد القديم لم يكن اعترافًا سطحيًا أو ظاهريًا. بل كان هو قلب وأساس تعاليمه وكان العهد القديم متعلقًا به وبأعماله. من جهة أخرى في حالة عدم استخدامه للعهد القديم سيكون مذنبًا وسيحكم عليه بأنه يبتكر ديانة جديدة. علاوة على ذلك كيف سيلاءم نفسه في بعض النقاط والبعض الآخر لا؟ هذا بلا شك موقف ضعيف.

تعريفات نافعة

بعض التعريفات التي من الممكن أن نضيء لفهمنا أن الكتاب المقدس هو كلمة الله.

هل قبولنا للكتاب المقدس على أنه كلمة الله يساوي تماما أن نأخذه ونطبقه

coptic-books.blogspot.com

بشكل حرفي؟ إن السؤال الذي يقول: «هل تؤمن بما يقوله الكتاب المقدس بصورة حرفية؟» يشبه تمامًا السؤال الذي يقول «هل توقفت عن تعذيب زوجتك؟» حيث أن الإجابة سواء بنعم أو لا سوف تجلب الإدانة للشخص الذي يرد. كلما طرح السؤال، فان كلمة حرفيًا تحتاج إلى توضيحها بعناية.

«المنظور الحرفي» للكتاب المقدس لا يعنى أننا لا ندرك التشبيهات والأساليب البلاغية الموجودة في النص الكتابي. عندما قال إشعياء: «ولك شجر الحقل تصفق بالأيادي» (إش ٥٥:١٢) والمرنم قال: «الجبال قفزت مثل الكباش» (مز١١٤:٤) لا يوجد قراءة عقلانية لهذه التشبيهات تظهر لنا أن الكتابة كانت بشكل حرفي. هناك شعر ونثر ونصوص أخرى حرفية استخدمت. المنظور الحرفي يفسر أي فقرة من الكتاب المقدس بالمعنى الذي كان الكتاب يرغب في توصيله للقراء. وهذا هوة نفس المبدأ الذي نتعامل به عندما نقرا الجريدة، حيث يكون من السهل جدًا التمييز بين الأساليب البلاغية وبين العبارات التي يقصد الكاتب أن يتعامل مع القراء بشكل حرفي – خاصة في صفحة الرياضة!

وفي المقابل، إذا لم نتعامل مع الكتاب المقدس حرفيًا، يمكن بسهولة أن ننحرف عن المقصد الواضح للكاتب. فمثل هذا الاتجاه الذي يرفض الحرفية يمكن أن يأخذ بعض الأحداث الكتابية (مثلاً: سقوط البشرية أو المعجزات) على أنها قصص خيالية جاءت في الكتاب المقدس فقط لتصور وتنقل لنا الحقيقة الروحية.

سوف يقول معتنقو هذا الرأي أن هذا يشابه القول: «لا تقتل الأوزة التي تبيض لك البيضة الذهب». فالحقيقة فيها لا تتعلق بالواقعية الحرفية لوجود مثل هذه الأوزة التي تبيض بيضة ذهبية في الخرافة المشهورة. هنا تقول وجهة النظر هذه إننا

coptic-books.blogspot.com

نحتاج ألا نركز على تاريخية الأحداث والسجلات الكتابية لكي ما نستمتع وندرك الحق الذي ينقله لنا النص الكتابي. بل أن بعض الكتاب طبقوا هذا المبدأ حتى على صليب يسوع المسيح وقيامته. ولذلك فقد صار تعبير «التعامل مع الكتاب المقدس بحرفية" تعبيرًا غامضًا ويجب تعريفه بدقة لتجنب الارتباك الشديد.

باختصار، أولاً: تطبيق هذا الفكر يتجنب المعنى الواضح والمقصود من كلمات الكتاب المقدس. كما أنه يضيع الوحدة الكلية التي تبدأ في التكوين حيث عهد الله أن يخلص «كل العالم» ويتمم هذا العهد حرفيًا في يسوع المسيح. ثانيًا: إن تطبيق هذا المبدأ يجعل الأحداث الكتابية مثل الصليب وقيامة يسوع المسيح مجرد قصص غير واقعية وعديمة الأهمية. ثالثًا: يؤدي هذا الرأي إلى تفسير انتقائي يحذف أي أفكار ذات الصلة بالوحي الإلهي للكتاب المقدس. ولذا، فإن تعبير «التعامل بحرفية مع الكتاب المقدس» غامض ويجب تعريفه بدقة للمساعدة على الفهم.

يعد مبدأ «عصمة الكتاب المقدس» تعليمًا آخر شديد الأهمية وهو أيضًا يحتاج على تعريف دقيق. فما الذي تعنيه العصمة وما الذي لا تعنيه؟ وهذا المبدأ أيضًا يمكن أن يساء فهمه. ويمكن تقديم التعريف العام التالي: في المخطوطات الأصلية، فإن الأفكار التي أراد الله أن تُكتب قد كُتِبَت، كذا فإن الكلمات التي استخدمها الكُتَاب كانت خاضعة لحماية الله.

إن معايير القرن العشرين بشأن الدقة العلمية والتاريخية بخصوص الكُتّاب الذين كتبوا نصوص الكتاب المقدس لا تصلح إطلاقًا على هذه النصوص تمامًا كما على كتابات قديمة أخرى. على سبيل المثال، يصف الكتاب المقدس الأشياء ظاهريًا، أي كما تظهر في شكلها الخارجي. فهو يتحدث عن الشمس التي تشرق وتغرب.

coptic-books.blogspot.com

وبالطبع، نحن نعلم أن الشمس لا تشرق أو تغرب فعليًا لكن الأرض هي التي تدور. نحن نستخدم تعبير شروق الشمس وغروبها، حتى في عصر الاستنارة العلمية، لأن هذه طريقة مناسبة لوصف ما يبدو أنه يحدث. وبالتالي، لا يمكننا أن نتهم الكتاب المقدس بأنه أخطأ عندما يتحدث عن الأمور بحسب ظاهرها. فهو يتحدث بهذه الطريقة، تمامًا كما يفعل الناس في كل الثقافات والعصور.

نفس معايير الدقة في الأمور التاريخية لم تكن مستخدمة في الأزمنة القديمة. فعلى الرغم من كثرة ما بالكتاب المقدس من تصوير للحروب والأسر الحاكمة وفترات حكم الملوك، إلا أنه كان يستخدم أرقامًا تقريبًا وليست أرقامًا دقيقة ومضبوطة. واليوم نحن أيضًا نفس الأمر ذاته. فعندما تقدر الشرطة عدد المتظاهرين مثلاً، نعرف أن هذا الرقم ليس دقيقًا ولكنه قريب بما يكفي لأجل الغرض المطلوب منه.

قد تكن بعض الأخطاء الظاهرة ليست سوى أخطاء في النسخ عند نسخ المخطوطات يدويًا. اخترع جوتنبرج الطباعة وطبع أول كتاب مقدس باللغة اللاتينية في ١٤٥٠ تقريبًا. وعلى الرغم من العمل الناتج عن عملية النسخ باليد، إلا أن هذا العمل استخدم في السابق لنسخ الكتاب المقدس أثناء القرون السابقة لجوتنبرج. والأمر الجدير بالملاحظة، أن الدليل قد أثبت الدقة الإجمالية للنصوص الكتابية برغم النسخ من نسخة لأخرى عبر مرور الزمن وبنسبة أخطاء ضئيلة للغاية وذلك نتيجة للعناية الفائقة التي كان النساخ يمنحونها لكل نسخة.

بمقارنة هذه الآلاف من الوثائق الكتابية، هناك بعض المشكلات تبدو حتى الآن غير قابلة للتفسير. يمكننا أن نعترف بذلك بلا خوف، متذكرين أوقاتًا عديدة في الماضي عندما تم حل العديد من التناقضات المحتملة في النص حينما توافرت المزيد

coptic-books.blogspot.com

من المعلومات. ولذلك، فإن الموقف المنطقي الذي علينا اتخاذه هو: أنه عندما تكون هناك مناطق تبدو متناقضة، يجب إرجاء المشكلة قليلاً. ويمكننا أن نقر بعدم قدرتنا في الوقت الحاضر على تفسير هذه المشكلة، ولذلك فنحن ننتظر لإمكانية الحصول على معلومات جديدة. فإن تواجد المشكلات لا يمنعنا من قبول الكتاب المقدس باعتباره كلمة الله الفائقة[٥].

النبوءات المدهشة

مزيد من التأكيد أن الكتاب المقدس هو كلمة الله نجده في العدد الهائل الذي يحتويه من النبوءات التي تحققت بالفعل.

هذه النبوءات لم تكن كلمات عامة غامضة وفضفاضة مثل التي تعطيها لك قارئة البخت أو الطالع: «رجل وسيم / امرأة جميلة ستدخل حياتك قريبًا». مجرد تكهن عرضة لسوء الفهم من الشخص الباحث عن معرفة مستقبله. العديد من نبوات الكتاب المقدس كانت دقيقة جدا في تفاصيلها، ومصداقية وصدق النبي يتوقفان عليها. يُوضحُ الكتاب المقدّس بنفسه بأنّ النبوءةَ المتحققة إحدى أدلّةِ الأصلِ الخارقِ لكلمةِ أنبيائها (إر ٢٨: ٩).

إن عدم تحقيق النبوة يجعل هذا النبي كاذبا. وتقول كلمة الله في سفر التثنية: «وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه» (تث ١٨: ٢١- ٢٢).

يَرْبطُ إشعياء كَشْف الأنبياء المزيّفين أيضًا بفشلِ نبواتهم المستقبلية. «ليقدموها

coptic-books.blogspot.com

ويخبرونا بما سيعرض. ما هي الأوليات؟ أخبروا فنجعل عليها قلوبنا ونعرف أخرتها، أو أعلمونا بالمستقبلات. أخبروا بالآتيات فيما بعد فنعرف أنكم آلهة، وافعلوا خيرًا أو شرًا فنلتفت وننظر معًا» (إش ٤١ :٢٢-٢٣).

ونرى في العهد القديم ثلاثة أنواع من النبوات.

نبوات عن المسيا القادم، الرب يسوع المسيح، وهي مذهلة في تفاصيلها. اقتبس كتاب العهد الجديد النبوات من العهد القديم لتظهر لنا أن المسيح حقق كل تفاصيل النبوات التي كتبت قبلها بأكثر من ثمانمائة عام قبل مجي المسيح. والكثير منها كتبها أنبياء من خمسمائة إلى ألف عام قبل مجي المسيح إلى الأرض. الكم الهائل من التفاصيل في النبوات التي تحققت لا يمكن أن يحدث في أي ديانة أخرى في العالم أجمع.

يمكننا ذكر عدد بسيط كنموذج من النبوات. أشار يسوع إلى بعض النبوات التي تنبأت عنه في واحدة من أكثر دراسات العهد القديم إثارة. بعد حوار يسوع مع تلميذين كانا في طريقاهما إلى عمواس. «فقال لهما: أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء! أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده؟» ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب (لو ٢٤: ٢٥-٢٧).

(إشعياء ٥٢:١٣ - ٥٣:١٢) من أكثر الأمثلة روعة في النبوات التي ذكرت عن السيد المسيح. إن احتمالات حدوثها بالمصادفة تكاد تكون منعدمة تمامًا. ستجد خمس عشرة كلمة أو عبارة في هذه الآيات تلاءم حياة السيد المسيح تمامًا. تتعلق بحياته والرفض الذي تعرض له في خدمته، وموته، دفنه ورده على الحكم الذي كان عليه. هذه النبوءة كتبت قبل حياة المسيح بثمانمائة عام!

coptic-books.blogspot.com

(ميخا ٥:٢) هو إيضاح مميز لنبوة عن المسيح وتفصيل تاريخي: «أما أنت يا بيت لحم أفراتة، وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطًا على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل».

لقد تطلب الأمر أن يصدر أغسطس قيصر مرسومًا لإحصاء السكان، مما جعل يوسف النجار والعذراء مريم يرحلا من الناصرة إلى بيت لحم أَفْرَاتَةَ حيث وُلِد يسوع. وقد أضيفت كلمة أفراتة لأن هناك بيت لحم ثانية شمال هذه. النص الكتابي كان مذهلا في دقة وصف هذا الحدث.

وهناك أيضا نبوءات خاصة بالملوك و الأمم والمدن. ومن أكثرها جدارة بالملاحظة هي ما حدث مع مدينة صور في (حزقيال ٢٦). وتسرد لنا التفاصيل كيفية سقوط صور وتدميرها، كان النص شاملاً في وصفه عن تدميرها وحقيقة أنها لن تبنى مرة أخرى أبدًا (حز ٢٦: ٤). وكيف تحقيق النبوءة على يد نَبُوخَذْرَاصَّرَ ومن بعده الهجوم الوحشي من الإسكندر الأكبر يظهر لنا كم الإيضاح الهائل من الدقة والصدق في نبوءات الكتاب المقدس.

هناك أيضا بعض النبوءات الخاصة بالشعب اليهودي، وسنقوم بالاستشهاد ببعض هذه النبوءات المذهلة فقط.

السبي إلى جميع الأمم الذي تنبئ به موسى وهوشع: «يجعلك الرب منهزمًا أمام أعدائك. في طريق واحد تخرج عليهم، وفي سبع طرق تهرب أمامهم، وتكون قلقًا في جميع ممالك الأرض» (تث ٢٨: ٢٥). «يرفضهم إلهي لأنهم لم يسمعوا له، فيكونون تائهين بين الأمم». (هو ٩: ١٧). يتنبأ إرميا ٣١ لنا بعودة شعب إسرائيل بشكل مدهش مرة أخرى للاجتماع كأمة. ولقرون اعتبر هذا شيئًا مستحيلاً. وأيضا هناك

coptic-books.blogspot.com

بعض الإحداث في عصرنا الحالي، قد تمثل على الأقل تحققًا جزئيًا لهذه النبوات.

وليس لأحد إن ينكر قوة النبوات المتحققة كدليل على الإرشاد الإلهي في كتابة الكتاب المقدس. وعلاوة على ذلك، فيما يلي نعرض بعض النبوات التي لا يمكن أن تكون قد كُتِبَت بعد وقوع الأحداث التي تنبأت عنها (انظر الجدول ٥ – ١).

إحداث في حياة يسوع	العهد القديم	العهد الجديد
الولادة في بيت لحم	ميخا٥:٢	لوقا٢ :٤–٧
تسليمه مقابل ٣٠ من الفضة	زكريا ١١:١٣	متى ٢٦:١٥
شراء حقل الفخاري بالفضة	زكريا١١:١٣	متى ٢٧:٧
السكوت عند المحاكمة	إشعياء٥٣:٧	متى ٢٧ :١٢–١٤
الحكم عليه مع المجرمين	إشعياء٥٣:١٢	لوقا ٢٣ :٣٢–٣٣
العطش الهائل قبل موته	مزمور٢٢:١٥	يوحنا ١٩:٢٨
سكوته عند المحاكمة	مزمور٥٣:٧	متى ٢٧ :١٢-١٤
ثقب الأيادي والأرجل	مزمور٢٢:١٦	يوحنا١٩:١٨
الطعن بعد موته	إشعياء ٥٣:٥	لوقا ٢٣:٤٦
دفنه بواسطة رجل غني	إشعياء٥٣:٩	متى ٢٧ :٥٧–٦٠
الآلام ليست هي النهاية	إشعياء ٥٣:١١	لوقا ٢٤ :١–٨

(جدول ٥ –١) الأحداث التي جاءت نبوات عنها وتحققت في حياة يسوع

coptic-books.blogspot.com

الله يتحدث من خلال كتابه

الآن لدينا عدد من الأدلة التي يمكن للمرء الاستناد عليها في إيمانه بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله. فبينما يقرأ الشخص الكتاب المقدس، فإن تأكيد الروح القدس هو ما يحول في النهاية كل شك إلى إيمان بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله. وأي شخص ينظر إلى الأدلة ويقرأ الكتاب المقدس، فإن «النص يشرق عليه»، بحسب وصف جوردون كلارك، ويدرك أن الكتاب المقدس هو كلمة الله[٦]. هذا الإدراك هو عمل روح الله القدوس وهو لا يحدث مطلقًا على سبيل العبث بل يكون لهدف معين. وبينما يقرأ المرء، يستنير عقله، ويلمس الله قلبه وهنا يأتي التمييز الحاسم لرسالة الكتاب المقدس.

بعد حديث تلميذي عمواس مع المسيح المقام من الأموات، سألا نفسيهما: «ألم يكن قلبنا ملتهبًا فينا» (لو ٢٤: ٣٢). ونفس هذا الاختبار يحصل لنا، حينما نصل، بمساعدة الروح القدس، إلى القناعة بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله. ونتغذى به ومن خلاله نقترب إلى محضر الله الذي هو المؤلف الذي هو الله نفسه.

coptic-books.blogspot.com

الفصل السادس

هل يمكن الاعتماد على وثائق الكتاب المقدس؟

منذ عدة سنوات مضت ظهرت مقالة في إحدى المجلات تحاول إبراز أن هناك آلاف من الأخطاء في الكتاب المقدس. ثم جاء السؤال بعد ذلك: فكيف نعرف أن نص الكتاب المقدس كما هو لدينا الآن، والذي قد وصل إلينا عبر العديد من الترجمات والنسخ عبر القرون، ليس مجرد انعكاس باهت للنص الأصلي؟ ما الضمان الذي لدينا ليثبت أن ما حدث من حذوفات وإضافات لم يغير أبدًا الرسالة الأصلية للكتاب المقدس؟ ما الاختلاف الذي تحققه الدقة التاريخية للكتاب المقدس؟ ولكن بالتأكيد الشيء الوحيد الذي يهمنا بشدة هو الرسالة!

إن المسيحية تمتد بجذورها في التاريخ. فيسوع المسيح قد تم إحصاؤه ضمن الإحصاء الرسمي الروماني. فإذا كانت الإشارات التاريخية في الكتاب المقدس ليست صحيحة، فقد تظهر العديد من الأسئلة القاتلة. كذا، هل الأجزاء الروحية من ضمن رسالته صحيحة أيضًا، على اعتبار أنها جاءت في إطار أحداث تاريخية؟ وهل الأسفار التي بداخل الكتاب المقدس الآن في أساسها هي نفس الوثائق التي كانت لدى الناس مثل ألفين سنة مضت؟ وكيف نعرف إذا ما كان ينبغي ضم أسفار أخرى؟ هذه الأسئلة وغيرها تستحق أن نجيب عليها.

في البحث عن إجابات لهذه الأسئلة، دعنا أولاً نُذَكِّر أنفسنا بالحقائق الأساسية التي نبني عليها من الفصول السابقة.

coptic-books.blogspot.com

هناك أساس منطقي من الحقائق يدفعنا للإيمان بوجود الله والمسيح يسوع، فهذا الإيمان لا يناقض العقل على الإطلاق.

الله موجود وهو إله شخصاني ويمكن التعرف عليه. وهو يرغب في التواصل معنا، نحن خليقته.

لقد جاء الله إلى الأرض في التجسد وقيامة يسوع المسيح أسست هذه العلاقة معنا.

الله استخدم وسيلة الكلمات في الكتاب المقدس لكي يعلن نفسه وسمات شخصيته وخطته لفدائنا.

الآن ننتقل لفحص هذا الكتاب لمعرفة ما هي شهادات اعتماده وموثوقيته. يصف الكتاب المقدس أحداث تغطي أجيال عديدة، وقد كُتِبَت النصوص على يد حوالي أربعين كاتبًا. وبالتأكيد فإن دقة وأمانة هذه القصص والسرد لها أهمية فائقة، كما أن عملية التثبت من دقة هذه النصوص ليست مهمة سهلة. إن فحص الأسفار وأصولها يسمى علم نقد النص (text criticism). وهو له علاقة بمدى موثوقية النص، أي كيف يمكن مقارنة النص الحالي مع الأصول وما مدى دقة نسخ المخطوطات القديمة إلى أن وصلت إلينا الآن.

قبل مرحلة الطباعة

بالطبع فإن المخطوطات القديمة لم يكن بها صفحات كما هو شكل الصفحات اليوم. فبالنسبة للعهد القديم، كان الألواح الخزفية والخشبية هي السائدة. كما كان يستخدم أيضًا البردي والرقاق الجلدية ثم تطوى في لفائف. لقد تم العثور على قطع

coptic-books.blogspot.com

من الفخار وحتى شظايا معدنية مطروقة. ولا يوجد ذكر للحبر إذ لم يكن هناك أكثر من قلم حديدي للنحت أو قلم من القصب يتم تحديده بسكين. وحيث أنه لم يكن باستطاعة الجميع القراءة أو حيازة اللفائف، لذلك فقد تم تخصيص مكانة كبيرة للقراءة العامة والسماع للوثائق. وهذا يساعد فهمنا للتركيز على «سماع كلمة الرب» في العهد القديم[1].

لكن الأمر اختلف عند حوالي سنة ١٤٥٦م عندما اخترع جوتنبرج أول ماكينة طباعة ذات حروف يمكن تحريكها وطبع أول كتاب له وهو الكتاب المقدس باللغة اللاتينية. ومنذ تلك اللحظة فصاعدًا، أصبح الوصول إلى الأسفار الكتابية وقراءتها أمر يسير ومتزايد بشكل هائل.

لقد كان عمل «النساخ» أو «الكَتبة» مع اللفائف شديد الحرفية وكانوا يبذلون أقصى الجهد في أداء مهمتهم. فبالنسبة للعبرانيين، كان يقوم بهذه المهمة يهود أتقياء في غاية التكريس. وحيث أنهم كانوا يؤمنون أنهم يتعاملون مع كلمة الله، لذلك كانوا واعيين تمامًا بالفعل بالحاجة إلى العناية والدقة المطلقة. ويمكن رؤية إخلاصهم وتقواهم في العادات مثل غسل القلم قبل كتابة اسم الله، ثم نسخ حرف واحد في كل مرة، وحساب عدد حروف النسخة الأصلية والنسخ المنسوخة. وفي بعض الحالات عندما يُكتشف وجود أخطاء في النسخ، كانت المخطوطة كلها يتم إتلافها.

إن أقدم النسخ الكاملة وأكثرها تداولاً للعهد القديم العبري ترجع لحوالي سنة ٩٠٠ ميلاديًا. وهي تسمى النص الماسوري، وهو من إنتاج مجموعة من النساخ اليهود القادرين الذين أطلق عليهم اسم «الماسوريين» (حرفيًا «الناقلين»)، وهم حراس أمناء على النص العبري منذ سنة ٥٠٠م. وحتى سنة ١٠٠٠م. والنص العبري للعهد

coptic-books.blogspot.com

القديم الذي يستخدم اليوم يسمى النص الماسوري، وهو يؤيد مدى جودة العمل الذي تم منذ أكثر من ١٠٠٠ سنة مضت. وجميع النسخ الموجودة حاليًا من النص العبري تتفق بشكل ملحوظ مع هذا النص. لقد كان النسخ والتصحيح اللغوي بالفعل فن مهاري. وكان يتم فحص دقة النص المنسوخ من خلال مقارنته مع النسخ اللاتينية واليونانية من نفس الفترة الزمنية.

لفائف البحر الميت

في سنة ١٩٤٧ علم العالم عن ما سمي بأعظم الاكتشافات الأثرية للقرن. ففي كهوف في وادي البحر الميت، تم اكتشاف أواني قديمة تحتوي على لفائف أصبحت الآن مشهورة باسم لفائف البحر الميت. ومن هذه اللفائف يتبين أن مجموعة من اليهود المكرسين عاشوا في مكان بالقرب من البحر الميت يسمى وادي قمران منذ حوالي ١٥٠ ق. م. وحتى ٧٠ م.

كانت المجموعة التي عاشت في وادي قمران مجتمعًا أخويًا، يدار بشكل شبيه للغاية بالأديرة. وبالإضافة إلى حرث الحقول فإنهم قضوا وقتهم في دراسة ونسخ الكتابات المقدسة. وبدا واضحًا لهم في سنة ٧٠م أن الرومان قادمون لغزو الأرض. فوضعوا لفائفهم الجلدية في أواني خزفية وخبئوها في كهوف عند سفح الجانب الغربي من البحر الميت.

وفي ظل عناية الله ظلت هذه اللفائف موجودة ولم تُعرف حتى اكتشفها عن طريق الصدفة فتى بدوي كان يرعى بعض الأغنام في فبراير أو مارس ١٩٤٧. وجاء بعد هذا الاكتشاف عمليات استكشاف دقيقة للمنطقة، نتج عنها اكتشاف ١١ كهفًا آخر بها بعض اللفائف. وقد تضمن الاكتشاف أقدم مخطوطات لنسخ كاملة من

coptic-books.blogspot.com

سفر إشعياء، وهناك واحدة أخرى تضمنت حوالي ثلثي السفر. وجاءت الاكتشافات اللاحقة لتجلب شذرات من كل أسفار العهد القديم فيما عدا سفر أستير.

علاوة على ذلك، كانت هناك نسخة متشظية تحتوي على الكثير من سفر إشعياء من إصحاح ٣٨ - ٦٦. كما تم أيضًا اكتشاف سفري صموئيل، في نسخة ممزقة، إلى جانب أصحاحين كاملين من سفر حبقوق. كذلك عُثِر على عدد من الكتابات من خارج الكتاب المقدس، من بينها قواعد هذه الجماعة القديمة.

فوائد هذه اللفائف

أكدت دقة ١٠٠٠ سنة من التسجيل والتاريخ العبري، أي من ٢٠٠ ق. م. وحتى ٩١٦م.

ترجمة اللفائف والنص الرسمي المستخدم في هيكل أورشليم يدعمان دقة أحدهما الآخر فوق كل المخطوطات الأخرى.

الدليل الواسع الذي عُثِرَ عليه قوى ثقتنا في الأمور التاريخية السابقة والتي لم يُكشف عنها. وكنتيجة لذلك فإن النسخ الأقدم من الأسفار الخمسة الأولى والكتابات التاريخية أيضًا صار لها مصداقية أعلى كثيرًا.

يمكن بسهولة رؤية مدى أهمية هذا الاكتشاف، بالنسبة لهؤلاء الذين يتساءلون عن مدى دقة نص العهد القديم. في ضربة واحدة مثيرة تحققت في أن هذا الاكتشاف جعلنا نرجع إلى الوراء حوالي ألف سنة، مما أغلق الفجوة في الزمن بين المخطوطات التي لدينا الآن وبين المخطوطات القديمة. هذا الأمر يشبه لو أنك علمت أن اللوحة التي تملكها لا ترجع إلى ٢٠٠ عام بل ١٠٠٠ عام. إن المقارنة بين لفائف البحر

coptic-books.blogspot.com

الميت وبين النص الماسوري نتج عنه اكتشاف مدى الدقة الهائلة في عملية نسخ المخطوطات والنسخ.

ما الذي تعلمناه في الواقع؟ إن المقارنة بين مخطوطات قمران لإشعياء ٣٨ - ٦٦ مع النص الذي بين أيدينا يعطينا صورة مذهلة. فقد وجد العلماء:

إن النص قريب للغاية من النص الماسوري. فمقارنة إشعياء ٥٣ تظهر أن هناك ١٧ حرفًا فقط بهم اختلاف عن النص الماسوري. وهناك ١٠ منها مجرد خطأ في التهجئة، مثل أن نكتب كلمتين بلهجتين مختلفتين ولا يحدث عنها أي تغيير في المعنى على الإطلاق. وهناك أربعة منها تمثل اختلافات ضئيلة للغاية، وهي غالبًا لها علاقة بأسلوب الكتابة فقط. أما الثلاثة حروف الأخيرة فهي الكلمة العبرية التي تعني «نور» والتي تم إضافتها بعد «من تعب نفسه يرى» في الآية ١١. فمن ما مجموعة ١٦٦ كلمة في هذا الإصحاح، لا يوجد سوى تلك الكلمة هي ما يمكن اعتبارها فعلاً محل تساؤل، وهي لا تغير على الإطلاق معنى الفقرة. وهذا ينطبق تمامًا المخطوطة كلها[٢].

النسخ المهمة

لقد هاجر الشعب العبري عبر شرقي آسيا نتيجة لترحالهم وحروبهم. وقد تم العثور على مخطوطات أخرى من مصر وحتى روما. إن مقارنة هذه النسخ مع بعضها البعض يدعم ثقتنا في المصداقية التاريخية للأحداث المبكرة في العهد القديم.

السبعينية: وهي نسخة يونانية من العهد القديم وهي أقدم واحدة وأهمها

coptic-books.blogspot.com

جميعًا. إن توسع وانتشار اليهود في جميع أنحاء الشرق الأوسط القديم وكذلك مجيء الإسكندر الأكبر من اليونان في حوالي سنة ٢٥٠ ق. م. كان لهما تأثير كبير على إضفاء الطابع اليوناني على الثقافة في تلك المنطقة. ونتيجة لذلك أصبح الكثير من الشعب اليهودي لا يعرفون اللغة العبرية بل اليونانية وحدها، ولذلك لم يستطيعوا ممارسة العبادة في الهيكل. فجاءت الترجمة اليونانية التي تسمى السبعينية لأنها، كما يقال، كتبها ٧٢ عالم يهودي في القرن الثالث ق. م. وأصبحت جسرًا لفهم التاريخ والفكر اللاهوتي العبري الموجود في العهد القديم.

النسخة السريانية: المكتوبة باللغة الآرامية الخاصة بسوريا وهي أقدم وأهم ترجمة بعد السبعينية. وقد استمرت تستخدم مع بعض التنقيحات الأخرى للسبعينية.

النسخة السامرية: وهي نسخة أخرى قديمة مشابهة للنسخ الأخرى. وهذه النسخة تتضمن نسخ من الأسفار الخمسة الأولى العبرية. وبالتأكيد فإن هذه النسخة جاءت نتيجة للانقسام بين يهود أورشليم وبين السامريين. وهناك نسخ من اللفائف القديمة للأسفار الخمسة الأولى موجودة اليوم في مدينة نابلس (شكيم)، بفلسطين.

هذه وغيرها من النصوص وُجِدَت منذ عام ٢٠٠ ق. م. ويمكننا أن نتوصل مع لايرد هاريس إلى:

يمكننا الآن التيقن من أن الناسخين عملوا بعناية بالغة ودقيقة شديدة على نسخ العهد القديم، ويمكننا التثبت من ذلك بأدلة ترجع حتى إلى سنة ٢٢٥ ق. م. وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات بينهم، إلا أنها كانت ضئيلة للغاية حتى أننا يمكننا أن نستدل أن النساخ السابقين لهم كانوا أيضًا أمناء وحذرين للغاية في نقل

coptic-books.blogspot.com

نص العهد القديم. وبالفعل، فإنه سيكون من قبيل التشكيكية المتهورة أن ننكر اليوم امتلاكنا لنص للعهد القديم في هيئة قريبة للغاية من تلك التي استخدمت من قِبَل عزرا الكاهن عندما علَّم الشريعة للشعب العائد من السبي البابلي حوالي سنة ٤٥٧ ق. م. (عز ٩- ١٠)[٣].

وثائق العهد الجديد

ليس هناك أكثر من ١٠٠٠ قطعة من كل العهد الجديد قد تأثرت بالاختلافات في القراءة. تلك كانت الخلاصة التي توصل إليها العالم العظيم ف. ج. أ. هورت من كل دراسته طوال حياته للأدلة الوثائقية المبكرة للعهد القديم. وقد أضاف أنه في العهد الجديد لا يوجد سوى تنويعات غير ذات أهمية في النحو أو التهجئة بين الوثائق المختلفة[٤].

لقد كُتِبَ العهد الجديد في الأصل باللغة اليونانية، وآخر الأرقام المعروفة الآن للمخطوطات بلغت ٥٥٠٠؛ بعضها نسخ كاملة والبعض الآخر مجرد شظايا صغيرة. وواحدة من بين هذه الشظايا قد تم تحديد تاريخها في زمان مبكر جدًا بين كل القطع المعروفة. وهي تحمل جزءًا من إنجيل يوحنا ١٨ وبها ٥ آيات فقط - ثلاث على جانب والاثنتان الأخيرتان على الجانب الآخر - وتبلغ مساحتها حوالي بطاقة ٣ × ٥. وحيث أن هذه القطعة الصغيرة جاءت من مصر وقد تم نسخها وتداولها من بطمس بآسيا الصغرى، حيث تم نفي الرسول يوحنا، فقد قدر مجموعة من الباحثين زمن كتابتها إلى حوالي ٩٠ - ١٠٠ م[٥].

على عكس العهد القديم، فقد تم كتابة العهد الجديد باستخدام الحبر والقلم، وغالبًا على أوراق البردي (من نبات البردي) أو على رقوق (من جلد الحيوانات).

coptic-books.blogspot.com

وهناك إشارة إلى الحبر في رسالة يوحنا الثانية ١٢ ورسالة يوحنا الثالثة ١٣. كذا فإن الرسول بولس يطلب من صديقه في إحدى الرسائل أن يحضر معه معطفًا كان قد تركه «والكتب أيضا ولا سيما الرقوق». ويفترض أن الرقوق التي ذكرها كانت للعهد القديم على جلد حيوانات (٢تي ٤: ١٣).

إن وفرة البراهين الوثائقية تجعلنا نتساءل عن تاريخ كتابة العهد الجديد. ثمة اتفاق عام على أن صلب الرب يسوع قد حدث حوالي سنة ٣٠ م. وعند احتساب هذا التاريخ ومقارنته بدقة مع فترة حكم الإمبراطور طيباريوس قيصر، إلى جانب غيره من السلطات الرومانية، بحسب ف. ف. بروس، يصير من الممكن القول إن العهد الجديد قد اكتمل أو شارف على الاكتمال حوالي سنة ١٠٠ م. وهذا يعني أن غالبية الكتابات قد تمت قبل هذا التاريخ على يد أشخاص عاصرو المسيح ممن رؤوا وسمعوا وتذكروا ما قاله المسيح وما فعله[٦].

يعتبر الوقت المنقضي بين الأحداث الفعلية وكتابة الأسفار، من منظور البحث التاريخي، قصيرة نسبيًا. بل أن بعضًا من رسائل بولس الرسول أقدم حتى من بعض الأناجيل. مرة ثانية نقول، إنه بناء على البراهين، فإن النص الذي نقرأه اليوم لا يختلف بأي كيفية جوهرية عن الأصول كما كتبها الكُتَّاب البشريون للنص المقدس[٧].

إن الأعداد الوفيرة من النسخ لمواد مبكرة من العهد الجديد يفوق الخيال. وعندما نقارنها مع الوثائق الأخرى من الكتابات القديمة من نفس الفترة الزمنية، فإن هذا يملأنا بالإعجاب. لأنه يوجد نسختان ممتازتان من العهد الجديد من القرن الرابع الميلادي. وهناك شذرات من البردي لأسفار من العهد الجديد يرجع تاريخها إلى

coptic-books.blogspot.com

أقدم من ذلك بمئة أو مائتين من السنوات. ويقول بروس ثانية إنه لا يوجد أي كتابات قديمة أخرى في العالم تتمتع بكل هذا الكم من الشهادات والبراهين الدامغة مثل العهد الجديد[٨]. فإذا قارننا، مع بعض الأعمال الكلاسيكية المعاصرة للمسيح، فلا يوجد من يشكك في وجود هؤلاء الكُتّاب العلمانيين أو في صحة كتاباتهم. فهل سبق لك أن سمعت عن أي شخص يتساءل عن «كيف نعرف أن سقراط قد عاش فعلاً؟» ومع ذلك فهناك أدلة وثائقية تدعم العهد الجديد أكثر بكثير مما تدعم أقواله أو غيره من الكُتّاب اليونانيين واللاتينيين. إن الأناجيل الأربعة و٢١ رسالة وتاريخ أعمال الرسل ورؤى سفر الرؤيا لديها جميعًا شهادات من المخطوطات أكثر من كل الكتابات الأخرى.

انظر الجدول ٦ – ١ لملاحظة المقارنة بين الأعداد والتواريخ[٩].

الكاتب/ أقدم مخطوطة معروفة	تاريخ الكتابة	عدد المخطوطات
ثوكيسيدس/ ١٣٠٠ سنة بعد حياته	٤٦٠ – ٤٠٠ ق. م.	٩
أرسطو (أشعار)/ ١٤٠٠ سنة بعد حياته	٣٤٣ ق. م.	٥
قيصر (حروب الغال)/ ٩٠٠ سنة بعد حياته	٥٨ – ٥٠ ق. م.	٩ – ١٠

جدول ٦ – ١ تواريخ وأعداد المخطوطات لكُتّاب دنيويين.

برهان إضافي

هناك مصادر أخرى تؤيد أصالة العهد الجديد، وتحديدًا ترتبط هذه المصادر

coptic-books.blogspot.com

بانتشار الكنيسة. فقد كانت هناك إشارات واقتباسات من أسفار العهد الجديد استعان بها أصدقاء وأعداء المسيحية. وأقدم قادة الكنيسة الذين كتبوا غالبًا في الفترة ما بين ٩٠ و١٦٠ يشيرون إلى معرفتهم لمعظم أسفار العهد الجديد. كذلك فإن المدرسة الغنوسية لفالنتين (وهم أشخاص بحثوا عن الخلاص من خلال المعرفة) كانت على دراية بمعظم أسفار العهد الجديد[١٠].

النسخ هي تلك المخطوطات المترجمة من اليونانية إلى لغات أخرى. بالإضافة إلى النسخ السريانية، كان هناك النسخ المصرية أو القبطية والنسخ اللاتينية. وهناك شذرات من نسخ على ورق البردي لأجزاء من العهد الجديد يرجع تاريخها إلى القرن الرابع وأقدم من ذلك. وبدراسة متأنية لهذه النسخ تم الكشف عن مفاتيح مهمة بخصوص المخطوطات اليونانية الأصلية التي تم الترجمة منها.

Lectionaries: دروس القراءة المستخدمة في الخدمات العامة للكنيسة، تعتبر مصدرًا آخر. فهناك ما يزيد عن ١٨٠٠ من هذه الدروس للقراءة قد تم تصنيفها. وهناك قراءات للأناجيل ولأعمال الرسل وللرسائل. ومع أنها لا تظهر قبل القرن السادس، إلا أن النصوص المقتبسة عنها هي عمومًا أقدم وذات جودة عالية. ورغم أن هناك الكثير من التغييرات في الكثير من النسخ لكتابات العهد الجديد، إلا أن معظمها اختلافات بسيطة. إن جدارة نص العهد الجديد الحالي بالثقة يستحق منا كل احترام وتقدير.

عندما نتواجه مع العرض المنشور للأخطاء في النسخ الكتابية يمكننا أن نتوصل بكثير من الراحة للخلاصة التي توصل إليها الراحل سير فريدريك كنيون، وهو عالم شهير في علم المخطوطات القديمة:

coptic-books.blogspot.com

الفترة الفاصلة بين تواريخ الكتابة الأصلية وأقدم الأدلة الموجودة تصير صغيرة للغاية بل يمكن القول إنها تافهة، وقد زال الآن آخر أساس لأي شك يساورنا بشأن أن النص الكتابي المقدس قد وصل إلينا في أساسه كما كان عندما كُتِبَ في الأصل. ويمكن الآن أن نعتبر أننا قد تثبتنا تمامًا من أصالة نصوص أسفار العهد الجديد وكذلك سلامتها عمومًا[١١].

مسألة القانونية

هناك سؤال دائمًا ما يصاحب قضية موثوقية النصوص الكتابية، وهو: كيف نعرف الأسفار في كتابنا المقدس، وليس غيرها، هي الأسفار التي كان ينبغي أن تكون ضمن الكتاب المقدس؟ وهذا السؤال يسمى «قضية القانونية»، أو قائمة الأسفار أو الكتب التي يُعتَقد أنها موحى بها من الله. ويوجد أسئلة بارزة تتعلق بالعهد القديم والجديد.

الأسفار التسعة والثلاثون في العهد القديم مقسمة إلى ثلاث مجموعات:

الناموس: من التكوين وحتى التثنية، وهي أول أسفار الكتاب المقدس، وهي تسمى أيضًا التوراة أو أسفار موسى الخمسة.

الأنبياء: «الأنبياء الأولون» (يشوع، قضاة، صموئيل الأول والثاني، ملوك الأول والثاني)، و«الأنبياء المتأخرون» (إشعياء، إرميا، حزقيال) و«كتب الاثني عشر» (من هوشع حتى ملاخي).

الكتابات: الأسفار المتبقية من قانونية العهد القديم الخاصة بنا (راعوث، أخبار الأيام الأولى والثانية، عزرا، نحميا، أستير، أيوب، مزامير، أمثال، نشيد الأنشاد، الجامعة، مراثي إرميا، دانيال).

coptic-books.blogspot.com

يحتوى الكتاب المقدس بحسب القانونية البروتستانتية على نفس الأسفار التي يقبلها اليهود. أما الكنيسة الروم كاثوليكية فتعترف بسبعة أسفار أخرى، تُعرف باسم الأبوكريفا أو الأسفار القانونية الثانية، وهي مكتوبة في الأصل باللغة اليونانية ومتضمنة في النسخة السبعينية. ويتبع ترتيب الكتب في النسخة الإنجليزية وكذلك العربية نفس الترتيب الخاص بالنسخة السبعينية.

لقد قُبِلت هذه الأسفار ونالت اعترافًا بسلطانها لأنها قُبِلت كتعبيرات بشرية عن الوحي الإلهي الذي أعلن الله فيه كلمته. كما يقول إ. ج. يونج:

عندما كُتِبَت كلمة الله، صارت بذلك نصًا مقدسًا، وحيث أنها كلمات الله، فهي تمتلك سلطانه. ولذلك، فقد كانت كلمة الله وكانت قانونية. وبالتالي، فإن ما يحدد قانونية سفر ما هو حقيقة أن هذا الكتاب موحى به من الله[١٢].

يمكننا أن نرى هذا التطور في عمل موسى. فموسى هو من أصدر الشرائع وقصد الأنبياء الذين جاءوا بعد ذلك أن يحترموا هذه الشرائع باعتبارها صدرت من الله نفسه. وهؤلاء الأنبياء والأجيال التالية رأى كل منهم أن هذه الشرائع هي من الله. ومع أن الشريعة تعرضت للتجاهل طوال فترات طويلة على يد بني إسرائيل، لكن سلطانها ظل معترفًا به من قِبَل القادة الدينين هناك. وهذا الاعتراف العميق هو الذي هز الملك يوشيا عندما أدرك كم تعرضت الشريعة للتجاهل: «فلما سمع الملك (يوشيا) كلام سفر الشريعة مزق ثيابه» (٢مل ٢٢: ١١).

ومع بداية العصر المسيحي صار كلمة «النصوص المقدسة» (**scripture**) تعني مجموعة محددة من الكتابات الموحى بها إلهيًا والتي تم الاعتراف بها بشكل كامل باعتبارها نصوصًا ذات سلطان. ومن المثير أنه لم تحدث أي مجادلات بين يسوع

coptic-books.blogspot.com

والفريسيين بشأن سلطان العهد القديم. لكن الجدال جاء نتيجة لأن الفريسيين وضعوا التقليد على نفس مستوى سلطة النص المقدس. وإلى حد ما، نحتاج إلى أن نكون حذرين حينما يحاول التقليد اليوم أن يرتفع إلى نفس مرتبة النص المقدس. فأساس الإيمان اليوم يمكن تمييزه بين الحق وبين مجرد تقليد.

جاء مجمع چامنيا في سنة ٩٠ م. وحدثت فيه مناقشات غير رسمية بشأن القانونية. غير أن ثمة شكوك حول إذا ما كان قد اتخذ أي قرارات رسمية أو ملزمة. ولكن كان هناك تأكيد قوي في المجمع الكنسي في قرطاج سنة ٣٩٧ م. حينما تم إقرار قانون العهد الجديد.

الأسفار الأبوكريفية

تتكون الأسفار الأبوكريفية (بمعنى: المخفية) من سبعة كتب وسبعة أو ثمانية أخرى إضافية إلى الأسفار الموجودة حاليًا، وهذه الأسفار قد تم استبعادها من القانونية اليهودية. وبينما تم ضم هذه الأسفار إلى الترجمة اللاتينية المعروفة بالفولجاتا والتي ظهرت في القرن الرابع الميلادي، إلا أن وضعها ظل محل خلاف في الكنيسة المبكرة. وحتى چيروم نفسه، وهو مترجم الفولجاتا، فقد اعتقد أن هذه الكتب معروفة فقط باللغة اليونانية وهي ذات وضع أدنى من أسفار العهد القديم التي جاءت إلينا من الأصول العبرية أو الآرامية. ومن الجدير بالذكر أن العهد الجديد لا يقتبس أي من هذه الأسفار بشكل مباشر.

لا تزعم الأسفار الأبوكريفية أنها موحى بها ولا أنها من كتابة الأنبياء. ولكن وضعها في إطار النصوص المقدسة الكنسية، خاصة تبعًا لضمها في داخل الفولجاتا، كان قد تثبت جيدًا منذ القرن الخامس وما بعده حتى تصدى له المصلحون. لقد

coptic-books.blogspot.com

انحاز المصلحون إلى جانب اليهود في الاعتراف بالوضعية القانونية فقط لتلك الأسفار المكتوبة في أصولها باللغة العبرية أو الآرامية. بينما على الجانب الآخر، أصدر مجمع ترنت اعترافًا بمكانتها القانونية بالنيابة عن الكنيسة الروم كاثوليكية.

قانونية العهد الجديد

لقد قُبِلَ السبعة وعشرون سفرًا في العهد الجديد باعتبارها جزءًا من القانونية نتيجة لما فيها من وحي إلهي، وليس بالتصويت عليها. الكثير من الكتابات في العهد القديم تنسب نفسها إلى السلطان الرسولي. وقد كتب بكل بولس وبطرس بكل وضوح وهم يضعان هذا السلطان في ذهنهما. ويشير بطرس تحديدًا على رسائل بولس على أنها كتابات موحى بها (٢بط ٣: ١- ١٦).

يقول يهوذا في رسالته والآية ١٨ إن (٢بطرس ٣: ٣) هي كلمة من الرسل. كما أن بعض آباء الكنيسة المبكرين مثل بوليكاربوس وأغناطيوس وأكليمندس ذكروا عددًا من أسفار العهد الجديد واعتبروها كتبًا موحى بها وذات سلطان.

التحديد الأخير للقانونية كما نعرفها اليوم جاء في القرن الرابع. في رسالة بقلم أثناسيوس في سنة ٣٦٧م. يميز فيها بين الكتابات القانونية، والتي يصفها بأنها المصادر الفريدة لتعاليم الدين، وبين الكتب الأخرى، والتي سُمِحَ للمؤمنين بقراءتها. وفي نفس السنة تم تحديد القانونية النهائية بقرار من مجمع الكنائس الذي عُقِدَ في قرطاج.

وقد استخدم عمومًا ثلاثة معايير خلال تلك الفترة للتثبت من وثائق معينة مكتوبة من حيث كونها التسجيل الصحيح لصوت ورسالة الشهادة الرسولية.

coptic-books.blogspot.com

هل الكتاب من كتابة أحد الرسل؟ وبرغم أن إنجيلي مرقس ولوقا لا ينطبق عليهما هذا المعيار تحديدًا لكنهما قُبِلا باعتبارهما كتابات لأشخاص مقربين بشدة من الرسل.

هل حدث اعتراف على نطاق واسع بالكتاب في الكنيسة؟ هذا تركز على قضية الاستخدام الكنسي. هل كانت هذه الكتب القانونية تستخدمها الكنيسة أو غالبية الكنائس؟

هل تعاليم الكتاب تتفق مع معايير العقيدة السليمة التي يكرز بها في الكنائس؟

هذه البيانات مفيدة وشيقة، ولكن في التحليل النهائي، فيما يتعلق بالسؤال حول الوحي في النصوص المقدسة، فإن القانونية هي سؤال حول شهادة الله لكل فرد ليؤكد الحق في قلوب هؤلاء الذين يقرأونه.

في أيام الشكوك وعدم اليقين، فإن الكتاب المقدس وشخصية الإله الذي أوحى به تعطينا صخرة راسخة يمكننا الوقوف بثبات فوقها، عقليًا وروحيًا! «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (لو ٢١: ٣٣).

coptic-books.blogspot.com

الفصل السابع

هل الآثار تؤيد الكتاب المقدس ؟

في السنوات المبكرة من القرن التاسع عشر، انفتح باب جديد للمعلومات ليكشف عن أقدم جذور العرق البشري في الشرق الأدنى. ووفرت رحلات الاستكشاف المتزايدة المفصلات لهذا الباب، وسرعان ما دخل منه علماء الآثار في لحظة حماسة. وبدأوا يحفرون أسفل سطح الأرض للبحث عن بعض بقايا الماضي البشري الموجودة في الأماكن العتيقة أو المعابد المدفونة واسطبلات الحيوانات.

لقد تم إنهاض الحضارة التي عاشت قبل العالم المعروف في اليونان. فقد تم الكشف عن بابل (التي تدعى العظيمة)، حيث عاش دانيال، وظهرت أسوارها المزدوجة مع تسع بوابات مزخرفة. وأظهرت مصر روعة وأعجوبة المقابر المزينة والمومياوات المعصبة والمرايات وقناني العطور ومستحضرات التجميل.

في الفترة الأولى كانت الثقافات نفسها هي محل الدراسة. ثم ظهرت هناك أماكن وأسماء من العهد القديم على جدران القصور. ووجدت أسماء لملوك أشوريين حاربوا مع إسرائيل، إلى جانب جيوشهم وأسراهم. وتحدث حكام فرس من خلال رسائلهم. كذا فإن ملوك مصر الفراعنة، والبعض منهم وُجِد في أكفانه الذهبية، يمكن الآن تحديد هويتهم ومعرفة أشخاصهم.

وفي مسيرة هذه الاستكشافات وجد علماء الكتاب المقدس خلفية ثرية للتاريخ الكتابي الخاص بمملكة إسرائيل وجيرانها. وتم التأكيد على المصداقية التاريخية

coptic-books.blogspot.com

والجغرافية للكتاب المقدس في عدد من المجالات المهمة. وهذا يعتبر تباينًا ملحوظًا عما كان عليه الوضع قبل ذلك حينما لم يكن متاحًا سوى القليل من البراهين التي تدعم النصوص الكتابية. وكان النقاد يتجاهلون الروايات إذ يعتبرونها قصص خرافية تم وضعها في خلفيات خيالية وليست لها علاقة بالأحداث التاريخية.

ومع قدوم منتصف القرن العشرين بدأ يظهر بوضوح أن اكتشافات علماء الآثار تؤيد السجلات الكتابية. كذا فقد ساعدت الكثير من التصريحات المستنيرة من علماء معروفين وغير متدينين في تأكيد هذا الأمر. إذ صرح و. ف. ألبريت من جامعة چون هوبكنز قائلاً: «لا يوجد شك أن علم الآثار قد أكد التاريخية الراسخة لتقليد العهد القديم»[1]. وبالمثل، يقدم ميلر بوروز من جامعة ييل هذا التعليق:

إجمالاً نقول إن العمل الأثري قد زاد بلا شك من قوة مصداقية السجلات الكتابية. وقد وجد أكثر من عالم في الآثار أن احترامهم للكتاب المقدس يتزايد نتيجة لخبرة الحفريات في فلسطين. كما أن علم الآثار دحض مرات عديدة مزاعم النقاد المحدثين. وظهر في عدد من المواقف أن هذه الرؤى تقوم على افتراضات زائفة وغير حقيقية، وتخطيطات مصطنعة للتطور التاريخي. هذا حقًا إسهام كبير ولا يجب التقليل من شأنه»[2].

تأكيد التاريخ الكتابي

غطت مساعدة علم الآثار عدة تصنيفات.

* تأكدت بعض الأحداث الكتابية المحددة التي كانت محل شك قبل ذلك بل حتى هناك من أنكرها تمامًا. ويظهر تأثير ذلك في ملاحظة أحد العلماء أن فقرات كتابية

coptic-books.blogspot.com

نادرة هي التي لم يتساءل أحد بشأنها.

* تم استكمال صورة الخلفية الكلية للثقافة والممارسات بشكل عام في الأزمنة الكتابية. أمور مثل المشكلات الاقتصادية وتطور الكتابة تصف العالم الذي تحدث إليه أنبياء العهد القديم.

* تم توضيح بعض نقاط التناقض الظاهري بين السجل الكتابي والمعلومات التي كانت متاحة من قبل، وذلك مع ظهور المزيد من المعلومات. وهذا يجعلنا نعتقد أنه حينما تظل بعض التناقضات قائمة، فبدلاً من استنتاج أنه لابد أن يكون هناك خطأ في الكتاب المقدس، فإن علينا أن نسعى لاتخاذ موقف أكثر عقلانية تجاه المشكلة القائمة على أن نبقيها مفتوحة في انتظار المزيد من الاكتشافات.

ولكن بعد أن قلنا كل هذا تبقى دائمًا مرجعيتنا هي أننا لا نستطيع البرهان على كل ما في الكتاب المقدس بواسطة علم الآثار، كما أننا لا نؤمن بالكتاب المقدس على أساس البرهان الأثري. يكتب هـ. دارنل لانس بشأن هذا: «على الرغم من أن علم الآثار يمكنه أحيانًا أن يقدم دليلاً مستقلاً على وجود أماكن أو أشخاص أو أحداث بعينها ذكرت في الكتاب المقدس، إلا أنه لا يستطيع أن يقول أي شيء على الإطلاق عن مدى تدخل الله في هذا الأمر. وهذا هو لب القضية سواء بالنسبة للمؤمن الحديث أو لبني إسرائيل في القديم»[٢].

الحقيقة أن الله هو الذي بيده وحده في النهاية أن يؤكد على الحقائق الروحية الكتابية بينما نقرأها نحن. علم الآثار يؤكد الروايات المسجلة. ولكن الحقيقة الروحية تأتي من الله نفسه. كثيرًا ما تكون التفاصيل التاريخية التي يؤيدها علم الآثار ملهمة

coptic-books.blogspot.com

لنا لنتثبت في نظرتنا إلى ما وراء الأحداث التاريخية نحو «قصة الله» – القصة الكبرى كما يصفها ليتون فورد[٤].

مصادر علماء الآثار

لقد تم تحديد ما يزيد عن ٢٥ ألف موقع تاريخي لها صلة بشكل أو بآخر بحقبة العهد القديم. ومع ذلك يبقى هناك ثروة من المواد التي تنتظر الاستكشاف. هناك الكثير من الركامات والأطلال في الشرق الأدنى تسمى «تلال» وهي تمثل علامة لأماكن كانت ذات يوم مدنًا وبلدات مزدهرة. ويذكر أ. ر. ميليارد أنه بالإمكان تحديد مكان معظم المدن الكبرى في الكتاب المقدس سواء بواسطة الدراسة الجغرافية العامة أو بواسطة التقليد (مع أن هذا قد لا يكون جديرًا بالثقة) أو بواسطة الاستخدام المعاصر للأسماء القديمة[٥].

ومن الأمثلة الرئيسية للأسماء القديمة التي استمرت هي مدينة دمشق. التي نعرفها من خلال قصة اهتداء الرسول بولس في أعمال الرسل ٩، وهي قائمة بهذا الاسم منذ ٣٥٠٠ سنة أو أكثر.

إن النقوش الشرقية القديمة من كل أنحاء الشرق الأوسط تعطينا رؤية نافذة على الكتاب المقدس. إذ تظهر الأحجار والفخاريات والجدران والأماكن الأخرى كتابات بلغات الشعوب المجاورة. كما تبرز الصور والرسوم الأخرى تفاصيل غزيرة عن هذه الثقافات. بل أن الاستكشافات في المواقع الكتابية نفسها وسعت المعلومات المرتبطة بالقصص المسرودة في الكتاب المقدس. وهي تخبرنا عن كيف عاش الناس، وكيف كانوا يبنون بيوتهم وكيف كانوا يعملون. وفتحت الاستكشافات أمامنا الحضارات

coptic-books.blogspot.com

كلها وما بها من حقائق فعلية ومهارات رائعة. وهكذا فإن حقل المعلومات والروابط مع البيانات الكتابية يتسم باتساع هائل مما يجعلنا غير قادرين على تركيز الضوء سوى على القليل فقط من الإسهامات الكبرى.

كيف يتم تأريخ الاكتشافات

لقد بُنيت المدن القديمة ومع الوقت تهدمت ثم أُعيد بناؤها في نفس المكان. ولهذا السبب يكون من الشائع أن يعثر العلماء على تتابع كامل من الطوابق أو المستويات في نفس المكان، وبالطبع يكون المستوى السفلي هو الأقدم. وهنا يظهر سؤال: كيف يمكن تأريخ هذه الاكتشافات؟

تتغير أسلوب عمل الفخار في كل ثقافة جديدة. فإذا أمكن تأريخ أحد الأساليب في موقع أثري معين، عندها يمكن اعتبار أن الفخاريات المشابهة في أسلوب صناعتها تنتمي لنفس الفترة التاريخية. وكثيرًا ما ينقش الملوك أسماءهم على التجويفات العليا في أبواب المعابد، وكذلك أسماء آلهتهم. أيضًا، كثيرًا ما كان توضع أحجارًا منقوشة تحت جدران القصر أو المعبد في ذكرى مؤسسه. ومن السهل تمييز الأختام الملكية التي تتبع نفس الأسلوب.

لقد تم الكشف عن نسخ من قوائم الأحداث والأشخاص، وهي ترجع إلى تقريبا سنة ٢٠٠٠ ق. م. بعضها رسمها الخطاطون السوماريون لوصف الملوك بحسب تتابع الأسر الحاكمة مع ملحوظات حول طول حكم كل ملك. وعلى بعد أميال قليلة من مدينة أور، وهي الموطن الأول لإبراهيم، تم الكشف عن حجر لذكرى التأسيس. وقد ذُكِرَ أولاً في تكوين ١١ و١٥، وقد أقام الحجر ملك مجهول الاسم من الأسرة الأولى التي حكمت أور. والأمر المدهش أن النقوش تتحدث عن هذه الأسرة باعتبارها

coptic-books.blogspot.com

الأسرة الحاكمة الثالثة بعد الطوفان. ويبدو أن هذا الملك حكم قبل ٣١٠٠ من ميلاد المسيح أي قبل حوالي ١٠٠٠ سنة من إبراهيم[٦].

عصر إبراهيم

من بين الأمثلة الجيدة للمساعدة التي قدمها علم الآثار لنا تأتي من حياة وأوقات إبراهيم (حوالي ٢١٦٦ - ١٩٩١ ق. م). فقد جاء اكتشاف ثلاث مدن وهي ماري **Mari** ونوزي **Nuzi** وألالاخ **Alalakh** ليفتح الطريق أمام معلومات جديدة عن الحضارات القديمة، ويمنحنا مفاتيح عن الحياة في سورية وبلاد الرافدين تاريخيًا وسياسيًا. علاوة على ذلك، أصبح لدينا منظور جديد على أسلوب الحياة في المدن في عصر إبراهيم. وهذا يتعارض بشدة مع الحياة الرعوية المعروفة من حياة «الآباء البطاركة» كما كان يطلق على الآباء المبكرين في الكتاب المقدس في الأسفار الخمسة الأولى.

تغطي هذه السجلات نطاق واسع من الأنشطة الاقتصادية والسياسية ونظام الحكم والفنون. كما أنها تعكس العادات والعلاقات الاجتماعية التي تماثل المواقف التي واجهت الآباء الكتابيين. عندما نرى إبراهيم في أوضاع مشابهة لتلك التي نعرفها من مدن ماري ونوزي، تصير السجلات الكتابية ذات مصداقية عالية وموثوق منها. إن حياة وتاريخ والحركات السياسية وكذلك الأنشطة التجارية والثقافية كلها ترسم صورة خلفية رائعة للعالم الذي عاش فيه إبراهيم أبو الأمة الإسرائيلية.

وفي سنة ١٩٣٣ كان هناك فريق من العرب يحفرون قبرًا بالقرب من شمال نهر الفرات على بعد ١٠ أميال فقط من الحدود العراقية. فكشفوا عن تمثال حجري

coptic-books.blogspot.com

وأبلغوا عن ما أكتشفوه. وفي هذا الموقع تم الكشف عن مدينة اسمها ماري. وعثروا على المزيد من التماثيل وأخيرًا أزالوا الرمال عن قصر فسيح الأركان يحمل اسم المدينة. لم يكن هذا مجرد قصر ملكي صغير، لكنه كان مقامًا على مساحة تبلغ أكثر من ٦ أفدنة وبه ٢٦٠ غرفة وساحات وممرات. ويذكر ميلارد:

عادة ما يركز علماء الآثار على الأجزاء التي تأتي بعائد أكثر، حيث توجد القصور والمعابد، أو يحفرون خنادقهم للوصول إلى كل فترة في حياة هذا المكان. ولعمل ذلك قد يتم حفر الخندق بحيث يخترق جميع مستويات الركام، وذلك للحصول على كمية قليلة من المعلومات بشأن جميع المستويات.

ويمكن وضع علامة على أي منطقة لها أهمية خاصة ثم استكشافها بخندق أطول. وكل مبنى أو وقت لها أهمية خاصة سوف يُترك له علامة على الركام في شكل أسطح أرضية، قطع من الجدران وأكوام من النفايات. سوف تكون هذه بمثابة سندويتش بين الحفريات الأقدم من أسفل والحفريات الأحدث من أعلى[٧].

يصف ميلارد القصر في ماري بأنه يحتوي على غرف بها جدران ترتفع إلى ١٥ قدم، البعض منها فارغ والبعض الآخر مليء بالأواني التي تقف جاهزة ليوضع فيها الزيت والنبيذ أو الحبوب. وكان هناك مناطق خاصة واسعة للملك ولزوجاته ولعائلته؛ ومناطق أخرى أضيق للموظفين والخدام. ويمكننا أن نتخيل العمال المهرة في حوانيتهم والطهاة في المطبخ وأمناء السر والخدام والمغنيين لأجل إمتاع الملك. ومن بين التماثيل العديدة التي عُثِر عليها كان تمثال رجل ملتح يرجع تاريخه من القرن الثامن عشر ق. م. وعليه نقش اسم إشتوبيليوم، ملك ماري[٨].

وقد عُثِرَ على حوالي ٢٠ ألف لوح مكتوب باللغة المسمارية من الأرشيف الملكي.

coptic-books.blogspot.com

وكان المحاسبون يستخدمون بعض الألواح لتسجيل الحبوب والخضروات وغيرها من البضائع التي تُحضَر إلى القصر. ويُذكر فيها رسائل للملك وآلات موسيقية ذهب للتزيين. بل يوجد حتى رسائل من الأنبياء إلى الآلهة. ويوجد إناء به كنز مدفون ونقوش تُرجِع تاريخ المدينة إلى حوالي ٢٥٠٠ ق. م.

يعد مجموع هذه الألواح هو الأكبر حتى الآن فيما يتعلق بكتابات الشرق الأوسط القديم، وهي تحتوي على نبوات يمكن مقارنتها بتلك النوعيات المكتوبة بقلم الأنبياء الإسرائيليين في تلك الحقبة الزمنية. وحيث أن إبراهيم يعتبر في نفس الحقبة الواقعة بين القرن التاسع عشر والثاني عشر ق. م. فبالتأكيد تلك هي نوعية الثقافة التي كان يعيش بينها.

والمدينة الأخرى نوزي والتي تقع شرق مدينة ماري بالقرب من نهر دجلة، فبها ألواح تحتوي على معلومات تفصيلية عن بعض العادات الاجتماعية للمدينة في القرن الرابع عشر والخامس عشر ق. م. كما يوجد وصف للعائلات في مواقف مشابهة للمعضلة التي واجهها إبراهيم في (تكوين ١٥: ٤) حينما أخذ إسماعيل باعتباره ابنه. ولكن لو بعد ذلك صار للزوجين ابن طبيعي منهما، فإن الطفل المتبنى يفقد بعض حقوقه لصالح الابن الثاني. وفي حالة إبراهيم وسارة، فإن إسحق، الابن الطبيعي لسارة، حصل على الميراث كله من والديه.

تستدعي ألواح نازي حادثًا آخر مماثلاً لما في (تكوين ١٦: ١- ٢) والذي فيه قدمت سارة جاريتها هاجر إلى إبراهيم لكي تحمل منه طفلاً لأن سارة لم تستطع الإنجاب. يخبرنا العالم الكتابي إدوين ياموشي عن «لوح التبني الذي يتعهد بأن الزوجة العاقر يجب أن تقدم جارية لزوجها لكي تأتي منه بالطفل. وهذا اللوح تحديدًا

coptic-books.blogspot.com

وكذلك شريعة حمورابي تشترطان أن يتم الإبقاء على ابن الجارية – وهو حكم نقضته الوصية الإلهية لإبراهيم بأن يطرد هاجر وإسماعيل»[٩].

وهناك موقع سوري آخر وهو آلالاخ على نهر العاصي وهو يصف انتهاك الزوجة. الزوج الذي يسيء معاملة زوجته (حرفيًا «يسحبها من أنفها») يجب عليه أن يترك زوجته ويتخلى عن المهر الذي قدمه لها وهدية الزفاف التي أعطاها لعائلتها في وقت زواجهما[١٠].

الكتابة في الألفية الثالثة قبل الميلاد

هل جال بخاطرك سؤال من قبل عن قدرة الكاتبين على الكتابة في وقت آباء العهد القديم؟ يقدم لنا النشاط الصاخب في مدينة حلب القديمة أكبر أرشيف قديم تم الكشف عنه حتى الآن من الشرق الأدنى. ويرجع تاريخه إلى الألفية الثالثة ق. م. ومع أن وجوده معروف إلا أن موقعه وثقافته الشديدة التطور غير مؤكدة. فقد وجد علماء الآثار أن المدينة كانت مقسمة إلى قسمين، هما حصن قديم والمدينة السفلى. القسم الأعلى يحتوي على أربعة مجمعات بنائية، من بينها قصر الملك ومعبد الإلهة عشتار والعديد من الإسطبلات. أما القسم السفلي فكان مقسمًا إلى أربعة مجمعات وبه أربعة بوابات.

وفي غرفة مجاورة للمعبد عثر علماء الآثار على مجموعة مذهلة من آلاف الألواح المرصوصة على الحائط. وكانت الغرفة الصغيرة مدفونة. ونتيجة للسخونة الشديدة لألسنة النار تحمص القرميد وكذلك الألواح أيضًا. ونتيجة لهذا استطاعت الغرفة وكذا الألواح الصمود عبر القرون حتى تم الكشف عنها عام ١٩٧٥. وهكذا فقد كان التاريخ محفوظًا لمدة خمس آلاف سنة![١١].

coptic-books.blogspot.com

وسيتطلب الأمر سنوات من البحث من أجل تفسير هذه السجلات الواسعة. غير أن أحد أهم الإسهامات القيمة لهذه الألواح أنها تمدنا بالدليل على أن الكتابة المسمارية انتشرت إلى شمال سورية قبل سنة ٢٣٠٠ ق. م. كما تظهر أيضًا عادة تسجيل كل نوع من الأنشطة والأعمال التجارية والثقافية. وتؤكد القواميس وجود أناس ساميين من الغرب كان لهم لغات وكتابات أخرى في هذا العصر. والآن صرنا نعلم أن التاريخ الكتابي حدث في عالم كانت فيه الكتابة قائمة ومنتشرة.

ملوك إسرائيل

أعطانا علم الآثار خلفية معلوماتية نابضة بالحياة لدراسة الملوك الكتابيين. فكانت عظمة وفخامة الملك سليمان محلاً لكثير من الشكوك بوجه خاص. وتوصف ثروته الهائلة في (١مل ٩- ١٠) باعتبار أنها تتكون من أسطول ملكي مبني على شاطئ البحر الأحمر على الرغم من عدم وجود ميناء مناسب على ساحل فلسطين. وكان جيشه يستخدم ١٤٠٠ مركبة و١٢٠٠ حصان. وكانت مشروعاته للبناء متوسعة، ومن بينها بناء أسوار لمدينة أورشليم وحاصور ومجدو وجازر (١مل ٩: ١٥). ولكن الاكتشافات الحديثة في المدن الثلاث الأخيرة على الأقل قدمت توثيقًا لمهارة الملك سليمان في البناء.

ففي ١٩٦٠ كان العالم الإسرائيلي الشهير يجايل يادين يستكشف آثار مدينة مجدو، واستطاع أثناء ذلك تحديد الطبقة الخاصة بزمن الملك سليمان بمقارنتها بأنواع من الفخاريات. ونتيجة لمعرفته أن (١مل ٩: ١٥) تذكر مجموعة من ثلاث مدن وهي مجدو وحاصور وجازر باعتبار أن سليمان هو بانيها، كان ذلك بمثابة إلهام مفاجئ له. وتذكر أن بوابة مجدو من وقت سليمان كان لها ثلاث مفصلات على كل

coptic-books.blogspot.com

جانب. فهل يمكن أن يكون للمدينتين الأخرتين نفس الأمر؟ يخبرنا العالم يادين بهذه القصة المثيرة عن الحفر في حاصور:

قبل مواصلة الاستكشافات في حاصور، عملنا علامات مؤقتة على الأرضية متتبعين تقديرنا لخطة البوابة على أساس بوابة مجدو. وعندها قلنا للعمال أن يستكملوا عملهم ويستمروا في إزالة الركام. وعندما انتهوا نظروا إلينا بعيون ملؤها الذهول، كما لو أننا سحرة أو متنبئون. لأن هناك، أمامنا، كانت البوابة التي كنا قد رسمنا ملامحها وحددنا مكانها، بناءً على المعلومات التي حصلنا عليها من بوابة مجدو. وهذا برهن ليس فقط على أن كلتا البوابتين قد بناهما الملك سليمان ولكن أيضًا أن كلتيهما قد أتبعتا خطة رئيسية واحدة»[١٢].

ذهب سليمان

تضيف (١ملوك ١٠: ٢١) معلومات عن أن سليمان أمتلك مخازن كبيرة من المعادن الثمينة. كما أن الهيكل الذي بناه للرب، مثل المقبرة الذهبية للملك المصري توت عنخ أمون، كانت مليئة بالذهب كما توصف في النصف الثاني من (١ملوك ٦) «وغشى سليمان البيت من داخل بذهب خالص. وسد بسلاسل ذهب قدام المحراب. وغشاه بذهب. وجميع البيت غشاه بذهب إلى تمام كل البيت، وكل المذبح الذي للمحراب غشاه بذهب» (١مل ٦: ٢١- ٢٢). وهكذا فإن المشهد كله يجلب الذهول والانبهار.

ومع أنه لم يُعرَف حتى الآن الموقع الدقيق لهيكل سليمان، إلا أن الاكتشافات الأخرى تظهر أن ملوك الأمم الأخرى المحيطة في وقته امتلكوا تقنية وعمال مهرة مشابهين لما يأتي في الرواية الكتابية. فيذكر ميلارد:

coptic-books.blogspot.com

ربما يبدو في مثل هذا الإسراف والتبذير أن منظر الذهب وسيلة للتفاخر والكبرياء لأي ملك قوي. وكان مخزون العملة القومي يُوضع بالذهب، ولا يُخزن على نحو عديم الجدوى في سراديب مصرفية لكي يُعلن عنه كأرقام فقط، ولكنه يظهر أمام العامة. وعندما يهاجم البلد جيش أقوى، كان يتم انتزاع الذهب ويُسلم إلى الجيش المنتصر (قارن ٢ملوك ١٨: ١٦).

وكانت ممالك أشور وبابل ومصر تتفاخر بالذهب الذي يتبرعوا به لتجميل معابدهم في مدنهم. وتتحدث نقوشهم عن الجدران «المغطاة بالذهب مثل الجص» وعن الأبواب والبوابات المنقوشة بالحفر ومطلية بالذهب، وعن الأثاث والزخارف المغلفة بالمعادن النفيسة. فقد استولى أحد ملوك أشور على تروس ذهبية من معبد في أرمينيا، وكل واحد منها يزن ١٢ ضعف وزن التروس التي وضعها الملك سليمان في قصره (١مل ١٠: ١- ١٧؛ قارن ١٤: ٢٦- ٢٧). يمكن اعتبار مزاعم الأباطرة المغرورين مجرد مبالغات، ولكن مع هذه الاستخدامات للذهب لا تكن مزاعم سليمان بمثل هذا القدر من المبالغة. وقد تم العثور على شظايا صغيرة من صفائح ذهبية في أشور وبابل وفي مصر وجدت ثقوب مسامير كانت تستخدم للصق الذهب على الأعمال الحجرية[١٣].

نحن نعرف أنه على الأقل بعض من ذهب سليمان قد جاء من أوفير. إذ تصف (١ملوك ٩: ١١) وفقرات أخرى حيرام ملك صور قائلة إنه أمد سليمان «بخشب أرز وخشب سرو، وذهب، حسب كل مسرته»، وكذلك تخبرنا الآية ٢٨ عن رجال حيرام الذين «أتوا إلى أوفير، وأخذوا من هناك ذهبا أربع مئة وزنة وعشرين وزنة، وأتوا بها إلى الملك سليمان». ومع أن الموقع الدقيق للمدينة يظل سرًا (مع

coptic-books.blogspot.com

احتمالات تتراوح ما بين الساحل الصومالي في أفريقيا وحتى الهند)، إلا أن وجودها ومساعدتها قد تبرهنت من مصادر مستقلة. إذ تم اكتشاف كسرة من إناء فخاري من منتصف القرن الثامن ق. م. في ميناء شمالي تل أبيب. وكانت تحمل تدوينًا واضحًا بمحتوياتها سجلها موظف محلي بقوله: «ذهب أوفير لبيت حورون: ٣٠ شاقل» (حوالي ٣٤٠ جرام)[١٤].

يمكننا التوصل بثقة إلى خلاصة وهي أن الهيكل الذهبي لسليمان لم يكن مجرد ابتداع تلفيقي لخيال الكُتَّاب. لكنه يقع ضمن النماذج المعروفة للممارسات القديمة التي كانت في عصره.

النقش الحجري لصراع إسرائيل وموآب!

لقد قدمت بعض الأشياء التي كشف عنها علماء الآثار تفاصيل دقيقة للغاية عن الأحداث الكتابية. ومن الأمثلة على ذلك حجر تذكاري يتكلم عن الصراع بين موآب وإسرائيل نجد سرد له في (٢ملوك ٣) يذكر الكتاب المقدس أن ميشع ملك موآب وشعبه تمردوا ضد حكم إسرائيل عليهم ورفضوا دفع الجزية. فاشتعلت حرب بين موآب وبين ثلاثة ملوك لإسرائيل ويهوذا وأدوم. وانتصر الموآبيون في المعركة فتخلت إسرائيل عن حكمها عليهم.

وفي سنة ١٨٦٨ كان عالم ألماني يدعى كلين يجري أعمال تنقيب عن الآثار فعثر على حجر عليه نقش في ديبون، أرض موآب. وحيث أن الحجر كان يملكه البدو الساكنون في ديبون، عاد كلين إلى ألمانيا ليجمع المال لكي يشتريه. لكن البدو، ظنًا منهم أن باستطاعتهم الحصول على سعر أعلى مقابله لو قاموا بتجزئته، لذلك

coptic-books.blogspot.com

سخنوا الحجر ثم ألقوا بماء بارد عليه لكي يكسروه إلى أجزاء عديدة. ولحسن الحظ، كان كلين قد حصل على صورة للحجر وهو سليم، لذا كان من الممكن استرداد الأجزاء وترجمتها بعد أن اشتراها. ويوجد هذا الحجر الآن في متحف اللوفر في باريس. والنقوش مكتوبة بصيغة قديمة من الكتابة الفينيقية (منطقة سورية حاليًا)، وهي تصف ميشع ملك موآب الذي استطاع بمساعدة الإله شميش أن يتخلص من حكم إسرائيل. ويشار إلى الملك عمري، والد آخاب، بالاسم في نقش إلى جانب عدد من الأماكن الكتابية. والأمر الجدير بالاعتبار، أن هذا النقش يذكر إله إسرائيل ويطلق عليه اسم «يهوه»[١٥].

دانيآل وبلطشاصر

من بين مجموعة كبيرة من الاكتشافات الأخرى، تبرز رواية دانيآل عن الملك غير الموقر بلطشاصر. يطلق دانيآل على بلطشاصر لقب آخر ملوك بابل. إلا أن كل السجلات البابلية المعروفة تذكر الملك نبونيدس باعتباره آخر ملوك بابل. هذا تعارض واضح، هل هو خطأ من النص الكتابي.

إلا أنه بعد ذلك حدثت اكتشافات في السجلات البابلية أظهرت أن نبونيدس قد اعتزل بنفسه، لسبب غير معلوم، لمدة عشر سنوات في العربية، تاركًا المملكة بين يدي ابنه بلطشاصر. وقد جاء الارتباك لأن نبونيدس لم يتنازل عن المُلك. إذ كان ما يزال يدعى ملكًا. ومع أن بلطشاصر لم يكن الملك الوحيد، إلا أن دانيآل والشباب العبرانيين الآخرين اعتبروه الملك الفعلي. وقبل دراسة السجلات البابلية، كان بلطشاصر يُذكر فقط في السجلات الكتابية وحدها.

توصل عالم الآثار ر. ف. دورتي بعد دراسته لهذه الاكتشافات: «من بين جميع

coptic-books.blogspot.com

السجلات من خارج الكتاب المقدس التي تتناول الموقف عن قرب في الإمبراطورية البابلية الجديدة، (فإن توصيف الأحداث في) ... الأصحاح الخامس من سفر دانيال يأتي تاليًا بعد الكتابات المسمارية في الدقة»[١٦].

التحقق من العهد الجديد

تميز البحث والاكتشافات الأثرية الخاصة بالعهد الجديد بطبيعة مختلفة عما للعهد القديم. فهو لا يرتبط كثيرًا بالتنقيب عن المباني المدفونة أو الألواح المنقوشة؛ بل بالأحرى فإن علم الآثار الخاص بالعهد الجديد يتركز أساسًا على الوثائق المكتوبة. ويعلق ف. ف. بروس على ذلك قائلاً:

ربما تكون هذه الوثائق نقوش منشورة أو خاصة على حجر أو بعض المواد المشابهة: وربما تكون برديات تم استعادتها من رمال مصر تسجل نصوص أدبية أو قوائم لمشتريات ربة بيت؛ ربما تكون ملاحظات خاصة مكتوبة على بعض شظايا فخارية؛ وربما تكون أساطير على عملات معدنية تحتوي على معلومات عن حاكم مجهول أو تحصل على بعض نقاط الدعاية الرسمية المقدمة إلى الشعب الذي يستخدمها[١٧].

كان عامة الناس يكتبون رسائلهم على البردي ويحفظون عليها الحسابات التجارية للحياة التجارية. وكان هناك مادة أرخص للكتابة عليها وهي الأجزاء المكسورة من الفخريات التي تسمى «أوستراكا». وكانت تلك تستخدم لأجل الملاحظات العرضية.

بعض القطع التي عُثِرَ عليها في ركام قديم أظهرت الصلة بين اللغة اليومية لعامة الشعب واللغة اليونانية التي كُتِبَ بها معظم أجزاء العهد الجديد. وتساعد

coptic-books.blogspot.com

مقارنة هذه الاكتشافات في تأييد الاختلافات بين اللغة اليونانية الخاصة بالكتابات الكلاسيكية وتلك الخاصة بالعهد الجديد. فمن خلال اكتشافات البردي تبين أن يونانية العهد الجديد كانت مشابهة جدًا للغة عامة الشعب.

وفي سنة ١٩٣١ تم الإعلان عن اكتشاف مجموعة غير عادية من نصوص البردي للكتابات المقدسة باللغة اليونانية. وصارت تعُرف باسم برديات شستربتي الكتابية وهي مجموعة من النصوص الكتابية المكتوبة باللغة اليونانية وكانت تستخدمها بعض الكنائس النائية في مصر، وقد تم لفها وترتيبها مثل كتاب مربوط[١٨]. وتتكون هذه المجموعة من ١١ مخطوطة مؤلفة من شظايا على أوراق بردي، ٣ من الـ١١ تحتوي على معظم العهد الجديد. إذ تحتوي واحدة على الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل. وهناك المخطوطة الخاصة بكتابات بولس الرسول وهي أقدم المخطوطات الأحدى عشر، وهي مكتوبة مع بداية القرن الثالث. وهي تحتوي على تسع رسائل لبولس والرسالة إلى العبرانيين والرؤيا.

وحتى في حالتها المبتورة في الوقت الحاضر، فإن هذه البرديات تحمل شهادة مهمة على التاريخ المبكر لتدوين للعهد الجديد. وقد أشرنا في الفصل السادس إلى أن إنجيل يوحنا يرجع تاريخه إلى حوالي ١٠٠م. وقد عثر العلماء على أقدم قصيصة صغيرة معروفة لجزء منه وهي تمثل أقدم مخطوطة للعهد الجديد.

النقوش الحجرية

تعد النقوش على الحجر مصدرًا آخر لمعلومات قيمة. ومثال على ذلك نجده في مرسوم للإمبراطور كلاوديوس على حجر جيري في دلفي في وسط اليونان. ويكتب ثانية ف. ف. بروس عن ذلك:

coptic-books.blogspot.com

هذا المرسوم يرجع تاريخه أثناء الشهور السبعة الأولى من عام ٥٢ م. وهو يذكر جاليو باعتباره حاكم أو قنصل روماني على آخائية. ونحن نعرف من مصادر أخرى أن ولاية جاليو استمرت لسنة واحدة فقط، وحيث أن القناصلة الرومان تبدأ فترة ولايتهم في ١يوليو، فإن الإشارة إلى أن جاليو قد بدأ الحكم في هذا التاريخ في عام ٥١ م. ولكن ولاية جاليو على آخائية تداخلت مع السنة والنصف التي قضاها بولس في الخدمة في كورنثوس (أع ١٨: ١١– ١٢) لذا فإن نقش كلاوديوس يمدنا بنقطة دقيقة لإعادة بناء التتابع الزمني لخدمة بولس الرسول[١٩].

أما لوقا، وهو مؤرخ بمعنى الكلمة، فقد شُهِدَ لدقة التفاصيل التي ذكرها. ومثال على دقته في إشارته في لوقا ٣: ١ إلى «ليسانيوس رئيس الربع على الأبلية» أو حاكم ربع المنطقة. كان ذلك الربع أحد المسئولين في الوقت الذي بدأ فيه يوحنا المعمدان خدمته في عام ٢٧م. وقد أعتُبِرَ ذكر ليسانيوس خطأ لأن الحاكم الوحيد الذي كان يحمل هذا الاسم معروف من المؤرخين القدماء كان هو الملك ليسونيوس، الذي أعدمه أنطونيو على مرأى من كليوبترا في سنة ٣٦ ق. م.، أي قبل أكثر من خمسين سنة من مجيء يوحنا المعمدان.

ثم نقش يوناني من أبلية (على بعد ٨٠٠ ميل شمالي غرب دمشق) يسجل تكريس لنيمفايوس «رجل حر من ليسانيوس الحاكم» بين ١٤ و٢٩ م، وهي نفس الفترة التي أشار إليه لوقا. وهكذا تأكدت دقة لوقا من خلال الشهادات التاريخية[٢٠].

لا يوجد تزييف ديني

يؤكد علم الآثار الروايات المسجلة في الكتاب المقدس.

* لقد برهنت العملات النقدية على بعض المعلومات الخلفية لأجزاء من تاريخ العهد

coptic-books.blogspot.com

الجديد. ومن بين الحقائق الجوهرية في تأسيس السجل التاريخي لخدمة بولس الرسول هو تاريخ استبدال فليكس بدلاً من فستوس كوالي على اليهودية (أع ٢٤: ٢٧). وقد بدأت عملية سك عملة جديدة في السنة الخامسة من حكم الإمبراطور نيرون، قبل أكتوبر عام ٥٩م. وهذا قد يشير إلى بداية فترة ولاية جديدة.

* تم التحديد الدقيق للأماكن المقدسة وكذلك تم الكشف عن الأماكن العامة. ولعل الأماكن العامة كانت أسهل في اكتشافها من الأماكن المحددة التي وقعت فيها بعض الأحداث العظيمة في العهد الجديد.

* تعرضت أورشليم للتخريب والدمار في سنة ٧٠م. وتأسست مكانها مدينة وثنية جديدة على نفس الموقع في سنة ١٣٥. وهذه قد أكلمت تحديد الأماكن التي في أورشليم المذكورة في الأناجيل وسفر أعمال الرسل. غير أن بعض الأماكن مثل منطقة الهيكل وبركة سليمان، التي أرسل إليها ربنا يسوع الرجل الأعمى لكي يغتسل (يو ٩: ١١)، قد تم تحديد موقعها بوضوح.

يمثل علم الآثار مساعدة قيمة في فهم الكتاب المقدس. وهو يمنحنا معلومات هائلة مما ينير لنا ما قد راح عن بال الحكماء منا، وأحيانًا يؤكد ما قد يعتبره البعض أمرًا مثيرًا للشك لولا التأكيدات الأثرية.

يمكننا أن نتفق مع كيث ن. شوفيل الذي يقول: «من المهم أن ندرك أن اكتشافات علم الآثار قد أنتجت دليلاً واسعًا يبرهن بشكل جلي أن الكتاب المقدس ليس تزييف ديني. ومن ثم، فإن لا يوجد تقرير تاريخي في الكتاب المقدس قد ثبت زيفه على أساس الأدلة التي حصلنا عليها من الأبحاث الأثرية»[٢١].

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثامن

هل المعجزات ممكنة؟

«هل تصدق فعلاً أن يونان بلعه حوت؟ وهل تعتقد حقًا أن المسيح أطعم خمسة آلاف شخص بخمس خبزات وسمكتين؟» هذه هي النغمة السائدة في الكثير من الأسئلة المعاصرة. وبالتأكيد، فإن هذه الأسئلة كثيرًا ما تزيد على ذلك بأن تؤكد أن قصص «المعجزات» في الكتاب المقدس حتمًا ليست أكثر من مجرد طرق جذابة لنقل حقيقة روحية وليس المقصود منها أن يتم فهمها بمعناها الحرفي.

كما هو الحال مع كل الأسئلة التي تدور بأذهاننا عن الله وعن وجوده، فإن نقطة البداية هي أن نميز الجذور، أي القضية العميقة التي تكمن وراء هذه الأسئلة. وإلا فإننا سنتوه في مناقشة الفروع وننسى الجذر العميق للقضية. وهذا ينطبق بشكل خاص على فهمنا للمعجزات. فليس ما يهم هو إمكانية حدوث معجزة بعينها، ولكن المهم هو المبدأ الكلي للمعجزات. ومحاولة التثبت من مصداقية إحدى المعجزات بعينها لن يساعدنا في الوصول إلى الجذور. لأن العقدة تكمن في إمكانية حدوث المعجزات بشكل إجمالي.

مفهومنا عن الله

يمتد كذلك السؤال عن مصداقية المعجزات على التساؤل عن مدى صحة النبوات المستقبلية أو أي عمل خارق للطبيعة. فجميع هذه الأسئلة تنبع من مفهومنا عن الله

coptic-books.blogspot.com

الذي نتصوره كإنسان وليس كإله. وبمجرد أن نتصور وجود وسمات الله، لا تعود المعجزات تمثل أي مشكلة. فالله - بحسب تعريفه - هو كلي القدرة. وفي غياب مثل هذا الإله، يصبح مفهوم المعجزة من الصعب، ما لم يكن من المستحيل، أن نتفهمه.

جاءتني هذه الفكرة بمنتهى القوة ذات يوم بينما كنت أتكلم عن ألوهية المسيح مع أستاذ جامعي ياباني صديق لي. قال لي: «أجد أن من الصعب جدًا تصديق أن إنسانًا يمكن أن يصير إلهًا». فأجبته، وأنا أحس بمشكلته: «نعم، يا كينيشي، هذا نفس ما وجدته، ولكني أستطيع أن أؤمن أن الله يمكنه أن يصير إنسانًا». هنا أدرك الفارق في لحظة، ولم تمضي فترة طويلة حتى رأى مدى منطقية أن الله في المسيح جاء إلى الأرض، وصار صديقي هذا مؤمنًا.

هل الله محدود في قانون الطبيعة؟

هنا يعود السؤال ليكون: «هل يوجد إله كلي القدرة وخالق للكون؟» إذا كان موجودًا، فإن مشكلتنا مع المعجزات ستكون أقل كثيرًا. لأنه في هذه الحالة فإن الله يتسامى على قانون الطبيعة الذي هو واضعه. ومراجعة منظورنا الأساسي عن الله، بأنه هو الإله الحي والفعال وكلي القدرة والمعتني، هذا سوف يساعدنا في تفكيرنا عن المعجزات.

الفيلسوف دافيد هيوم قدم تعريفًا للمعجزة باعتبارها انتهاك لقانون الطبيعة. غير أن مثل هذا الموقف، تحديدًا يؤله قانون الطبيعة. فهذا الموقف يعظم من شأن قانون الطبيعة بطريقة تُصيِّر الله أسيرًا لقانون الطبيعة وبالتالي يتوقف عن كونه إلهًا.

coptic-books.blogspot.com

في هذا العصر العلمي الحديث، من الشائع أن يتم تشخيص العلم وقانون الطبيعة. وهذا ينحرف بنا عن حقيقة أن هذه القوانين ليست سوى نتائج غير شخصانية لملاحظاتنا، بل أنها حتى تجعل أحيانًا من قوانين الطبيعة شيئًا أشبه بالإله في حد ذاتها. لكن المسيحي يرى قانون الطبيعة بأنه يسير بحسب قانون السبب والنتيجة القابل للملاحظة، والذي يمكن ملاحظته في كل وقت. وفي الوقت ذاته، لا يحد الكتاب المقدس من حق الله وقدرته على التدخل وقتما وكيفما يختار هو. فالله خارج وفوق ومحيط بقانون الطبيعة، وهو غير مقيد به.

لا تسبب قوانين الطبيعة أي شيء بالكيفية التي نعنيها حينما نتكلم عن الله الذي يسبب ويخلق. فهذه القوانين ليست سوى توصيفات لما لاحظنا حدوثه.

ما هي المعجزة؟

المعجزة كلمة تستخدم بمعاني فضفاضة في وقتنا الحاضر. فإذا نجح طالب مرتعب في اجتياز امتحانًا، فإنه يقول: «لقد كانت معجزة!» أو إذا قام رحالة عجوز برحلة طويلة عبر القارات، نقول: «إنها معجزة!» إننا نستخدم هذا المصطلح لنعني أي شيء غير عادي أو غير متوقع. ولسنا نقصد بالضرورة أن يد الله كانت تعمل في هذا الأمر.

لكن المعجزات، كما يقول الكتاب المقدس، هي أعمال الله. وهذا معنى مختلف تمامًا عما نستخدمه في حديثنا الشائع. إذ يشير الاستخدام الكتابي إلى عمل إلهي يخترق ويغير أو يعترض المسار الطبيعي للأمور.

يسجل الكتاب المقدس أنواع عديدة من المعجزات، والبعض منها قد يكون له

coptic-books.blogspot.com

تفسير طبيعي. على سبيل المثال، يخبرنا (سفر الخروج ١٤) أن الله صنع طريقًا عبر البحر الأحمر لمساعدة بني إسرائيل على الهروب من العبودية في مصر. وقد أعتقد البعض أن البحر انشق بشكل طبيعي نتيجة لرياح عالية جعلت المياه تتراجع للخلف. وربما حدث هذا بمعزل عن تدخل الله، ولكن الجزئية المعجزية في القصة هي في التوقيت. فهنا هبت الرياح العاتية في اللحظة التي اقترب منها بنو إسرائيل من الشاطئ بينما تطاردهم مركبات فرعون. ثم بعد أن عبر بأمان جميع بني إسرائيل إلى الجهة المقابلة إذ بالرياح العاتية تصمت تمامًا وتدع مياه البحر تغرق جيش فرعون وتمنعهم من مواصلة مطاردتهم لبني إسرائيل. هنا التوقيت هو الدليل على التدخل المعجزي لله.

من الجهة الأخرى، هناك العديد من المعجزات لا يظهر لها أي تفسير طبيعي. فقيام لعازر من الأموات وقيامة المسيح يسوع نفسه كلاهما تتضمنان قوات لا نعلمها وخارج نطاق ما يسمى قانون الطبيعة. ونفس الأمر ينطبق على العديد من المعجزات الشفائية للرب يسوع.

ربما تغوينا فكرة تفسير هذه المعجزات على أنها استجابة نفس-جسدية، ولكن المعجزات الشفائية ليسوع بالتأكيد كانت خارج نطاق هذا التصنيف. فلنأخذ على سبيل المثال شفاء المصابين بالبرص. إذ من الواضح أن هؤلاء الأشخاص لم يكن لديهم أي أساس نفس-جسدي، لأن هذا المرض ينجم عن غزو بكتيري للجسم. لقد اختبر مرض البرص الذين نالوا الشفاء قوة مباشرة من الله. وكذلك يوجد حالات من المرضى بأمراض خلقية نالوا الشفاء. إذ من غير الممكن أن يستند شفاء الرجل المولود أعمى على أساس نفس-جسدي (يو ٩).

coptic-books.blogspot.com

وهناك فكرة أخرى كثيرًا ما يتم طرحها وهي تنادي بأن هؤلاء الأشخاص في الأزمنة القديمة كانوا يتصفون بالجهل والسذاجة والتفكير الخرافي المفرط. وبلا شك فقد اعتقدوا بأن الكثير من الأشياء معجزات ولكننا الآن نعرف أنها لم تكن معجزات على الإطلاق بل ببساطة ظاهرة لم يتمكنوا هم من فهمها. لقد اتسع فهمنا بشكل هائل والفضل في ذلك يعد إلى مزايا العلم الحديث. فمثلاً، لو أتيح لنا أن نطير بطائرة صغيرة فوق قبيلة بدائية اليوم، فربما سيسقطون على الأرض ويسجدون لهذا الإله الطائر الفضي الذي جاء من السماء. وسيعتقدون أن المشهد الذي شاهدوه شيئًا معجزي. لكننا سنكون عارفين أن الطائرة ببساطة مجرد نتيجة لتطبيق مبادئ الديناميكا الهوائية، ولا شيء معجزي في هذا على الإطلاق.

في حالة الرجل الأعمى، كان هناك نظرة واقعية لحالته. لقد لاحظ الناس أنه منذ قديم الأزل لم يُعرف أن رجلاً مولودًا أعمى صار يبصر. ونحن ليس لدينا أي تفسير طبيعي إضافي لمعجزة شفاء يسوع له أكثر مما كان متاحًا لهم معرفته. ومن اليوم لديه تفسير طبيعي إضافي لقيامة يسوع من بين الأموات أكثر مما كان متاحًا عند حدوث هذه المعجزة؟ لا أحد! فنحن لا نستطيع ببساطة أن نتخلص من المعالم الخارقة لما يسجله لنا الكتاب المقدس من معجزات.

لا يوجد تعارض مع قانون الطبيعة

غير أنه من المهم أن نلاحظ أن المعجزات لا تتعارض مع أي قانون للطبيعة. فكما يقول البروفسور ج. ن. هواثورن: «المعجزات أحداث غير معتادة يسببها الله. أما قوانين الطبيعة فهي تعميمات بشأن أحداث معتادة يسببها الله أيضًا»[1].

هناك وجهتا نظر بين المسيحيين المفكرين بخصوص علاقة المعجزات بقانون الطبيعة.

coptic-books.blogspot.com

أولاً: توظف المعجزات قانون طبيعي «أعلى»، وهو غير معلوم حاليًا بالنسبة لنا. فمن الواضح تمامًا أنه على الرغم من كل الاكتشافات المذهلة للعلم الحديث، مازلنا نقف عند شاطئ محيط من الجهل. وتقول هذه الأطروحة إنه عندما تتزايد معرفتنا إلى حد كاف، سوف ندرك أن الأمور التي كنا نعتقد أنها معجزية لم تكن سوى إعمال لقوانين أسمى للكون، ونحن لم نكن على علم بهذه القوانين.

إن القانون، بحسب المعنى العلمي الحديث، هو أمر متكرر ويعمل بشكل منتظم. والقول بأن المعجزة هي نتيجة لقانون أعلى، سوف يجعلنا لا نعترف بأي انحراف عن قانون الطبيعة.

ثانيًا: المعجزات الكتابية هي عمل الله الخالق، إنها عمل سيادي وسامي لقوة الله الخارقة للطبيعة. ويبدو أن هذا المنظور ملائم أكثر للحقيقة.

المعجزات الكتابية

لم تكن المعجزات الكتابية على الإطلاق أحداث نزوية أو خيالية، على عكس قصص المعجزات في الكتابات الوثنية وتلك التي في الديانات الأخرى. فقد كان هناك دائمًا ترتيب واضح وغرض من وراء هذه المعجزات. وهي تتمحور حول ثلاث فترات من التاريخ الكتابي:

الخروج،

الأنبياء الذين قادوا بني إسرائيل،

وزمن المسيح والكنيسة المبكرة.

في السجلات الكتابية للمعجزات نجد أن كلاً منها كان دائمًا له غاية واحدة

coptic-books.blogspot.com

وهي: تأكيد الإيمان. إذ عملت هذه المعجزات على منح المصداقية لرسالة ولرسول، أو أنها عبرت عن محبة الله بإزالة المعاناة. لكنها لم تحدث أبدًا على سبيل التسلية أو الإمتاع، كما يفعل الساحر في استعراضاته أمام الجمهور.

لم يحدث أبدًا أن جاءت معجزة لأجل تحقيق مكانة شخصية أو لكسب المال أو السلطة. فقد حاول الشيطان إغواء يسوع في البرية لكي يستغل قوته المعجزية بهذه الطريقة تحديدًا، لكن يسوع ظل يرفض بثبات. وأشار إلى مركزية الله في استخدام أي إظهار للمعجزات (انظر لوقا ٤: ١- ١٣).

وفي إجابة الرب يسوع على مطالبة اليهود له بصراحة أن يخبرهم بوضوح إذا ما كان هو المسيا، أجاب يسوع: «إني قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي» (يو ١٠: ٢٥). ومرة ثانية يقول لهم لو لديهم أي شك أو تردد فيما يتعلق بتصديقهم لأقواله، فعليهم أن يصدقوه «لسبب الأعمال نفسها» (يو ١٤: ١١).

لقد استخدم الله المعجزات في الكنيسة الوليدة لتأكيد رسالتهم، والتي تركزت حول معجزة القيامة. لاحظ سفر أعمال الرسل.

لماذا ليس الآن؟

كثيرًا ما يقول الناس: «إذا كان الله قد قام بهذه المعجزات في ذلك الوقت، فلماذا لا يقوم بها الآن؟ لو أنني شاهدت معجزة فلربما أؤمن!» لقد جاءت الإجابة على هذا السؤال من يسوع نفسه. إذ حكى عن رجل غني كان في عذاب الجحيم، ورفع عينيه وترجى إبراهيم أن يرسل شخصًا لتحذير إخوته الخمسة لئلا يأتوا هم أيضًا إلى هذا المكان الشنيع. لكن إبراهيم قال له إن إخوته لديهم الكتاب المقدس. لكن الرجل

coptic-books.blogspot.com

الغني أعترض قائلاً إنه لو قام شخص من بين الأموات، فسوف تصدمهم المعجزة فيرجعوا عن حياتهم الحاضرة ويتبعوا يسوع. وجاءت الإجابة التي تنطبق على أيامنا الحاضرة كما على وقتها لتقول له: «إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون» (لو ١٦: ٣١). وهذا هو نفس الواقع اليوم.

يمكن لهذه العبارة التي قالها يسوع أن تتكلم إلينا في وسط ضغوط عاداتنا الثقافية المعاصرة. فبلا وعي منا تسيطر افتراضاتنا المسبقة على أذهاننا وتجعلنا نستبعد أي إمكانية لحدوث المعجزات. ويخبرنا تفكيرنا ما بعد الحداثي أن المعجزات أمر مستحيل؛ ولا يوجد أي قدر من الأدلة، مهما زادت، يمكن أن تقنعنا بحدوث أي معجزة. وبشكل تلقائي، سوف يكون البديل هو اللجوء إلى التفسير الطبيعي.

المعجزات الكتابية تتميز دائمًا بأنها موجهة لغرض. هناك مرات عدة كان فيها الناس الذين شاهدوا قوة الرب يسوع يطلبون المزيد من السحر أو القوة الخارقة. غير أن يسوع كان يؤكد باستمرار أن غايته الوحيدة هي أن يعلمهم الحق الروحي، ولكي يبرهن على شخصيته وعلى قوة أبيه السماوي. لقد كانت غايته أن يمنحنا الحياة، حياة أفضل، ويعلن الله لنا. «أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو ١: ١٧). وهكذا اتجهت كل معجزة نحو هذه الغاية.

السجلات الموثوق بها تؤكد حدوث المعجزات

ليست المعجزات ضرورية بالنسبة لنا اليوم كأساس لإيماننا لأن لدينا سجلات رائعة واستثنائية ذات دقة فائقة تظهر لنا الحق الإلهي. كما يلاحظ رام: «هناك معجزة حقيقية نجدها في الشهادة المكتوبة. التي لو قمنا بفحصها بما يكفي، سوف نرى كيف لهذه السجلات المكتوبة نفس القدرة على تقديم الدليل على حدوث المعجزة كما لو أننا اختبرنا حدوث هذه المعجزة بأنفسنا»[٢].

coptic-books.blogspot.com

تعمل جميع المحاكم في كل أنحاء العالم بالاستناد على الشهادة الموثوق بها سواء الصادرة من الفم أو المكتوبة. فيضيف رام: «لو أن يوحنا شهد بالفعل قيامة لعازر وسجلها بصدق بينما كانت ما تزال واضحة في ذهنه وذاكرته، فإنها، كدليل، تكون بمثابة أننا كنا هناك وشاهدنا هذه المعجزة»[٢]. ثم يذكر رام قائمة بالأسباب التي تجعلنا نعرف أن المعجزات تدعمها شهادة كافية وموثوق بها. ونذكرها إيجازًا كما يلي:

أولاً: أجرى يسوع معجزاته علنًا. فهو لم يقم بها سرًا أمام شخص أو اثنين فقط، ثم قام هذا الشخص بإذاعة المعجزة للعالم. لقد توافرت جميع الفرص للتحقق من المعجزات على الملأ. والأمر المثير حقًا أن مقاومي يسوع لم ينكروا أبدًا حقيقة المعجزات التي قام بها. لكنهم إما نسبوها إلى قوة الشيطان أو حاولوا إخفاء الأدلة، كما هو الحال مع معجزة إقامة لعازر من الموت. إذ قالوا: «دعنا نقتله قبل أن يدرك الناس ما حدث فيتبعه العالم كله!».

ثانيًا: قام يسوع بمعجزاته أمام أشخاص غير مؤمنين به. على العكس، نجد أن المعجزات التي تزعم بها الديانات أو العقائد الأخرى لا يبدو أبدًا أنها حدثت عندما يكون من بين الحضور شخص متشكك. لكن لم يكن هذا هو الحال مع الرب يسوع.

ثالثًا: قام يسوع بمعجزاته خلال ثلاث سنوات خدمته، وشملت معجزاته أنواع مختلفة من القوات. إذ كان ليسوع سلطان على الطبيعة، كمثل تحويله الماء إلى خمر. وكان له سلطان على المرض، مثلما شفى البرص والأعمى. وكان لديه سلطان على الشياطين، كما ظهر في طرده لهم. وكان يتمتع بمعرفة خارقة للطبيعة، كما يظهر في

coptic-books.blogspot.com

معرفته بأن نثنائيل كان تحت شجرة التين. لقد أظهر قوته على الخلق حينما أطعم خمسة آلاف شخص باستخدام خمس خبزات وسمكتين. كان لديه السلطان على قوى الطبيعة عندما هدَّأ العاصفة والأمواج. وأخيرًا، فقد أظهر سلطانه على الموت نفسه في إقامة لعازر وآخرين من الموت.

رابعًا: شهادة الجموع أمر لا يمكن إنكاره. فكما سبق أن لاحظنا، لدينا هذه الشهادة من هؤلاء الناس، مثل لعازر، الذين معجزات الشفاء التي حدثت معهم لا يمكن أن تكون مجرد أعراض نفس - جسدية أو ناتجة عن تشخيصات غير دقيقة.

خامسًا: بالمقارنة مع الديانات غير المسيحية، فإن هذه السجلات عن يسوع الناصري تعد متفردة بشكل غير عادي، وهي تدخل ضمن فئة مختلفة كليًا، ولها غرض مختلف تمامًا. إنها ليست سوى جزء من رسالة كلية وحقيقية: رسالة ميلاده ورسالته للغفران وموته وقيامته.

عادة ما يؤمن الناس بالمعجزات في الديانات الأخرى لأنهم يؤمنون بالفعل بهذه الديانة، ولكن في الديانة الكتابية، تكون المعجزة جزءًا من الوسيلة التي بها يتم التأكد من صحة الديانة. هذا التمايز له أهمية شديدة الخصوصية. فقد وُجِد بنو إسرائيل نتيجة لسلسلة من المعجزات، كما يغلب على الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم مجموعة من العجائب. وقد عُرِف الكثير من الأنبياء بأنهم يتكلمون بلسان الله بسبب قوتهم وقدرتهم على القيام بالمعجزات. وجاء يسوع ليس فقط كواعظ وإنما أيضًا كصانع معجزات، كما صنع الرسل معجزات عجيبة من وقت لآخر. وهكذا كانت المعجزة هي التي تؤكد صحة الدين في كل وقت[٤].

وكما كتب سي. أس. لويس: «أعتقد أن كل أساسيات الهندوسية سوف تظل

coptic-books.blogspot.com

قوية لو أنك حذفت الجانب المعجزي، ونفس الأمر تقريبًا ينطبق على الإسلام، ولكنك لا تستطيع عمل ذلك مع المسيحية. فهي تحديدًا قصة معجزة عظيمة. ولذا فإن المسيحية ذات التوجه الذي ينكر المعجزة ينزع تمامًا من المسيحية كل ما يميزها ويجعلها بالفعل مسيحية»[٥].

معجزات وثنية

تختلف المعجزات المسجلة خارج الكتاب المقدس في ترتيبها ووقارها وكذلك غايتها عن تلك التي في الكتاب المقدس. ولكن الأمر الجدير بالاهتمام حقًا هو أن الكم الهائل والراسخ من التوثيق والمصداقية الذي يرتبط بالمعجزات الكتابية، والذي رأيناه في الفصل السادس، لا نجده فيما يتعلق بالمعجزات غير الكتابية. حيث أن الفحص المماثل للسجلات العلمانية والوثنية للمعجزات يظهر أن المجموع الكلي للرسالة الخاصة بهذه المعجزات مفقود. وكلما دمجنا هذه الحقائق في تفكيرنا، زادت قدرتنا على الحكم الدقيق بشأن حقيقة كل المزاعم المختلفة.

فباستخدام نفس المعايير للحكم على المعجزات وأعمال الشفاء المزعومة التي نستمع إليها في وقتنا الحاضر يمكننا أن نساعد أنفسنا على التفكير الدقيق. ويمكن للاتساق والمصداقية التي تتمتع بها المعجزات الكتابية أن تصير هي المعيار الذي نحكم به على جميع المعجزات المزعومة الأخرى في وقتنا الحاضر. وسترى بنفسك أنها لن تستطيع الصمود أمام الفحص. فباستعراض موجز سوف يظهر أنها غير مساوية للمعجزات الكتابية. وعليك بأن تنتبه إلى أن اكتشاف بعض المعجزات المزيفة ليس دليلاً على أن جميعها زائفة، تمامًا كما أن اكتشاف بعض العملات المزيفة لن يعني أبدًا أن كل العملات مزيفة. لكن ذلك يساعدنا على مقارنة الصورة الكلية لكل

coptic-books.blogspot.com

معجزة يتم فحصها.

التقارير المبالغة

أجريت بعض المحاولات لتفسير المعجزات على أساس أنها تقارير مبالغة، خاصة تلك التقارير التي دونها أتباع يسوع. وعمومًا، يمكننا القول بأن الناس غير مدققين في عرضهم للأحداث والانطباعات. فما عليك إلا أن تلعب اللعبة البسيطة التي تسمى «الشائعة» والتي فيها يهمس المشاركون بسر من شخص لآخر في غرفة وانظر إلى التفاصيل التي تغيرت من خلال تناقل هذا السر. وفي ضوء هذا الميل، يقول البعض إنه من الواضح أن إمكانية الاعتماد على أي إنسان كملاحظ أو شاهد يمكن بسهولة الطعن فيها. وعلى هذا الأساس، يمكننا أن نطعن في مصداقية ما ذكرته الأناجيل عن المعجزات باعتبارها ملاحظات خاطئة لأشخاص غير مدققين ولديهم خيال واسع.

وبالرغم من هذا الميل السائد لدى البشر، فإن المحاكم لم تتوقف عن استخدام الشهادة، ومازال شهود العيان قادرين على توفير معلومات مفيدة للغاية. ومع أنه قد يكون هناك بعض التساؤل حول حادثة سيارة مثلاً، إلا أن التفاصيل التي يقدمها شهود العيان يمكن أن تمدنا بالمعلومات عن الوقت وسرعة السيارة ومكان الحادث وغيرها. ولا يمكن القول بأن هذه الحادثة لم تحدث بسبب التناقض في روايات شهود العيان. فكما يلاحظ رام، أن السيارات المحطمة والأشخاص المصابين هم الدليل غير القابل للجدل الذي يتفق عليه الجميع[٦].

بالطبع نرى أنه قد تتواجد قصور في البراهين المطروحة مثل مدى إمكانية

coptic-books.blogspot.com

الاعتماد على الشهود. وسوف تُمنح كل الاعتبارات لمساعدتنا على رؤية أن بعض الحجج عندما يتم دفعها إلى أقصى حدودها فإنها قد تتسبب في دحض التأكيدات التي كانت موضوعة في الأصل للدفاع عنها. على سبيل المثال، من يشككون في إمكانية الاعتماد على شهادة البشر هم أنفسهم يفترضون أنه من الممكن الاعتماد على شهادتهم. بمعنى آخر، إذا قال شخص إن شهادة شخص آخر لا يمكن الاعتماد عليها، فثمة إمكانية مساوية أن شهادة هذا الشخص نفسه تصير غير قابلة للاعتماد عليها.

المؤمنون لا يمكنهم أن يكونوا موضوعيين

هناك فكرة مثيرة للجدل تقول بأنه لابد من نبذ قصص المعجزات لأن رواتها هم التلاميذ المؤمنون وبالتالي فهي ليست موضوعية. غير أن التلاميذ هم الأشخاص الذين كانوا في المشهد والذين رأوا المعجزات. حقيقة كونهم تلاميذ لا يزيد ولا ينقص من القضية. لكن السؤال يبقى هو: هل هم أخبرونا بالحق؟ فكما رأينا، شهادة شهود العيان هي أفضل ما يمكننا الحصول عليه، ومعظم التلاميذ واجهوا شبح الموت كاختبار لصدقهم.

وفي محاكمنا، لن نقول إنه من أجل ضمان موضوعية الشهود، فإننا سنستمع فقط لمن لم يكونوا في مشهد الحادثة وليس لهم أي علاقة بها. كذا فلن نقول إننا لن نأخذ الشهادة من شهود العيان أو الضحايا، بزعم أنهم سيكونون متحيزين. السؤال المحوري في كل قضية هو مدى كون المرء صادقًا، وليس القرابة أو العلاقة بالأحداث.

coptic-books.blogspot.com

السؤال فلسفي

السؤال الأساسي بخصوص إمكانية حدوث المعجزة ليس سؤالاً علميًا، بل فلسفيًا. فباستطاعة العلم فقط أن يقول إن المعجزات لا تحدث في المسار العادي للطبيعة. بيد أن العلم لا يمكنه منع المعجزات لأن قوانين الطبيعة لا تسايرها وبالتالي فالعلم لا يمكنه منع أي شيء. لأن قوانين الطبيعة، كما نراها، ليست سوى توصيفات لما يحدث في الواقع.

المسيحي أيضًا يقبل بمبدأ قانون الطبيعة. «فمن المهم جدًا لعقيدة المعجزات الإيمانية أن تكون الطبيعة منتظمة (يمكن التوقع بها) في روتينها اليومي. ولكن لو كانت الطبيعة عفوية (لا يمكن التوقع بها) تمامًا، فسيصير من المستحيل التعرف على المعجزة»[٧].

لكن الاختلاف بين المسيحي والمؤمن بالعلم فقط هو اختلاف فلسفي طالما أن كلاً منهما لديه افتراضات مسبقة مختلفة عما لدى الآخر، وهذه الافتراضات تشكل الأساس الذي تقوم عليه جميع آرائنا. وهنا تعتمد إمكانية رؤية شيء ما على أنه معجزة على افتراضاتنا المسبقة وعلى وجهة نظرنا أو على منظورنا للعالم بأثره.

ما هو إذن الافتراض المسبق للمسيحي؟ الله موجود، وهو قد أسس قانون الطبيعة، ويمكنه أن يخترقه أو لا يخترقه. إن الله الخارق للطبيعة والإله الشخصاني المتفاعل هو الأساس الذي يكمن وراء كل الظواهر الطبيعية والروحية. قال ج. ك. شسترتون: «المعجزة أمر مذهل: ولكنها الأمر بسيط. وهي بسيطة لأنها معجزة. إنها قوة آتية مباشرة من الله بدلاً من أن تأتي بصورة غير مباشرة من خلال الطبيعة أو المشيئة البشرية»[٨].

coptic-books.blogspot.com

إذن، ما هو الافتراض المسبق للعالِم اللا أدري أو الملحد؟ الله لا يوجد ولا يمكنه أن يوجد. والعلماء عمومًا (ما لم يكونوا مؤمنين) يصدرون كل أحكامهم وآراءهم بالاستناد على الملاحظات الطبيعية والمادية، ويعتقدون أنه لا يوجد أي بديل آخر. ومن منطلق هذا الافتراض المسبق فلا يمكن للخارق للطبيعة أن يخترق الطبيعة وبالفعل لا يجب أن نضع له أي اعتبار. العالِم، مثل أي شخص آخر، يمكنه أن يسأل فقط، «هل سجلات المعجزات يمكن الاعتماد عليها تاريخيًا؟» لكنه لا يستطيع أن يتقدم لخطوة أخرى أكثر من ذلك.

كموجز للأفكار التي تتعلق بالمعجزات، رأينا المعجزات في الكتاب المقدس كجزء أساسي من تواصل الله معنا – وليس مجرد ملحق ذي أهمية ضئيلة. كما أخذنا هذا أيضًا مرة أخرى إلى السؤال المطلق، هل الله موجود؟ فبمجرد الوصول إلى إجابة عن هذا السؤال تتوقف المعجزات عن أن تكون مشكلة. حيث أن النظام والانتظام نفسه الذي تعارضه المعجزة بقوة هو نفسه يعتمد على الإله كلي القدرة الذي أوجد قانون الطبيعة، والذي هو أيضًا قادر على تجاوز هذا القانون لتحقيق مقاصده السيادية.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل التاسع

هل يتفق العلم مع الكتاب المقدس؟

لا يوجد سؤال أشعل نقاشًا حادًا مثل السؤال القائل: هل يتفق العلم والكتاب المقدس؟ وبالتأكيد ثمة صدام. فمن جهة هناك مسيحيون يجعلون الكتاب المقدس يقول أشياءً هو في الحقيقة لم يأتِ على ذكرها؛ تلك العبارات التي تبدو متناقضة مع العلم. ومن الجهة الأخرى، نجد العلماء الذين يزعمون أن تفسيراتهم الفلسفية هي بنفس قوة ويقينية الحقائق العلمية. وعندما يبدو أن هذه التفسيرات لا تتلاءم مع الكتاب المقدس، فهنا تنشأ مشكلة من جديد.

السؤال هو: «هل اختلف بعض المسيحيين والعلماء؟» وبالطبع فإن الإجابة ستكون هي نعم! إذ ما علينا إلا أن نتذكر اضطهاد الكنيسة لجاليليو بسبب زعم الكنيسة أن الشمس تدور حول الأرض، وكذلك المحاكمة الشهيرة التي دارت في سنة ١٩٢٥ بشأن دراسة الخلق أم التطور في المدارس وكذلك المواجهة التي دارت حول العبودية منذ قرنين بين ويلبرفورس وهوكسلي، فكل هذه الأمور وغيرها تجعلنا نتأكد من وجود مثل هذا الاختلاف والتباين.

المعنى الحقيقي لكلمة مسيحي

كما أشرت، فإن جزءًا من المشكلة ينبع من بعض المسيحيين الحقيقيين لكنهم مخطئين الذين جعلوا الكتاب المقدس يقول ما لم ينطق به الكتاب فعلاً. ويمكننا أن

coptic-books.blogspot.com

نرى مثالاً قديمًا لكنه مؤلم في التسلسل الزمني للكتاب المقدس الذي قام بجمعه الأسقف چيمس أشر (١٥٨١ - ١٦٥٦)، والذي كان معاصرًا لشكسبير. فقد أعد سلسلة من التواريخ من سلاسل الأنساب في الكتاب المقدس وتوصل إلى أن العالم خُلِقَ في سنة ٤٠٠٤ ق. م.

هناك اعتقاد سائد بين الكثير من المتشككين، ومن بينهم اللورد الشهير بيرتراند راسل، أن المسيحيين جميعهم في الواقع يؤمنون بأن الخلق حدث في سنة ٤٠٠٤ ق. م. ومنذ فترة كنت أزور طالبًا في جامعة ميدويست ستيت. فأراني هذا الطالب امتحان (صح وخطأ) من مادة بخصوص الحضارة الغربية. وفي أحد الأسئلة مكتوب: «تبعًا لما يقوله الكتاب المقدس، فإن العالم قد خُلِقَ في سنة ٤٠٠٤ ق. م.»

قلت له: «أعتقد أن أستاذ هذه المادة كان يريد أن تجيب على هذا السؤال بعلامة صح».

فأجابني الطالب: «هذا صحيح».

أصابتني الدهشة وقلت: «مدهش». فأخرجت من جيبي نسخة من الكتاب المقدس وقلت له: «أرجو أن تريني أين يقول الكتاب المقدس هذا».

حار الطالب من عدم قدرته أن يجد التاريخ في الصفحة الأولى من سفر التكوين. وكان معي طالب حاول أن يبدو مساعدًا لصديقنا الطالب فتطوع بالقول: «هذا الموضوع موجود في صفحة ٣».

كلاهما لم يكونا عارفين أن تواريخ الأسقف أشر، التي تظهر في بعض الترجمات الإنجليزية للكتاب المقدس، ليست جزءًا من النص الأصلي للكتاب المقدس.

coptic-books.blogspot.com

على الجانب الآخر، اشتهر بعض العلماء بإصدارهم بيانات تتجاوز الحقائق العلمية. وتتصف هذه البيانات بأنها تفسيرات فلسفية للمعلومات التي لا تحمل نفس الثقل الذي للحقائق العلمية. وللأسف، نادرًا ما يتم التمييز بين الحقائق والتفسيرات في عقول المستمعين.

عندما يتحدث العالِم

من المتوقع أن يلقى حديث العالِم في أي موضوع التصديق. وأحيانًا يتحدث العالِم في خارج مجال تخصصه، غير أن نفس التقدير الذي يحظى به في مجاله ينتقل بطريقة لا إرادية إلى كل شيء يقوله. فمن الذي يستطيع أن يتجادل مع مثل هذا الشخص الواسع المعرفة؟ فمثلاً، الكاتب والبروفسور الراحل كارل ساچان أستاذ علم الفلك الشهير في جامعة كورنيل، كان يمثل هذا التداخل بين العلم والمزاعم العلمية في عرض آراءه الفلسفية الشخصية. فقد أجرت مجلة «**U.S. News and World Report**» حوارًا معه تناول موضوع العلم والدين. وبالتأكيد فإن تخصصه هو العلم؛ وفي المقابل لا يمكن أن نعتبره متخصصًا في الدين. غير أنه انهال علينا بتصريحات دينية جريئة على شاكلة: «الكون هو كل شيء كان وسيكون للأبد»؛ «أهم ما يميزنا نحن البشر أننا صنعنا أنفسنا»؛ و«إذا كان علينا أن نعبد قوة عظمى أكبر منا، ألن يكون من المنطقي أن نعبد الشمس والنجوم؟» ولكن لماذا سيكون علينا أن نعبد الطبيعة لو أنها كما قال هو: «نتيجة للصدفة العمياء وجزء من عملية ليس لها أي مغزى»؟[1].

الإيمان مشكوك فيه

هناك منطقة أخرى تصاعد فيها الخلاف وهي التساؤل حول إذا ما كانت تلك

coptic-books.blogspot.com

الأمور التي لا يمكن التحقق منها بواسطة المنهج العلمي يمكن اعتبارها صحيحة ومقبولة. يفترض بعض الناس بوعي، وغيرهم بلا وعي، أنه إذا لم يمكن إثبات أمر معمليًا بواسطة مناهج العلم الطبيعي، فهو يكون بذلك غير جدير بالثقة ولا يمكن قبوله كأمر معقول. وتعتبر نتائج العلم موضوعية ومن ثم فهي مقبولة؛ أما الأمور التي يجب أن يتم قبولها بالإيمان فهي أمور مشكوك فيها.

يُعبر عالِم الأحياء المشهور إ. أو. ويلسون عن هذا الاتجاه في كتابه «في الطبيعة البشرية». ويقول: «أقصى قمة حاسمة يصلها العلم الطبيعي سوف تأتي من قدرة العلم على شرح وتفسير الدين التقليدي، والذي يعد منافسه الرئيسي، باعتباره ظاهرة مادية بامتياز»[٢].

غير أن هناك طرقًا ووسائل أخرى غير المعمل للحصول على معرفة حقيقية وأصيلة. دعنا نتأمل في عملية الوقوع في الحب. بكل تأكيد لا تحدث هذه العملية في المعمل، لكن أي شخص اختبر هذا الشعور سوف يكون آخر من يعترف بأن معرفته بالحب مشكوك فيها أو غير حقيقية. وهناك افتراضات مسبقة الأخرى للعلم منها وجود الحق وقوانين المنطق وكفاية اللغة والأعداد. الحقيقة البسيطة هي أن المعتقدات التي يمكن تبريرها عقليًا متواجدة في مجالات عديدة خارج العلم[٣].

يمكن تطبيق المنهج العلمي فقط على تلك الحقائق التي يمكن قياسها فيما يتعلق بالأمور المادية.

يمثل الله نوعًا مختلفًا من الحقيقة تختلف عن العالم الطبيعي الذي يفحصه العلم. إذ لا ينتظر الله أن يجري عليهم أحدهم اختباراته التجريبية؛ فهو كائن روحي

coptic-books.blogspot.com

يتواجد خارج إطار الزمان والمكان. ومع ذلك فهو كائن شخصاني يعلن عن نفسه في التاريخ ويمكن أن يُعرَف في حضوره الشخصي.

العلماء يستخدمون الإيمان

لا يسبب الإيمان أي أذى في فهمنا للحقيقة. في الواقع، يقوم العلم نفسه على افتراضات مسبقة يجب القبول بها بالإيمان قبل أن يكون من الممكن إجراء البحث بشأنها.

الكون منظم. فهو يعمل بحسب نموذج متبع، ويمكن لذلك فحصه كما يمكن توقع أفعاله. ويتضمن هذا أيضًا تماثل عالمنا وسوف يستمر كما هو الحال عليه الآن في الوقت الحاضر. على سبيل المثال، سوف يظل التفاح يسقط لأسفل وليس لأعلى!

الحقيقة الموضوعية موجودة ويمكن معرفتها. إذا كانت أهداف دراسة العالِم تنحصر في الجانب المادي والطبيعي، فسوف توجه كل الجهود لفحص هذه الظواهر الطبيعية. وربما يقول أحدهم إن الحقيقة العلمية لا يمكن أن تخرج خارج نطاق هذه المجالات التي يمكن قياسها. والافتراض العميق الذي يكمن خلف هذا الرأي هو أن أي شيء لا يمكن فحصه تحت الميكروسكوب أو بواسطة التليسكوب هو في الواقع غير موجود.

إمكانية الوثوق بالمدركات الحسية. هذا أيضًا افتراض غير مادي يجب قبوله بالإيمان. إذ يجب على المرء أن يؤمن أن حواسنا جديرة بالثقة بما يكفي للحصول على صورة حقيقية للكون وتمكننا من فهم نظام هذا الكون.

إمكانية تكرار التجربة المعملية. عندما يُنشر عملاً لأحد العلماء ويقوم عالِم

coptic-books.blogspot.com

آخر بتجربته، فإن النتائج يجب أن تكون متطابقة. لنضع هيدروجين وأوكسجين معًا بالنسب الملاءمة، وسوف تكون النتيجة هي الماء ... على افتراض توافر نفس الظروف. ولكن، كما سبق أن بيننا، فإن هناك الكثير من الأشياء، مثل التاريخ، لا يمكن إعادة تكرارها في المعمل.

ينبغي هنا أن نلاحظ أن المنهج العلمي، كما نعرفه اليوم، بدأ في القرن السادس عشر بين أشخاص كانوا مسيحيين. وقد حطم هؤلاء الأشخاص المبادئ التي تؤمن بتعددية الآلهة والتي كانت سائدة عند اليونانيين، حيث أن تلك المبادئ كانت ترى الكون متقلبًا وغير منتظم، وبالتالي لا يمكن دراسته بأسلوب نظامي. وعندها راحوا يتفكرون بأن الكون لابد أن يكون منظمًا وجديرًا بالبحث لأنه من عمل الخالق كلي الحكمة. وفي سعيهم وراء البحث العلمي كانوا مقتنعين أنهم يتبعون آثار خطي الله ويفكرون مثله ومن ورائه.

أدرك الكثيرون أن العلم لا يستطيع إصدار أحكام بشأن قيمة الأشياء التي يقيسها. وأيقن الكثير من العلماء الرواد أنه لا يوجد شيء أصيل في العلم يمكنه أن يرشدهم في تطبيق الاكتشافات والنتائج التي توصلوا إليها. لا يوجد شيء في العلم نفسه سوف يحدد ما إذا كانت الطاقة النووية سوف تستخدم لتدمير المدن أم للقضاء على مرض السرطان؛ فهذا حكم خارج نطاق المنهج العلمي.

يمكن للعلم أن يخبرنا كيف يعمل شيء ما ولكنه لا يمكنه أن يقول لنا لماذا يعمل بهذه الكيفية المحددة. كذلك لا يمكن للعلم أن يجيب عن السؤال حول إذا ما كان هناك أي غاية في هذا الكون. كما كتب أحد الكُتَّاب: «يمكن للعلم أن يعطينا المعرفة عن كيف، لكنه لا يستطيع أن يعطينا المعرفة عن لماذا»[٤].

coptic-books.blogspot.com

ونحن نعتمد على الإعلان الإلهي في الكثير من أنواع المعرفة، وغياب هذا الإعلان يتركنا مع صورة غير مكتملة على الإطلاق.

كلا الطرفين لديهما افتراضات مسبقة

جميع الناس لديهم وجهة نظر عامة، أو مجموعة من الافتراضات المسبقة، ونحن نستخدم هذه الافتراضات لترشيح وتنقية كل المعلومات الأخرى. ويؤمن المسيحيون أن العلم هو أحد الطرق للوصول إلى الحقيقة. أيضًا هم يؤمنون بأن الله موجود وهو فعال وعامل في خليقته وهو الإطار المرجعي الرئيسي لنا كمؤمنين. ولا يرى المسيحي أي تعارض بين العقل أو الفكر وبين الإيمان بالإله الخارق للطبيعة. كذا فإن العلماء المسيحيين لا يعتبرون أنفسهم أذكياء مصابين بالفصام بل بالأحرى يرون أنفسهم كتابعين يقتفون آثار خطي المؤسسين المسيحيين للعمل الحديث.

ولتوضيح ذلك، يصوغ وليم بالي أفكاره في القرن الثامن عشر قائلاً:

افترض أنني وجدت ساعة على الأرض، وكان من المفترض التقصي عن السبب الذي جعل الساعة توجد في هذا المكان. بالطبع لا أظن أني سأجيب قائلاً: لابد أن الساعة كانت موجودة هنا دائمًا. إذ من المؤكد أن هناك صانعًا لهذه الساعة، كان موجودًا قبل وجودها، وهو فنان ماهر استطاع تركيب الساعة لأجل الغرض الذي رأيناه فيها؛ شخص فكّر وتصوَّر تركيبها ثم صممها على هذا الأساس[٥].

يشرح هذا الافتراض المسبق لدى المسيحيين. إن الله، الخالق، كائن قبل أن يوجد العالم، وإنه كان ومازال صانعًا بارعًا شكل العالم وصممه. ويُنظر إلى العلم، إلى جانب أي معرفة أخرى، من خلال المُرشّح الذي مركزه هو الله.

يُبنى الإعلان الكتابي بأكمله على هذه المقدمة المنطقية؛ أن الله أعلن نفسه، وأنه

coptic-books.blogspot.com

هو الخالق. قال يسوع: «تعرفون الحق والحق يحرركم». (يو ٨: ٣٢). وهكذا يمكن التمييز بين الحق والخطأ.

على الجانب الآخر، فإن العلماء الملحدين أو اللاأدريين لديهم أيضًا افتراضات مسبقة مختلفة تمامًا عما لدى المسيحيين. فعلى الرغم من الاكتشافات والنتائج شديدة التفصيل وشديدة التعقيد، إلا أنهم يركزون بشدة بل يحاربون من أجل الآلية الخاصة بنظرية داروين عن النشوء والارتقاء. كما يتمسكون بنظرية التغير العشوائي والانتقاء الطبيعي. ويزعم العالِم الملحد ريتشارد داوكينز أن كل شيء، بما فيه عقولنا، يمكن أن نرجعه إلى أصله المادي. وهو يقول: «لدينا آلات حية – أو دوائر آلية مصممة بشكل أعمى للحفاظ على الجزيئات الأنانية (الخاصة بـ **DNA** الحي) المعروفة باسم الجينات». وفيما بعد لعله صار يفكر بطريقة مختلفة حينما قال: «الموضوعات والظواهر التي يصفها كتاب الفيزياء أبسط وأسهل من خاية واحدة في جسد كاتب هذا الكتاب»[٦].

لعل تأثير التشبيه الذي طرحه بالي عن صانع الساعات مازال جاذبًا ويثير الكثير من الانتباه بما له من منطق قوي يصعب دحضه. وقد أخذ داوكنز هذه الحجة الخاصة بصانع الساعات، وألف كتابًا بعنوان «صانع الساعات الأعمى» لكي يدحض فكرة بالي عن الصانع البارع ويشرح وجود الساعة، وقد ناصر الانتقاء الطبيعي: «إنه لا يمتلك عقلاً، ولا عيون لعقله. وهو لا يخطط للمستقبل، وليس لديه رؤية ولا بصيرة مستقبلية بل ولا أي رؤية على الإطلاق. فإذا كان علينا أن نتكلم عن دور صانع الساعات في الطبيعة، فبالتأكيد فلن نتكلم سوى عن صانع ساعات أعمى!»[٧].

coptic-books.blogspot.com

فتح الصندوق الأسود

استمرت المناقشات التي تستخدم تشبيه صانع الساعات كثيرًا، ونتج عنها الكثير من الغموض والتعجب فيما يتعلق بتفاصيل الحياة الطبيعية. وها هو مايكل بيي، وهو عالم أحياء جزئية، في كتابه «الصندوق الأسود لداروين» يكشف عن عدة عمليات لا غنى عنها للحياة، مثل تجلط الدم والإبصار. وبينما استطاع داروين يعبر عن التغيرات التدريجية التي تشرح التعديلات في الإبصار، إلا أنه يكاد يكون جاهلاً تمامًا بتعقيدات العمليات على مستوى تجلط الدم.

يشرح مثال واحد من أمثلة بيي كيف أن شبكية العين تتكيف وتعيد تعديل نفسها عندما يدخل الضوء فيها. فعندما يتلامس الضوء مع الشبكية في البداية فإن فوتون ضوئي يتفاعل مع جزيء يدعى (cis retinal - 11) لكي يعيد تعديل الشبكية حتى تكون شفافة في بيكوثانية. (البيكوثانية فترة قصيرة تبلغ حوالي الفترة التي ينتقل فيها الضوء مسافة شعرة إنسان واحدة)[٨]. ويستمر شلال من التفاعلات الكيماوية في الحدوث، وكل خطوة لازمة للوصول إلى الخطوة التالية، وجميع هذه الخطوات لا غنى عنها لتحقيق عملية الإبصار في النهاية. ولا يوجد أي تفسير سوى أن هناك تصميمًا ذكيًا كان وراء هذا كله. لأنه ببساطة إذا استبعدنا خطوة واحدة فقط من هذا كله فستتوقف عملية الإبصار بأكملها. فكيف يمكن أن يحدث هذا الترتيب في الخطوات في ظل نظرية التطور التدريجي إذا كانت جميعها لازمة لأجل تحقيق عملية الإبصار؟ هنا ترشدنا الكيمياء العضوية إلى الإيمان بالمصمم الذكي.

هناك تصويرات أخرى مشابهة يمكن الرجوع إليها. فالوظائف الدقيقة لما يقدر بحوالي ثلاثين ألف من الجينات في الجينوم البشري تصرخ عاليًا لتؤكد وجود

coptic-books.blogspot.com

مبرمج عبقري ورائها. كذا فإن DNA والبروتينات في الجسم البشري إنما هي بنوك للمعلومات تحتفظ بسماتنا الشخصية بكل تفاصيلها: طولنا وشعرنا ولون عيوننا وبصمتنا وخلايا دماغنا وغيرها. وكل كائن بشري، ماعدا التوائم المتطابقين، لديه مجموعة متفردة ليس لها مثيل. وهي تتكون من سلالم كيماوية لولبية، كما أنها شديدة التعقيد والتفرد حتى أن بيي يتوصل إلى أن ضرورة وجود مصمم. وعبارته الشهيرة الخالدة عن الچينوم البشري هي: إنه تعقيد لا يمكن اختزاله؛ إذ لا يمكن استبعاد أي شيء منه[٩].

يصور بيي فكرة تعذر اختزال الجزيء الواحد في تركيب مصيدة بسيطة للفئران. إذ لابد لقطعة الخشب والزنبرك وقطعة الجبن أن تتوافر جميعًا. فإذا أخذت جزءًا منها فلن تتمكن من الإمساك بالفأر. وبالمثل فإن الجزيء معقد بصورة لا يمكن اختزالها، على الرغم من كونه أكثر تعقيدًا بألف مرة من مصيدة الفئران.

إن آلية الجزيء مصممة بوضوح أشبه ما يكون بسفينة الفضاء أو بالكمبيوتر. فلا يمكنك تفسير أصل أي قدرة بيولوچية (مثل الإبصار) إلا إذا كان باستطاعتك تفسير الآليات الجزئية التي تجعلها تعمل[١٠].

هل يمكن لمثل هذا التعقيد أن يجتمع معًا مصادفة مع كل هذه الجزيئات في نفس الوقت والمكان؟ هذا أمر يتجاوز عالم الاحتمالات الإحصائية. إنه يهتف مؤكدًا على وجود مصمم ذكي. ومع ذلك يستمر علم دارون التطوري في إنكار حتى إمكانية وجود مُصمم لشرح هذه الملامح من الطبيعة التي لا يمكن شرحها وتفسيرها بغير نظرية التصميم الذكي.

coptic-books.blogspot.com

مراجعة لمعنى التطور

كلما استُخدِمَ مصطلح «التطور» فإنه يساعد في فهم المعنى المقصود. كذلك، يساعد على إيجاد ما الذي يعنيه الآخرون عند استخدامهم لهذه الكلمة.

يمكننا أن نطلق على العملية نفسها التطورية **evolutionism** ويعتقد المتمسكون بهذه النظرية بأن الكون يحدث فيه عمليات تطور مستمرة دائمًا وذلك على أساس حصري من العمليات الطبيعية، والتغيير والانتقاء الطبيعي. بالاعتماد على المصادفة، أو فكرة «البقاء للأصلح» (وهي عملية يمكن رؤيتها في فئتين).

الأولى هي التطور المجهري، والذي يصف عملية مستمرة من التغير أو التطور ولكن ذلك يحدث فقط داخل النوع. وقد شرح عالم الطبيعيات السويدي كارلوس لينيوس أن النوع هو واحد من بين سبعة تصنيفات لكل الكائنات الحية من النباتات والحيوانات. والمجموعات هي: (١) المملكة، (٢) الشعبة، (٣) الطائفة، (٤) الرتبة، (٥) العائلة، (٦) الجنس، (٧) النوع. وهكذا تكون المملكة هي كبرى الفئات التصنيفية بينما النوع هي الصغرى بينها. ويتسم أعضاء النوع بدرجة عالية من التشابه فيما بينهم وعادة ما يحدث التهجين فيما بينهم فقط. وقد وصف العالم التطوري ج. أ. كركوت العملية التطورية المجهرية بأنها «الكثير من الحيوانات الحية التي تم ملاحظتها عبر الزمن والتي مرت بتغير نتج عنه ظهور كائنات جديد»[١١]. لاحظ أن التركيز هنا ينصب على حدوث هذا داخل النوع الواحد.

في التطور المجهري قد يكون التغيير عبارة عن تغييرات في الكروموسومات أو الچينات أو تهجين من أجل إنتاج تنويعات جديدة. وتحدث هذه التغيرات دائمًا في داخل النوع الواحد. كما قيل: «يظل الحصان حصانًا» أو «هذا ليس له علاقة بتحول الكائنات وحيدة الخلية إلى إنسان».

coptic-books.blogspot.com

للتوضيح نقول لو أن التغير الأحيائي حدث في چينات دودة الأرض، فأمدها ببراعة متزايدة ضد الطيور السوداء التي تلتهمها، فإن هذا التغير سوف يزيد من فرصة هذه الدودة على البقاء لكنها ستظل دودة ولن تصير أي شيء آخر سوى دودة أكثر براعة في مواجهة الطيور التي تفترسها. وهذا هو ما يحدث على مستوى التطور المجهري.

يسمح التطور المجهري للنوعيات الجديدة بالظهور ولكنه لا يسمح بتطور نوع جديد إلى تصنيف أو فئة أعلى. والبرهان على ذلك ضخم وأكيد ويتفق الكثير من العلماء المسيحيين المعاصرين بشأن حدوث هذا النوع من التطور المجهري[١٢].

المنظور الثاني هو التطور الكلي (**macroevolution**)، وهو يسمى أيضًا التطور الضخم، والذي يستلزم تحول في المعلومات الجينية إلى فئة أو تصنيف أعلى وأكثر تعقيدًا، وهكذا يتم تجاوز الحدود بواسطة التغير البيولوچي والانتقاء الطبيعي.

يشير أ. ويدر سميث، وهو أستاذ علم العقاقير إلى أن هذه العناصر إلى جانب الصدفة «لا يمكنها أن تمدنا بالمعلومات الضرورية لكي تضع أرجل في السمكة، وبالتالي يتيح لها أن تترك الماء وتمشي على الأرض. فعلى سبيل المثال، فإن علم الحفريات القديمة لا يعرف أي شيء عن روابط مفقودة (أشكال تحولية) بين الحيتان والثدييات التي تعيش على الأرض قد تكونت في أي وقت مضى. الصلات البينية من هذه النوعية ربما لم يكن لديها القدرة على الحياة. لأنه طوال ١٢٠ سنة ظل علم الچيولوچيا يبحث عن هذه الروابط بلا جدوى»[١٣]. وفي الواقع، من الخطأ الحديث عن الرابطة المفقودة. فهناك آلاف من هذه الروابط المفقودة!

coptic-books.blogspot.com

كيف يكون الله ملائمًا هنا؟

بالنسبة للبعض، يمكن التطلع إلى الله فقط عندما لا يكون للحياة والوجود أي تفسير آخر. ويميل العلماء غير المؤمنين للنظر إلى هذا الرأي باعتباره دليلاً على أن الفجوات تضيق بين الإيمان بالله والعلم. ولعلهم يقولون: «فقط أمهلنا وقتًا كافيًا، وسيقدر البشر على شرح كيفية عمل كل شيء في الكون».

لكن هذا الرأي لن يتوازن مع وصف الخالق الذي نراه في الإصحاح الثاني. فالله الذي صنع هذا العالم ليس فقط خالقه لكنه أيضًا حافظه والذي يعتني به. «الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل» (كو ١: ١٧). سوف ينهار العالم بدون القوة الحافظة التي للخالق. والآلية العلمية التي تظهر كيف يكون العالم محفوظًا ليست هي نفسها كمثل حفظ الكون والعناية به. وهذا المنظور الذي يقوم على وجود خالق فعال مشترك في الخليقة باستمرار يسمى الإيمان بوجود إله (**theism**).

افترض أن الله سوف يسحب قوته الحافظة من الكون ويسمح بأن يسير كل شيء بلا تدخل منه. دعنا نتخيل هذا. كما يقول فيليب جونسون إن هذا سيعني أن الله صنع القوانين ووضع الهياكل الطبيعية ثم تقاعد. هذا المنظور يسمى الربوبية (**deism**).

هناك سؤال كثيرًا ما يُطرح هو: «هل من الممكن أن يكون الله قد خلق العالم ولكنه استخدم عملية التطور؟» وهنا سيتبادر سؤال ضروري كاستجابة له: «ما المقصود بكلمة تطور؟» فالكلمة في معناها الشائع هي: عملية بلا عقل وبلا إرشاد وبلا غرض ومادية تمامًا.

لا يتلاءم الله مع هذا التعريف! إن مفهوم أن الله قام بعمل مبدئي ثم تبعه

coptic-books.blogspot.com

تطور تدريجي للخليقة يشار إليه باسم التدريجية (**gradualism**)، وهي نظرية لا تساندها السجلات الحفرية كما يقول چونسون: «لو أن الله قد خلق الكون باستخدام التطور، فإنه اختار أيضًا ألا يترك ورائه أثرًا لذلك في أي مكان»[١٤]. لن يكون لله أي مكان في هذه العملية. وكذلك فإن القصة الكتابية عن الإله الخالق لن تلاءم هذه الصورة.

على الجانب الآخر تنظر النظرة الإيمانية لله على أنه الخالق والمشترك بفعالية، في دور متسلط على كل شيء، في العالم ومع الناس الذين خلقهم[١٥]. إنه غير مرئي لكنه مع ذلك حقيقي ومشترك في هذا العالم.

لقد شهد العالم تقدمًا كبيرًا في مجالات الهندسة الوراثية والميكروبيولوچي والفيزياء الفلكية وغيرها، مما يثير كم لا يمكن تخيله من الاحتمالات والأسئلة الجديدة الممكنة أمام العلم. وهناك ثلاثة أسئلة تتركز على تلك الكلمة المفتاحية المعلومات:

تتكون الحياة ليس فقط من أشياء (كيماويات) ولكن أيضًا معلومات.

أين (أو ممن) انبعثت المعلومات؟

تأتي المعلومات المعقدة والمحددة من عقل ذكي.

توفر التقدمات العلمية إيمان بالحقيقة القائلة بأن الحياة لم تأت بالمصادفة العمياء لكنها جاءت عن طريق عقل ذكي، إنها نتيجة لمعرفة فائقة. وسوف تؤيد الاكتشافات الجديدة الإيمان بالله وليس التشكيك في وجوده. وبالطبع، من أين أتت العناصر الأصلية للحياة؟ هل يمكن أن تكون قد تطورت فقط؟ يوجد نظرية الآن

coptic-books.blogspot.com

تسمى «نظرية الحساء» والتي تقول بأن الحياة بدأت في حساء بدائي للغاية من المواد الكيماوية، وهي نظرية صارت موضع شك وتساؤل. أكثر التفسيرات المنطقية هي أن الله خلق هذه العناصر.

هل يقترب العلم والكتاب المقدس من بعضهما؟

لقد جاءت بعض التطورات الجديد في العلم لتدعم المنظور المسيحي لوجود الإله الخالق بصورة مدهشة. هذا لا يعني أن كل العلماء صاروا مؤمنين بالله، لكن هناك الآن عدة مناطق صار فيها اتفاق على القضايا الكتابية والعلمية ومن بينها:

الكون له بداية. في أبريل ١٩٩٢ أعلنت وسائل الإعلام والعلماء من جميع أنحاء العالم عن حدوث تقدم عظيم في البحث العلمي. إذ وجد القمر الصناعي الذي يستكشف خلفية الكون (CBOE) «تأكيدًا مذهلاً لحدث الخلق من خلال الانفجار العظيم الساخن».

وقال كارلوس فرانك من جامعة دورهام في بريطانيا: «إنه أكثر الأشياء إثارة قد حدث في حياتي كلها».

وأكد العالم البريطاني الشهير ستيفن هوكينج قائلاً: «إنه اكتشاف القرن، بل قد يكون أعظم اكتشافًا على الإطلاق».

أمام جورج سموت من جامعة كاليفورنيا فقد قال: «يبدو هذا وكأننا ننظر إلى الله. لقد وجدنا الدليل على ميلاد هذا الكون».

تشير هذه الاستجابات، بالطبع، إلى اكتشاف الانفجار العظيم، الذي يصور

coptic-books.blogspot.com

بداية الكون. وفي الأساس تقول نظرية الانفجار العظيم الساخن إن الكون المادي بأكمله – كل المواد والطاقة وحتى الأبعاد الأربعة للزمان والمكان – اندفعت من حالة غير محدودة أو القريبة من اللامحدودة من الكثافة والحرارة والضغط. وتمدد الكون من كتلة أصغر جدًا من النقطة في نهاية الجملة، ومازال الكون الآن مستمرًا في التمدد[١٦].

هناك بداية للوقت. يتواجد الله خارج نطاق زمننا كما نعرفه. حتى أن ستيفن هوكينج قال: «الوقت نفسه لابد أن يكون له بداية». وتخبرنا الإصحاحات الأولى من سفر التكوين قصة عن الله الذي كان موجودًا قبل وجود الزمن والكون اللذين خلقهما الله. إنه لا يُحد بالطول والعرض والارتفاع والزمان. فهو الوحيد الذي خلق كل هذه الأمور. وبالمقابل، فإن الوقت بالنسبة لنا يسير للأمام فقط.

أحدث الله تأثيرًا حتى قبل أن يوجد الوقت. «في البدء خلق الله السماوات والأرض» (تك ١: ١). ثم "فإنه فيه خلق الكل: ما في السماوات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى... الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل» (كو ١: ١٦، ١٧). لقد كان موجودًا قبل فترة طويلة من نطقه بكلمة «ليكن نور». نحن كائنات محدودة، لنا بداية ونهاية. أما هو فهو غير محدود، ليس له بداية ولا نهاية.

الرنين الواضح لثوابت الكون. إن القوانين الكونية المنضبطة لكل من مجموعتنا الشمسية والكون بأكمله يجعل من الممكن للحياة أن تتواجد على كوكبنا. تتسم تلك القوانين بالدقة المتناهية لدرجة أنه لو حدث تغيير ضئيل جدًا في أي منها، فإن هذا لم يكن ليسمح لنا بالوجود. وقد ذكر هيو روس ٢٥ من هذه القوانين التي تؤثر على درجة حرارة الأرض وفصول السنة والغلاف الجوي بأكمله. ولو أن هذه القوانين حدث فيها تعديل بمقدار شعرة، لتعذر وجود الحياة على الأرض[١٧].

coptic-books.blogspot.com

القليل من هذه الثوابت الكونية سوف تكون حقيقية للاستخدام: قوة الجاذبية والتجاذب القطبي، ونسبة الأوكسجين للنيتروجين في الغلاف الجوي، مستوى الأوزون، النشاط الزلزالي، مستويات ثاني أكسيد الكربون وبخار الماء، سرعة النجوم الطائرة بعيدًا عن أحدها الأخرى، تمدد الكون، سرعة الضوء، قوة الكهرباء وكتلة البروتون. إن وجود هذه الثوابت يشهد على عدم إمكانية أن تكون الصدفة هي التي أوجدت وحافظت على هذه الثوابت.

أصل البشرية

عندما ننظر إلى التطور وأصل الكائنات البشرية، يعطينا الكتاب المقدس أمرين لا يمكن التفاوض بشأنهما:

خلق الله السماوات والأرض بقوة خارقة للطبيعة وبشكل متعمد (تك ١: ١).

خلق الله الرجل الأول والمرأة الأولى بقوة خارقة للطبيعة وبشكل متعمد (تك ١: ٢٧).

نحن لا يمكن أن نَقِل عن هذين الحدين. تخبرنا قصة التكوين أن الله خلق آدم ثم خلق حواء من جانب آدم، وكلاهما «مخلوق على صورة الله». وعندما نفخ الله في آدم نفسًا حيًا، فهذا ميزه عن بقية المخلوقات الأخرى التي صنعها الله. تلك كانت البداية. وهذا أيضًا يعلن عدم إمكانية الاقتراح الذي يقدمه البعض عن أن الإنسان تطور من أي سلالة حيوانية.

من المفيد أن نقرأ الإشارات الموجودة في العهد الجديد التي تؤكد أن آدم وحواء كائنان تاريخيان حقيقيان (رو ٥: ١٢، ١٤؛ ١كو ١٥: ٢٢، ٤٥؛ ٢كو ١١: ٣؛ ١تي ٢: ١٣- ١٤؛ يه ١١). حيث أن الدراسة المتأنية لهذه الفقرات لا يترك أي مجال لإمكانية أن تكون قصة التكوين مجرد رمز.

coptic-books.blogspot.com

يقول فرانسيس شيفر: «أعطانا الله حقائق دينية في كتاب تاريخ وهو كذلك كتاب يتلامس مع الكون. فما معنى أن يعطينا الله الحقائق الدينية وفي نفس الوقت يضعها في كتاب يكون مخطئًا عندما يتلامس مع التاريخ والكون؟»[١٨].

ماذا عن عمر الأرض؟

يفترض بعض المسيحيين بالاستناد على السجل الكتابي أن الأرض قد خُلِقَت قبل فترة لا تتجاوز آلاف عديدة من السنوات قبل ميلاد المسيح. ولكنهم يعتقدون بالاستناد على العلم أن عمر الأرض يتجاوز ملايين أو مليارات السنوات ولذلك فهم يشعرون بالتوتر الشديد حيال ذلك. السؤال هو: هل يمكننا تحديد عمر الأرض بالاعتماد على السجل الكتابي؟

دعنا نتأمل في استخدام الكلمة العبرية التي تعني «اليوم». هل يمكن أن تعني فترات من الوقت وليس مجرد يوم مكون من ٢٤ ساعة؟ في (تكوين ١: ٣١) تُستخدم كلمة يوم لتصف اكتمال اليوم السادس، الذي خلاله خلق الله آدم وحواء.

تصف (تكوين ٢: ١٥- ٢٥) عمل الله في الخلق في هذا اليوم. كما يصف أيضًا عمل آدم: تسمية كل الحيوانات، الوقوع في نوم عميق، خلق حواء - كل هذا حدث في اليوم السادس! يبدو حتى مع أكثر التفسيرات الحرفية لهذا اليوم، يظل اليوم السادس هو أطول فترة من الزمن.

ويظهر استخدام نفس الكلمة في فقرات أخرى أن مفهوم الرب عن اليوم ليس ضيقًا هكذا. على سبيل المثال، «أن يومًا واحدًا عند الرب كألف سنة» (٢بطرس ٣: ٨). ويلاحظ العالم الچيولوچي داڤيز يونج أن «لغة تكوين ١ (مثلاً، نمو النباتات في اليوم

coptic-books.blogspot.com

الثالث) تتضمن بقوة عمليات النمو الطبيعي والتطور الطبيعي، التي بدأت بكلمة الله «لتنبت الأرض عشبًا وبقلاً يبزر بزرًا».

يجدر بنا أن نلاحظ أن بعض العلماء الإنجيليون شديدي الذكاء يفسرون قصة التكوين باعتبار أنه تصف أيامًا مكونة من ٢٤ ساعة، وبه الله يخلق كونًا متناميًا، ونحن نحتاج إلى التفكر في دلائلهم على ذلك. ولكن يونج يتحدث بشأن هذا الأمر قائلاً: «يحتاج عالم الچيولوچية المسيحي ألا يفترض أن كل الملامح الچيولوچية قد خُلِقَت مع ظهور العصر الخاص بها. فربما يفترض أن الصخور والجبال وغيرها من المظاهر الچيولوچية الخاصة بتلك الأيام الستة للخليقة قد تشكلت عبر عمليات متوازية مع تلك الموجودة في الوقت الحاضر. وهو له الحق أن يستخدم الدليل المتضمن في هذه الصخور لإعادة ترتيب الماضي بالقياس على الحاضر. فهذا يساعدنا أيضًا على تجنب مشكلة لماذا خلق الله صخرة رسوبية تبدو كما لو أنها تشكلت بفعل الجليد ولكنها ليست كذلك في الواقع»[١٩].

باختصار، يقول كانتزر: «كدارس للكتاب المقدس، يجب علينا أن نظل غير عارفين بعمر الأرض. إذ ليس لدينا أي تنبيه كتابي يجعلنا نستبعد التسلسل الزمني المقبول بشكل شائع. فلنترك للعلماء مهمة تحديد الوقت على أساس الدليل العلمي، ولكن علينا ألا نستند على مواقف علمية ضعيفة مع إساءة تفسير للكتاب المقدس المستحضرة خصيصًا لأجل هذا الغرض. لأن الله نادرًا ما يرى أن من الملائم أن نكتفي فقط بإشباع فضولنا»[٢٠]. ففي الأمور التي يختار الله أن يظل صامتًا، علينا بالمثل أن نختار أن نظل صامتين.

coptic-books.blogspot.com

قطار يتحرك باستمرار

تحاول النظرية العلمية أن تصف أكثر التفسيرات الملائمة بالاستناد على البيانات والمعلومات المتاحة. ولا يوجد شيء مطلق أو نهائي فيها. العلم قطار يتحرك بلا انقطاع. فما كان يعتبر تعميمًا مقبولاً بالأمس قد لا يزيد عن كونه فرضية منبوذة اليوم. وهذا أحد الأسباب التي تجعل المرء متردد بشأن قبول أي شكل من أشكال نظرية التطور باعتبارها التفسير النهائي لعلم الأحياء. وهذا أيضًا ما يجعل من الخطر محاولة إثبات الكتاب المقدس باستخدام العلم. لأنه لو أصبح الكتاب المقدس مرتبطًا بالنظريات العلمية القائمة حاليًا، ما الذي سيحدث له عندما يحدث تحول في العلم بعد عشر سنوات من الآن؟

يذكر اللاهوتي و. أ. كريسويل: «في عام ١٨٦١... نشرت الأكاديمية الفرنسية للعلوم كتيبًا صغيرًا وضعوا فيه ٥١ حقيقة علمية تتعارض مع كلمة الله. واليوم لا يوجد عالم واحد في العالم يعتقد بحقيقة واحدة من هذه الحقائق المزعومة التي ظهرت عام ١٨٦١، ولا واحدة!»[٢١].

يُسلم العلماء من ذوي الأفكار العميقة أن التطور ليس قضية يمكن حسمها نهائيًا، ولكنهم يشعرون بضرورة قبول هذه النظرية على الرغم من بعض التناقضات الظاهرة وبعض العناصر غير المُفسرة.

يكتب العالم المؤمن بالتطور ج. أ. كركوت بشأن رأيه أن طلاب اللاهوت في جامعة كمبريدج، في القرون الماضية، قد قبلوا بهدوء وثقة العقيدة والتعاليم التي لم يفحصوها على الأقل بأنفسهم. وثم يلاحظ كركوت أن بعض الطلاب المعاصرين قد عملوا الأمر ذاته. فيكتب:

coptic-books.blogspot.com

لعدة سنوات كنت أدرس طلاب المرحلة الجامعية دراسات متنوعة تتعلق بعلم الأحياء. ومن المعتاد جدًا أثناء فترة المناقشات، أن نسأل الطالب إذا كان يعرف الدليل على التطور. وعادة ما كان الطالب يبتسم ابتسامة عريضة ويقول بثقة عالية: «حسنًا يا سيدي هناك دليل من علم الحفريات القديمة ومن علم التشريح المقارن ومن التوزيعات النظامية والجغرافية وغيرها».

فأجيبه بسؤال آخر: «هل تعتقد أن نظرية التطور هي أفضل تفسير وصلنا إليه حتى الآن لشرح العلاقات المتداخلة بين الحيوانات؟».

فيجيبني: «بالطبع يا سيدي. لا يوجد شيء آخر ما عدا التفسير الديني الذي يتمسك به بعض المسيحيين الأصوليين، ولقد توصلت، يا سيدي، إلى أن هذه الآراء لم يعد حتى رجال الكنيسة المعاصرين يؤمنون بها».

«إذن أنت تؤمن بالتطور لعدم وجود نظرية أخرى؟».

«لا يا سيدي، أنا أؤمن بها بسبب الدليل الذي ذكرته لك للتو».

فأسأله: «هل قرأت أي كتاب بشأن الدليل على التطور؟»

فيجيبني: «نعم يا سيدي» ويذكر هنا بعض أسماء المؤلفين للكتب الشائعة المدرسية. ويضيف: «وبالطبع يا سيدي كتاب دارون «أصل الأنواع».

فأسأله: «هل قرأت هذا الكتاب؟»

«حسنًا ليس كله يا سيدي»

«الخمسين صفحة الأولى»

coptic-books.blogspot.com

«نعم يا سيدي، نحو هذا العدد، وربما أقل قليلاً».

«فهمت. وهذا أعطاك فهمًا ثابتًا لنظرية التطور؟»

«نعم يا سيدي»

«حسنًا، إذا كنت تفهم فعلاً الدليل فسوف تكون قادرًا على أن تشير لي على النقاط التي في صالح هذه النظرية، ولكن أيضًا أهم النقاط التي تُحسب ضدها».

«أعتقد هذا يا سيدي»

هنا يأخذ الحديث منحى مختلف ويبدو أكثر توترًا. فينظر الطالب إليّ وكأنني ألعب معه مبارة غير عادلة. كما سيشعر بمزيد من الضيق عندما اقترح أنه لم يتحر الدقة العلمية بما يكفي في بحثه عندما قَبِل العقائد العملية الحديثة دون دراسة وافية. في الواقع أنه يتصرف هنا مثل هؤلاء الطلاب المتدينين الذين يحتقرهم. إذ أنه يتكلم عن أمور يؤمن بها ولا يستطيع أن يستوعبها عقليًا، وعندما أسأله فإنه فورًا يلجأ إلى سلطة الكتاب الأعلى بالنسبة له والذي هو في هذه الحالة كتاب «أصل الأنواع».

اقترح عليه ساعتها أن يتحرك الطالب ويقرأ الدليل مع وضد نظرية التطور ويقدمه لي في مقال. ويمر أسبوع ويظهر نفس الطالب مسلحًا بمقال تتناول الدليل في صالح نظرية التطور. عادة ما تكون المقالة مكتوبة جيدًا، حيث أن الطالب يدرك أنني سأكون حازمًا في حكمي. وعندما يتم قراءة المقال ويأتي السؤال عن الدليل ضد نظرية التطور، يقدم الطالب في المقابل ابتسامة باهتة. «حسنًا، يا سيدي، لقد بحثت في عدة كتب لكني لم أجد أي شيء في الكتب العلمية ضد نظرية التطور. ولا أظن أنك سوف تفضل الحجج الدينية».

coptic-books.blogspot.com

«لا أنت على حق تمامًا، أنا أريد حجة علمية ضد التطور».

«حسنًا، يا سيدي، أظن أنه لا يوجد مثل هذه الحجة، وهذا في حد ذاته دليل في صالح نظرية التطور».

عندها أشير إليه بأن نظرية التطور ظهرت منذ فترة طويلة نسبيًا، وأذكر له أن عليه قراءة كتاب رادي، تاريخ النظريات البيولوچية. وأقول له:

«قبل أن تستطيع أن تقرر أن نظرية التطور هي أفضل تفسير حاليًا، يجب على المرء أن يفحص جميع التضمينات الخاصة بهذه النظرية. فكثيرًا جدًا ما يتم تطبيق هذه النظرية على تطور الحصان، ثم حيث أن العلماء يعتقدون بإمكانية تطبيقها هناك، فإنها تمتد إلى بقية مملكة الحيوانات بالاستناد إلى القليل من الأدلة أو ربما بلا أي أدلة إضافية».

– غير أن هناك سبعة افتراضات أساسية كثيرًا ما لا يأتي ذكرها أثناء النقاش ولا يُنظَر سوى إلى الافتراض السابع فقط.

– الافتراض الأول بحسب النظرية أن الأشياء غير الحية هي التي ارتقت وصارت حية، أي أن هناك توالدًا أو نشوءًا عفويًا قد حدث.

– الافتراض الثاني أن هذا التوالد العفوي قد حدث مرة واحدة فقط.

– الثالث... أن الفيروسات والبكتريا والنباتات والحيوانات جميعها متداخلة ومرتبطة معًا.

– الرابع... أن الكائنات وحيدة الخلية تطورت حتى صارت كائنات متعددة الخلايا.

coptic-books.blogspot.com

- الخامس... الشعب اللافقارية المختلفة متداخلة ومرتبطة معًا.

- السادس... الحيوانات اللافقارية خرج منها الحيوانات الفقارية.

- السابع... الفقاريات والأسماك خرج منها الكائنات البرمائية، والبرمائيات خرج منها الزواحف والزواحف خرج منها الطيور والثدييات، وأحيانًا يمتد هذا التطور إلى كلمات أخرى، مثل أن البرمائيات الوسيطة والزواحف لهما أصل واحد مشترك وهلما جرا.

ولأجل الأهداف الأولية للمناقشة بشأن التطور سوف يتوجب عليّ دراسة مؤيدي نظرية التطور الذين يتمسكون بأن جميع هذه الافتراضات صحيحة.

«أول نقطة أود أن أطرحها أن هذه الافتراضات السبعة بطبيعتها غير قابلة للتحقق منها اختباريًا. إذ أنها تفترض حدوث سلسلة محددة من الأحداث قد وقعت في الماضي. لذا، فمع أنه قد يكون من الممكن محاكاة بعض من هذه الأحداث في ظل الظروف المعاصرة اليوم، إلا أن هذا لا يعني أن هذه الأحداث لابد أن تكون قد وقعت في الماضي بنفس الكيفية. لكن كل ما تظهره أنه من الممكن حدوث مثل هذا التغيير. ولذا، إن تغيير أحد الزواحف في الوقت الحاضر إلى حيوان ثديي، رغم أن هذا محل اهتمام كبير، إلا أنه لن يظهر الطريقة التي ظهر بها الثدييات. وللأسف، لا يمكننا حتى أن ننجز هذا التغيير؛ بدلاً من ذلك يتوجب علينا أن نعتمد على دليل عرضي لتدعيم افتراضاتنا.»[٢٢].

الحفاظ على استقامة الحقائق

إيجازًا لقضية التطور، يمكننا القول إنه يمكن أن يتواجد تياران شديدا التطرف.

coptic-books.blogspot.com

الأول هو الافتراض أن التطور قد ثبت بلا أي شك وأن أي شخص له مخ يجب أن يقبله. والثاني هو فكرة أن التطور «مجرد نظرية»، ليس لها سوى أدلة قليلة. وكثيرًا ما ينشأ الصدام المزعوم بين العلم والكتاب المقدس بين تفسيرات الحقائق والواقع.

وكما يقول ج. ب. مورلاند: «الافتراض المسبق يحضرنا إلى الحقائق، بدلاً من أن الحقائق نفسها هي التي تحدد الخلاصة التي يصل إليها الشخص. فمثلاً، قد يقال لأحد الأشخاص إن زوجته شوهدت تركب السيارة مع رجل آخر في المدينة. ولمعرفة هذا الرجل بزوجته، يتوصل إلى نتيجة مختلفة عن هذه الحقيقة ومغايرة للشائعات المنتشرة في البلدة. لقد نتجت الخلاصات المختلفة، ليست من حقائق مختلفة، وإنما من افتراضات مسبقة مختلفة قادت إلى الحقيقة»[٢٣].

في كل ما نقرأه أو نسمعه دعنا نسأل: «ما هو الافتراض المسبق لهذا الشخص؟» وهكذا يمكننا أن نفسر الخلاصات في هذا الضوء. فليس هناك بشكل عام ما يسمى الموضوعية الكاملة.

لقد وجد الكثيرون أن الله يستطيع أن يعمل بطرق معجزية وفي الماضي كثيرًا ما أختار عمل ذلك. ويكشف لنا الكتاب المقدس أن الله تدخل في خليقته الأصلية واستمر في التدخل وإقامة علاقة مع خليقته بحكمة وبقصد. ومع أنه يوجد حتى الآن مشكلات ليس لها تفسير واضح، فإن العلم والكتاب المقدس يظهران بعض العلامات التي توحي بأنهما يقتربان بشدة من بعضهما ويصيران حليفين لا عدوين.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل العاشر

لماذا يسمح الله بالمعاناة والشر؟

إن سؤال لماذا يسمح الله بالمعاناة والشر هو أكثر الأسئلة إلحاحًا في وقتنا الحاضر.

ولعل هذا السؤال أكثر إلحاحًا من السؤال عن المعجزات والعلامات والكتاب المقدس. والمحزن في الأمر هو لماذا يعاني أناس أبرياء، لماذا يولد أطفال عميان، ولماذا الحياة الموهوبة من الله تتبدد في الهواء.

لماذا الحروب ولماذا يموت آلاف الأبرياء، والأطفال يحترقون والكثيرون يعاقون في الحياة؟

هناك تصور كلاسيكي يحدد بدقة جوانب هذه المعضلة في جانبين أساسيين:

١- إما أن الله كلي القدرة، ولكن ليس كلي الصلاح وهو لا يريد أن يوقف الشر.

٢- أو أن الله كلي الصلاح، ولكنه لا يستطيع أن يوقف الشر، عندئذٍ فهو لن يكون بذلك كلي القدرة.

الميل العام هو لوم الله على الشر والمعاناة ووضع كل المسئولية عليه.

coptic-books.blogspot.com

ليس هناك جواب سهل

هذا السؤال العميق لا يمكن معالجته ببساطة، لذلك دعنا نرجع للوراء ونسترجع ما حدث عندما خلق الله آدم وحواء، لقد خلقهما كاملان، لم يخلقا بالخطية أو بالشر، آدم وحواء ككائنات حية كان لديهما القدرة أن يطيعا الله أو أن يعصياه.

لو أطاعا الله، لن يكون هناك مشكلة، إذ سيعيشا حياة بلا نهاية، في شركة مباركة مع الله ويستمتعا به وبخليقته.

وهذا ما خططه الله لهما عندما خلقهما، في الحقيقة هما تمردا ضد الله باختيارهما أن يأكلا من الشجرة المُحرمة، شجرة معرفة الخير والشر.

ومنذ ذلك الوقت، كل واحد منا لديه نفس الحق، أن يأخذ القرار ويمشى في نفس الطريق (رو ٥ : ١٩)، فالناس هم المسئولون عن الخطية وليس الله.

ولكن الكثيرين يسألون، لماذا لم يخلقنا الله بطريقة لا نستطيع بها أن نخطأ؟ لو صنعنا هكذا، لن نعود بعد كائنات حية، سنكون آلات أو عرائس متحركة، هل تحب أن تتزوج عروسة متحركة؟ في كل صباح ومساء تشد الخيط لتحصل على كلمات جميلة مثل «أنا بحبك»، من يريد ذلك؟ إذ بهذه الطريقة لن يعود هناك أى حب أيضًا. إذ أن الحب اختياري، كان من الممكن أن يخلقنا الله مثل الإنسان الآلي، ولكن بهذا لن نكون بشرًا، هل تحب أن تكون إنسانًا آليًا؟ بعضنا قادر أن يقول بصدق نعم، ولكن الله اختار أن يدخل المخاطرة بأن يخلقنا هكذا، وهذه هى الحقيقة التى نواجهها.

coptic-books.blogspot.com

الله يستطيع أن ينزع الشر

يذكرنا أرميا «إنه من إحسانات الرب أننا لم نفنَ، لأن مراحمه لا تزول» (مرا ٣ : ٢٢).

الوقت سيأتى عندما يخمد الرب الشر من العالم، وعندها سيقع إبليس وجنوده تحت دينونة أبدية. وفي ذات الوقت، فإن محبة الله غير المتغيرة ونعمته الفائضة، ورحمته الواسعة وغفرانه متاحون للجميع.

لو أن الله نزع الشر تمامًا الآن، فسيقوم بالعمل بطريقة كاملة، نحن نريده أن يوقف الحرب وفي نفس الوقت يبقى بعيدًا عنا، لو أزال الشر من الكون، فلابد أن أفعاله ستكون كاملة وتشمل أكاذيبنا وخطايانا الشخصية ونقص محبتنا وفشلنا في أن نكون صالحين. تخيل أن الله أصدر مرسومًا بأنه الليلة سوف يزيل كل الشر من الكون، فمن منا سيكون موجود بعد هذه الليلة؟

يخبرنا الإنجيل بالحقيقة ويوضح أن الخطية دخلت العالم خلال اختيار آدم وحواء، وكل واحد منا اختار أن يكمل، منذ لحظة الولادة ونحن نبدأ فورًا بأن نقول لا. الخطية فصلت آدم وحواء عن العلاقة الحميمة التى كانت لهما بالله وهي تعمل نفس الشيء ذاته معنا، فالقداسة الكاملة لله لن تسمح بأقل من هذا الانفصال عنا، فهذا نتيجة طبيعية لاختياراتنا.

الحل النهائي والمطلق لله

في هذا الوضع الكئيب، قدمت محبة الله أكثر الحلول تأثيرًا وتكلفة، بتقديم الله ابنه ليموت عن خطايانا، وبه صار من الممكن للناس النجاة من دينونة الله الحتمية ضد الخطية والشر. وصار لديهم أيضًا إمكانية للتحرر بالدخول في علاقة شخصية

coptic-books.blogspot.com

مع الرب يسوع المسيح. وهكذا وجد الحل النهائي لمشكلة الشر، على المستوى الشخصي، من خلال الموت الكفارى ليسوع المسيح.

هناك تخمينات لا نهائية حول أصل الشر. لا أحد لديه الجواب الكامل. ولكن هذا يدخل في بند ما يقوله الكتاب «السرائر للرب إلهنا» (تث ٢٩:٢٩).

ويلاحظ هيو إيفان هوبكنز ما يلي:

تتزايد مشكلة الشر بشكل كبير بسبب الاعتقاد بأن الله يحاسب كل إنسان طبقًا لأعماله وبأن الله العظيم ليست لديه صعوبة في تنفيذ هذه الحقيقة بأن المكافآت والعقوبات (طريق السعادة والمعاناة) يبدو توزيعها بشكل عشوائي في هذه الحياة مما يدفع بالكثيرين للتساؤل أمّا عن صلاح الله أو قوته!

لكن هل سيكون الله صالحًا لوكان يتعامل مع كل شخص طبقًا لسلوكه؟ طبق هذا على حياتك الخاصة! كل رسالة الكتاب المقدس سواء في العهد القديم وكذلك العهد الجديد يبين أن صلاح الله ليس فقط في عدالته لكن أيضًا في محبته ورحمته وشفقته. وكم يجب أن نكون شاكرين نحن وجميع البشر لأنه «لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا لأنه مثل ارتفاع السماوات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه» (مز ١٠٣: ١٠-١١).

هذا المفهوم عن صلاح الله أيضًا مستند على الفرضية الخاطئة أن السعادة هي الدليل الوحيد على صلاح الله. السعادة هى الشعور بالراحة. والسعادة الثابتة الحقيقية، هى في الحقيقة شيء أعمق وأكثر بكثير من المتعة العابرة اللحظية. كما إن السعادة الحقيقية لا تمنع المعاناة أحيانًا في حكمة الله اللانهائية يعلم بأن هناك

coptic-books.blogspot.com

أشياء لكي تنجز يجب وجود المعاناة. وحمايتنا من هذه المعاناة قد تسبب ضياع بركات أعظم.

مفهوم مطابقة العائد

يشير الرسول بطرس إلى هذا عندما يقول: «وإله كل نعمة الذى دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع بعدما تألمتم يسيرًا، هو يكملكم، ويثبتكم، ويقويكم، ويمكنكم» (١بط ٥: ١٠).

ولرؤية النتيجة المنطقية لمفهوم مطابقة العائد، استنادًا إلى چون ستيوارت ميل، نحتاج أن نرجع إلى الهندوسية. إذ يقول قانون الكرمة (في العقيدة الهندوسية) بأن كل أفعال الحياة اليوم نتيجة لأفعال حياة سابقة. العمى، الفقر، الجوع، العاهات الطبيعية، العزلة ومشاكل اجتماعية أخرى كلها عواقب للأعمال الشريرة التى تمت من قبل في حياة سابقة.

وهذا يعنى أن أي محاولة لتخفيف مثل هذا الألم والبؤس تكون متعارضة مع طرق الله. هذا المفهوم هو أحد الأسباب في تقديم الهندوس للقليل من الدعم للمتألمين. بعض الهنودس المستنيرين اليوم يتحدثون عن العمل نحو التقدم الاجتماعي والتغيير، لكنهم إلى الآن لم يوضحوا هذا المفهوم الجديد، بنفس مقدار توضيحهم للمذهب القديم الأساسي في الفكر والحياة الهندوسية.

غير أن مفهوم الكرمة يعمل كمفهوم منظم، بسيط، واضح، والذي فهم بالخطأ ولكنه شرح المعاناة: المعاناة نتيجة العمل الشرير السابق. ويقدم دوجلاس جروثوس ملاحظة مهمة: إذا كان طفل موشك على الموت بسبب مرض اللوكيميا وهو يعاني

coptic-books.blogspot.com

لأنه في حياة سابقة ذبح أناسًا أبرياء، هو لن يعرف. ولن يكون قادرًا في هذه الحالة أن يتعلم مما حدث.

لكن هل المسيحية أيضًا تؤمن بأن المعاناة عقاب من الله؟ وكثيرون يجيبون. فكثيرًا ما نسمع السؤال التقليدي: «ماذا عملت لكي أستحق هذا؟» وهو في أغلب الأحيان السؤال الأول على لسان من يعاني. كذا فإن قناعة الأصدقاء، سواء عبر عنها أو لم يتم التعبير، كثيرًا ما تقوم على هذه الفرضية نفسها. وتوضح المعالجة الكلاسيكية لمشكلة المعاناة والشر في سفر أيوب أن هذه الفرضية القاسية قيلت من أصدقاء أيوب. عقدت معاناته وألمه.

يتضح من تعليم العهدين القديم والجديد أن المعاناة قد تكون بناء على دينونة من الله، لكن هناك العديد من الحالات عندما يكون الأمر غير مرتبط نهائيًا بالخطأ الشخصي. ولذلك فإن الفرضية التلقائية التي تدفعنا للشعور بالذنب والاعتقاد بأن المعاناة هي العقاب التابع للظروف هي فرضية لا مبرر لها نهائيًا.

الله ليس عجوزًا يسكن هناك بعيدًا في السماء، وتحركه مشاعره ولديه قناعة بأن الأطفال سيظلون أطفالاً مهما كبروا. «الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد» (غل ٦:٧) هذا تحذير لأي شخص يريد أن يستهين بالله بتكبر. سبب واحد يجعل الخطية تنتشر بسرعة وهو أننا نعاملها كأنها كريمة لذيذة وليس على أنها ثعبان مميت.

ربما العلاقة بين المعاناة والخطية واضحة، ولكنها ليست دائمًا شديدة الوضوح. عندنا الكلمة الواضحة للسيد المسيح بنفسه عن هذا الموضوع. كان تلاميذ المسيح مقتنعين بنظرية العقوبة المباشرة على ما يبدو من معاناة. ففي يوم عندما رأوا رجلاً أعمى منذ ولادته أرادوا أن يعرفوا من أخطأ فتسبب في أن يولد هذا الرجل هكذا

coptic-books.blogspot.com

هل هو أم أبواه. أوضح يسوع بأنه لا هو ولا أبواه، لكن هذا حدث ليظهر عمل الله في حياته (يو ٩:١-٣).

عندما سمع يسوع عن سكان الجليل الذين ذبحهم بيلاطس، خرج يسوع عن الإجابة إلى إشارة أبعد، بأن هؤلاء الجليليين لم يكونوا مذنبين أكثر من باقي الجليليين، وأن الأشخاص الثمانية عشر الذين كانوا قد قتلوا عندما سقط عليهم برج سلوام لم يكونوا مذنبين أكثر من الذين في أورشليم. من هاتين الحادثتين نرى أن الفكرة المحورية التي يقدمها لهم هي: «إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون» (لو ١٣: ١-٣).

وهكذا يبدو جليًا، أننا نستبق الأحداث إذ نفترض آليًا (إما في حالتنا الخاصة أو في حالات أخرى) أن تفسير أي مأساة أو معاناة هو أنها قضاء من الله. إن ملاحظات هوبكنز من الأمثلة الكتابية، أنه عندما تكون مشاكل الإنسان نتيجة لآثامه، فإن معانات الشخص ساعتها لا تترك أي مجالاً للشك، فإن مشاكله هي نتيجة عقاب إلهي له على أفعاله.

القضاء يكون مسبوقًا بتحذير

في الواقع، إن أحد الحقائق العميقة في كل الكتاب المقدس أنّ حكم الله يكون مسبوقًا دائمًا بالتحذير. في كافة أجزاء العهد القديم نجد الله يوجه دائمًا تحذيرات متكررة بالدينونة والعقاب. وبعد أن يتم تجاهل التحذيرات الإلهية بإصرار وبعناد هنا تأتى الدينونة. من كلمات الله «قل لهم، حي أنا يقول السيد الرب، أنى لا أسر بموت الشرير، بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا، ارجعوا، ارجعوا عن طرقكم الرديئة، فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل؟» (حز ٣٣ : ١١).

coptic-books.blogspot.com

وتتواصل نفس هذه الفكرة المحورية في العهد الجديد الذي لديه صورة معبرة بشكل أوضح عن محبة الله ومعاناته الطويلة، نراها حينما بكى يسوع على أورشليم: «كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا» (مت ٢٣ : ٣٧). «وهو لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢بط ٣ : ٩).

وعندما يسأل شخص، كيف يرسل الله الصالح الناس إلى الجحيم، هنا يجب أن نشير بأن الله لا يرسل أحدًا إلى الجحيم. نحن من تلقي بأنفسنا. الله صنع كل ما هو ضروري لنا لكي ننال الغفران والفداء، والتبرير، ولكي نكون جاهزين للحياة معه في السماء. وكل ما تبقى هو فقط أن نستقبل هذه العطية. أما لو رفضنا نعمته فلن يكون لدى الله خيار آخر، إلا أن يتمم اختيارنا. فبالنسبة للشخص الذي لا يريد أن يكون مع الله. فإن حتى السماء نفسها لن تكون سوى الجحيم بعينه.

مع أن قضاء أو دينونة الله يوضح سر المعاناة أحيانًا، فهناك عدة احتمالات علينا أن نضعها في الاعتبار، إن الناس كما رأينا سابقًا مسئولون عن دخول الخطية والموت إلى عالمنا، ويجب ألا ننسى أن أخطاء البشرية مسئولة أيضا عن دخول الفساد والمعاناة إلى عالمنا اليوم.

الإهمال في أساسات البناء قد يؤدى إلى انهياره في العاصفة، وكم حياة تبددت بسبب قادة سيارات سكارى؟ الغش والكذب والسرقة والأنانية التي تميز مجتمعنا اليوم، كلها حصاد مر للمعاناة، والغريب أننا نلوم الله عليها، فكر في كل الشقاء الذى تأتي جذوره من الأفعال الخاطئة للبشر، وبذلك سوف تستطيع تفسير حجم المعاناة بهذه الطريقة.

coptic-books.blogspot.com

هل الشيطان موجود؟

نحن لسنا وحدنا على هذا الكوكب، نحن نعلم، بواسطة الإعلان الإلهي، بوجود عدو وهو الشيطان، وهو يظهر بصور مختلفة، يقول لنا الله أنه يظهر مرات كملاك نور، أو أسد يزأر بحسب الظرف والغرض، اسمه الشيطان وهو الذي سمح له الله بأن يجلب الضيق والآلام على أيوب (أي ١ : ٦-١٢). ويسوع في مثل الحنطة والزوان يتكلم عن تلف الحصاد ويقول إن العدو فعل ذلك (مت ١٣ : ٢٤)، الشيطان يستمتع بتدمير خليقة الله، ويتسبب في بؤس ومعاناة الناس، الله يسمح له لكن لفترات محدودة، ولكن بقوة يسوع المسيح نحن واثقون أن لنا السلطة على قوة الشيطان. «قاوموا إبليس فيهرب منكم» (يع ٤ : ٧). ومع ذلك، فإن الشيطان وراء الكثير من الأمراض والمعاناة في العالم اليوم.

في الإجابة على السؤال الذي يقول لماذا يسمح الله لقوة الشيطان أن تأتى بالمعاناة، يمكن أن نتعلم من روبنسون كروزو وإجابته على صديقه فريدي.

يقول فريدي: «حسنًا، قد تقول إن الله قوي جدًا وعظيم جدًا، فهل ليس لديه القوة والقدرة للتغلب على الشيطان».

فأقول له: «نعم نعم يا فريدي، الله أقوى بكثير من الشيطان».

فيرد فريدي: «إن كان الله أقوى من الشيطان فلماذا لا يتغلب عليه ويمنعه من فعل الشر؟».

فيجيب روبنسون: إذا يجب أن تسأل أيضا لماذا لا يقتلنا الله عندما نعمل الخطية ونتعدى على كلامه؟».

coptic-books.blogspot.com

الله يشعر بتعبنا

عندما نفكر في مقدار الألم والمعاناة سواء كانت تلك المعاناة جسدية أو فكرية، هنا يكون علينا أن نفكر في أمر آخر مهم، وهو أن الله ليس بعيدًا، منعزلاً، أو ملكًا مرتفعًا، مبتعدًا عن الناس وعن معاناتهم. إنه ليس فقط على دراية بالمعاناة بل هو يشعر بها، لا يوجد ألم أو معاناة تأتي لنا قبل أن تمر على قلب ويد الله، ومهما كانت كمية المعاناة فيجب أن نذكر أن يسوع هو أكثر شخص عانى في هذا العالم.

إن كلمات إشعياء النبي صريحة وتخبرنا عن معاناة يسوع «كمستر عنه وجوهنا، محتقر فلم نعتد به» (إش ٥٣ : ٣). كاتب آخر يبذكرنا: «لأنه في ما هو تألم مجربًا يقدر أن يعين المجربين» (عب ٢: ١٨). كذا فهو يقول إننا «ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مجرب في كل شيء مثلنا، بلا خطية» (عب ٤: ١٥). وأيضًا يقول لنا الرسول بولس: «لا تحزنوا روح الله القدوس» (أف ٤: ٣٠).

إن مشكلة الشر والمعاناة هي إحدى المشاكل العميقه لهذا الجيل. لقد أصبحت تتزايد بحدة في وقتنا، وسط تهديد الحرب النووية والكيمياوية والبيولوچية. ليس هناك أجوبة سهلة، وليس لدينا الكلمة الحاسمة. غير أن لدينا، على أية حال، بعض الأفكار الأساسية.

الإرادة الحرة: هدية محفوفة بالمخاطر

أولاً، الشر جزء لا يتجزأ من الإرادة الحرة. كما قال چي. بي. فيلبس:

الشرّ متأصل في الإرادة الحرة تلك العطية المحفوفة بالمخاطر. كان يمكن لله أن يجعلنا ماكينات، لكن ليعمل هذا كان سينزع منَّا العطية الثمينة وهي حرية الاختيار،

coptic-books.blogspot.com

ونحن كنا سنتوقف عن أن نكون بشرًا. إن استخدام الإنسان لإرادته الحرة في اتجاه الشر وهي ما ندعوه «سقوط» الانسان (خطية آدم في جنة عدن) والسقوط السبب الأساسي للشر والمعاناة في العالم. إنها مسئولية الإنسان، وليس الله. كان يمكن لله أن يوقفه، لكنه كان سيحطمنا كلنا. من الجدير بالملاحظة أن النقطة الأساسية في المسيحية الحقيقية ليست في التداخل مع القوة الإنسانية للاختيار، لكن في إنتاج مشيئة راغبة في اختيار الخير بدلاً من الشر[1].

في هذا الكون، تؤثر أعمال كُلّ فرد على الآخرين. لا أحد يعيش في جزيرة منفصلة. ولو كانت الحياة تسير بطريقة غير ذلك فستكون مثل لعبة شطرنج تتغير فيها القواعد بعد كل تحرك. ستكون الحياة بلا معنى.

ثانيًا، معظم المعاناة في العالم يمكن أن نقتفي أثارها مباشرة فهي نتيجة لاختيارات شريرة لرجال والنساء. إن المعاناة في أغلب الأحيان هي النتيجة المنطقية لهذه الاختيارات. وهذا نراه بوضوح جدًا عندما يقتل سارق بنك شخصًا ما، لكن أحيانًا يكون الأمر أقل وضوحًا، وغير مباشر، مثل قرارات عوجاء تتخذها الحكومة أو أصحاب الأعمال تجلب الحرمان والمعاناة لأناس كثيرين مجهولين لمن اتخذوا هذه القرارات. حتى نتائج الكوارث الطبيعية أحيانًا تكون مصاحبة بذنب الناس في رفض التحذيرات عن مجيئها.

ثالثًا، البعض لكن ليس الكل يعانون بسماح من الله كحكم وعقاب. هذه إمكانية يجب وضعها دائمًا في الاعتبار. يسمح الله لمثل هذه المعاناة عادة للتشكيل وإعادة البناء، وأولئك الذين يعانون كنتيجة لأعمالهم يعرفون ذلك (عب ١٢: ٧- ٨، ١١).

رابعًا، الله عنده عدو حقود ومتصلب هو الشيطان، الذي هُزِم في الصليب لكنه

coptic-books.blogspot.com

حر ليمارس أعماله الشريرة حتى ميعاد الدينونة الأخيرة. فهناك في العالم قوة شريرة أقوى من البشر واضحة في سفر الرؤيا وفي اختباراتنا الشخصية.

خامسًا، الله بنفسه أكثر من عانى وتقابل مقابلة كاملة مع مشاكل الشر في ابنه الذي ودفع الثمن في صورة تكلفة غير محدودة ومعاناة لنفسه. وصار لنا فداء من نتائج الخطية للأبد عندما نحتمي في ربنا يسوع المسيح. وبه خطايانا غفرت، ونحن نستقبل حياة جديدة وقوة لاختيار طرق الله لنا. وهو سيوجهنا ويقوينا ويشكلنا لكي نكون مثل يسوع المسيح في صفاتنا.

الاختبار الأعظم للإيمان

ربما الاختبار الأعظم للإيمان المسيحي اليوم أن نؤمن بأن الله صالح. هناك الكثير في حياتنا وثقافتنا يدفعنا في عكس هذا الاتجاه. يشير هيلموت ثيلك إلى أن النظر إلى قطعة قماش من خلال منظار مكبر يكون واضحًا في الوسط ومشوش عند الحواف. ولكن بسبب ما نراه في الوسط فنحن نعرف بوضوح ما يوجد في الحواف. هكذا تكون الحياة مثل النظر إلى قطعة القماش هذه.

إن وعد الله لنا ليس أن المعاناة لن تصيبنا بل أنه لا يوجد شيء يفصلنا عن محبته.

فحول الحواف الكثيرة في حياتنا هناك الكثير من التشويش، أحداث كثيرة وظروف حولنا لا نفهمها، ولكن يمكننا أن نترجمها بطريقة صحيحة عندما ننظر إلى المركز، إلى صليب المسيح. نحن غير متروكين لنخمن صلاح الله من مجموعة بيانات منفصلة، لقد أعلن لنا صفاته بشكل واضح في الصليب «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضًا معه كل شيء» (رو ٨: ٣٢)

coptic-books.blogspot.com

الله لم يطلب منا أبدًا أن نفهم، ولكن أن نثق فيه بنفس الطريقة التي بها نطلب من أولادنا أن يثقوا في محبتنا وعنايتنا عندما نذهب بهم للطبيب. يأتي السلام عندما ندرك أنه في هذه الحياة، وبرغم أننا لن نستطيع أن يكون عندنا صورة كاملة، ولكن لدينا ما يكفي ليوضح لنا أن الحواف ستكون رائعة.

نستطيع أن نؤكد في هدوء وفرح «أن كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله» (رو ٨: ٢٨).

في كثير من الأحيان يكون تفاعلنا مع المعاناة وليس المعاناة نفسها، هو الذي يحدد خبرتنا هل هي للبركة أو للنكبة، فنفس الشمس تصهر الزبد وتنشف الطين.

عندما نستطيع أن نرى الحياة بنعمة الله من خلال عدسات الإيمان في محبة الله، نستطيع أن نؤكد مع حبقوق «فمع أنه لا يزهر التين، ولا يكون حمل في الكروم، يكذب عمل الزيتونة والحقول لا تصنع طعامًا، ينقطع الغنم من الحظيرة ولابقر في المذواد، فإني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي» (حب ٣ : ١٧– ١٨).

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل الحادي عشر

هل تختلف المسيحية عن أديان العالم الأخرى؟

كيف تختلف المسيحية اختلافًا مهمًا عن بقية الأديان؟ هذا موضوع كثيرًا ما يتم مناقشته في عالمنا المتقلص. إننا نرى خليطًا من الثقافات والأمم والأعراق والأديان على نطاق لم يسبق أن شهده العالم من قبل. إذ لا يلزم أكثر من ٢٤ ساعة حتى تصل إلى أي مكان في العالم من مطاراتنا المحلية. كما يُحضِر التليفزيون إلى غرفة معيشتنا الدلاي لاما في الهند أو شعائر عبادة المسلمين، والحروب العرقية والدينية في أفريقيا.

هناك أكثر من ٥٦٣٠٠٠ طالب وباحث من أكثر من ٢١٢ دولة من العالم جاءوا إلى الولايات المتحدة في سنة ١٩٩٦- ١٩٩٧ للدراسة في أكثر من ٢٤٢٨ كلية وجامعة في جميع أنحاء الولايات الخمسين[١]. حتى أن الملابس القومية الهندية أو غيرها باتت أمرًا شائعًا في المتاجر المحلية والمدن الجامعية. علاوة على ذلك، فإن آلاف الدبلوماسيين ورجال الأعمال والسائحين يأتون إلى أمريكا سنويًا.

يجد هؤلاء النزلاء الجدد طريقهم إلى اجتماعات منظمة أولياء الأمور وأندية الخدمات والكنائس للحديث عن ثقافتهم وخلفيتهم الدينية. وهم أناس مخلصون ومتعلمون وأذكياء. وكثيرًا ما يكونون مهتمين بالتعلم عن المسيحية، ويمكننا نحن أيضًا أن نتعلم منهم.

coptic-books.blogspot.com

هل المسيحية متميزة؟

وبينما نتواصل مع هؤلاء الأصدقاء القادمين من الخارج، فإن معتقداتهم الدينية من الطبيعي أن تثير بعض التساؤلات لنا جميعًا بشأن إذا ما كانت المسيحية حقيقية. وهل هي متميزة ومتفردة بين ديانات العالم؟ أم أنها ببساطة تمثل شيئًا من التنوع في عرض نفس الفكرة الأساسية الموجودة في كل الأديان؟ بمعنى آخر، «هل يعبد البوذي أو الهندوسي أو اليهودي المخلص أو أي شخص من أي ديانة أخرى نفس الإله الذي نعبده نحن ولكن تحت اسم مختلف؟» أو لنقلها بوضوح أكثر: «هل يسوع المسيح هو الطريق الوحيد إلى الله؟».

عندما يؤكد الكتاب المقدس أن يسوع المسيح هو الطريق الوحيد إلى الله وأنه بعيد عنه لا يوجد خلاص، فهذا قد يترك الانطباع أن المسيحيين متعصبون، ومغلقو الفكر. أو الأسوأ، أن المسيحيين يعتقدون أنهم أفضل من الآخرين جميعًا. ويبدو كما لو أن المسيحيين لديهم نادٍ خاص للمتعصبين، مثل الأحزاب والأندية العنصرية. وبالفعل فإنه في كل مجالات الحياة، يكون من السهل أن نعطي ببراعة الانطباع أننا نسأل: «لماذا أنت لست طبيعي وعادي مثلي؟».

من الشائع أن نسمع عبارات مثل: «لنترك كل شخص يؤمن فقط بالله»؛ «لماذا نقدم له يسوع المسيح؟»؛ «فلنتفق على وجود الله وهذا يكفي». ولكن هل يمكن للمسيحي أن ينسجم مع الأديان الأخرى ويتناسى فكرة أنه في علاقة خاصة مع الله؟

أساس الرسالة

أساسًا، بالنسبة للمسيحي، من المستحيل أن تستطيع قبول جميع الآراء اللاهوتية

coptic-books.blogspot.com

المتباينة. حيث أن حجر الزاوية في الرسالة المسيحية هو يسوع المسيح – الله الذي جاء إلى العالم. وبدون هذا الأساس، سوف تفقد كل الأجزاء الأخرى أي معنى لها. وهناك العديد من الآيات من العهد الجديد تعطينا هذه الفكرة الأساسية. وسوف أقدم هنا ثلاث منها: «ليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أع ٤: ١٢). ويقول الرسول يوحنا: «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر» (يو ١: ١٨). كما قدم يسوع تصريحه الموجز: «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي» (يو ١٤: ٦).

يؤمن المسيحيون بهذا ليس لأنهم هم من جعلوه قانونًا لهم، ولكن لأن هذا هو قول يسوع المسيح والكتاب المقدس. في الحقيقة، هذه الرسالة الجوهرية تنتشر في كل أنحاء العهد القديم والجديد. والمسيحيون لا يمنحون الأساس للحقائق الكتابية لكنهم يشرحونها فقط .

لو كان علينا أن نقول إننا نود تغيير هذه الحقيقة والتصويت لصالح شيء أكثر شمولية للجميع، حينها سترى ماذا ستكون المعضلة التي سنقع فيها. إننا سنغير شيئًا غير قابل للتغيير بواسطة البشر. إنها قاعدة ثابتة، وهي إما صحيحة كليًا وإما خاطئة كليًا. هي، كما قال فرانسيس شيفر: «حقيقة حقة».

يوجد بعض القوانين أو الحقائق يمكننا تغييرها. فمثلاً، عقوبة كسر قواعد المرور تُحدد بواسطة رأي المجتمع. فهي ليست أمرًا متأصلاً في الفعل نفسه. وبالمثل، فإن العقوبة يمكن أن تكون خمسين دولارًا، أو قد يمكن إلغاء القاعدة تمامًا.

coptic-books.blogspot.com

هناك قوانين أخرى، مثل قانون الجاذبية، تعتبر حقائق نهائية لا يمكن تغييرها. فهي لا يحددها المجتمع مهما كان رأي المصوتين او الثقافة. الحقيقة هنا راسخة وصلبة، وهي ثابتة ومؤكدة. كذلك فإن عقوبتها لا يحددها المجتمع. إذ يمكن للناس أن يصوتوا بالإجماع لوقف قانون الجاذبية لمدة ساعة، ولكن لن يجرؤ أحد منهم، إذا كان عقله واعيًا، أن يقفز من سطح العمارة التي يسكنها لكي يختبر هذا التوقيف لقانون الجاذبية. حيث أن عقوبة انتهاك قانون الجاذبية متأصلة في الفعل نفسه، والشخص الذي ينتهك هذا القانون سوف يتلقى جزاءه في الحال بمجرد سقوطه مكسرًا على الرغم من كل القرارات الإجماعية.

وكما أن هناك قوانين طبيعية متأصلة، يوجد أيضًا قوانين روحية متأصلة. وأحد هذه القوانين أن مبادرة الله وإعلانه لنفسه في مجيء المسيح يسوع إلى الأرض. وهناك قانون آخر هو أن موت المسيح هو الطريق لغفران الخطايا وبداية علاقة جديدة شخصية مع الله. وفي الحديث عن حصرية الخلاص في المسيح، لا يفترض المسيحي لنفسه أي مكانة متميزة بأي كيفية. فلا مكان هنا للغطرسة والتكبر. لكنه بالأحرى يشعر أنه شخص لمس الله حياته وتدخل فيها بالنعمة. كما يقول د. ت. نيلز واصفًا حكي المسيحي لقصته الشخصية: «إنه تمامًا كما المتسول الذي يخبر متسولاً آخر أين يمكنه أن يجد الطعام».

هل يكفي الإخلاص؟

بعد أن رأينا أن الحقيقة الروحية لا يمكن الوصول إليها بتصويت الأغلبية، فإنه يكون علينا أن نتأمل عمومًا في الحقيقة. ولنبدأ بأن الإيمان المُخْلِص في شيء ما لا يجعل هذا الشيء حقيقة، فهذا ما سيشهد به أي شخص أخذ دواءً عن طريق الخطأ

coptic-books.blogspot.com

عندما سحب علبة دواء غير المقصود في الظلام من صندوق الإسعافات الأولية. لقد قلنا من قبل إن الإيمان يتحدد صحته من خطأه بناءً على ما يوجه الإيمان نحوه. ولا يهم هنا مدى الإخلاص والشدة في الإيمان. فالمرضة التي تضع مادة كاوية في عين طفل رضيع وهي مخلصة في ظنها أنها مادة مطهرة للعين، سوف تسبب له أضرارًا جسيمة ولن ينفع هنا إخلاصها في شيء.

وتنطبق هذه المبادئ نفسها على الأمور الروحية. فالإيمان بشيء ما لا يجعل هذا الشيء صحيحًا كما أن الفشل في الإيمان بالحق لا يجعل منه زيفًا. فالحقائق هي حقائق، بغض النظر عن اتجاهات الناس منها. وفي الأمور الروحية، السؤال الأساسي يكون دائمًا: «هل الحقائق حقيقية؟».

يعطينا رافي زكرياس رؤية مفيدة على قوانين المنطق. أولاً: يوجد مبدأ إما/أو، قانون عدم التناقض. يسوع المسيح هو الله أو ليس الله: صحيح أو غير صحيح. فإذا كان يسوع المسيح هو الله، فلا يمكن أن يكون أي إله آخر هو الله بالحقيقة. وإذا كان يسوع المسيح هو الخالق، كما يعلمنا الكتاب المقدس، فلن يكون الخالق أحد غيره. فإما يكون هو وإما غيره.

المنطق سيكون مثل قولي: «لا يوجد أتوبيس آتٍ. سوف أعبر الشارع». لكنك ستقول: «هناك أتوبيس آتٍ. لن أعبر الشارع». فسوف نعرف الحقيقة عندما أعبر الشارع. فأحد الرأيين لابد أن يكون صحيحًا والآخر خاطئًا.

المنطق المعارض سوف يكون مبدأ كل/و. فهذا سيقول إن كل من (أي إله آخر) ويسوع هما آلهة حقة، إنه منظور يعتقد بتعدد الآلهة[٢].

coptic-books.blogspot.com

يؤدي تطبيق مبدأ كل/و إلى مأزق وطريق مسدود في تفكيرنا. فمثلاً دعنا نتأمل في الخلق. أي إله أو آلهة هو الذي خلق العالم؟ أي إله سيخبرني بالحقيقة عن الحياة؟ أي إله ينبغي أن أصلي له؟ كيف أعرف أيهم صالح وأيهم طالح؟ هل يمكن أن يكون يسوع ومعه وفرة من الآلهة الأخرى؟

خذ على سبيل المثال، حقيقة لاهوت (ألوهية) وموت وقيامة يسوع المسيح. تؤكد المسيحية هذه الحقائق باعتبارها جوهر رسالتها. بينما بعض الديانات الأخرى على الجانب الآخر، تنكر ألوهية وموت وقيامة المسيح. في هذه النقطة الحاسمة للغاية، لابد أن يكون أحد هذين الرأيين المتقابلين خاطئًا وغير حقيقي. لا يمكن أن يكون الاثنان صحيحين بالتوازي، بغض النظر عن مدى الإخلاص في الإيمان بهذا الأمر أو ذاك لدى أكبر عدد من الناس.

هناك الكثير من الحديث قيل عن تشابه أديان العالم. والكثير من المسيحيين يفترضون ببساطة أن الأديان الأخرى هي متشابهة في جوهرها، وأنها تقدم نفس المزاعم وتقوم في أساسها بما تقوم به المسيحية ولكن باختلافات طفيفة. يبدو أن مثل هذا الاتجاه الخاص بمبدأ كل/و يجعل كل الأديان متطابقة، فمثلاً: «كل من الهندوسية والمسيحية على صواب». (مع أن الهندوس سوف يرفضون بقوة هذه الفكرة).

«لنضف إلهًا آخر» تلك العبارة ستكون تطبيقًا آخر لمبدأ كل/و. ربما يكون هناك بعض التشابهات بين الأديان ولكن الاختلافات تتجاوز ذلك بكثير جدًا.

هل القاعدة الذهبية كافية؟

واحدة من التشابهات هي الإيمان بالقاعدة الذهبية، والتي هي متضمنة في

coptic-books.blogspot.com

كل الأديان تقريبًا. منذ زمن كونفوشيوس لدينا هذه العبارة، بأشكال عديدة: «أعمل للآخرين ما تود أن يعمله الآخرون بك». أحيانًا يُعتقد بأن هذه العبارة هي جوهر المسيحية. لو أن كل ما فعله المسيح هو أنه أعطانا الموعظة على الجبل والقاعدة الذهبية، فبالتأكيد كان سيزيد هذا من إحباطنا. لأن القليل منا فقط هم من يستطيعون الحفاظ على هذه المبادئ باستمرار. إذ تظل مشكلتنا دائمًا ليست في عدم معرفتنا بما ينبغي علينا عمله، بل أن مشكلتنا هي افتقارنا إلى القوة أو القدرة على عمل ما نعرف أنه مفيد وأخلاقي وصالح وعادل وأمين وعطوف.

لم يُعلِّم يسوع المسيح القاعدة الذهبية؛ لكنه جاء لكي يساعدنا أن نعيشها. وهذا في الأساس هو التميز الرئيسي للمسيحية عن بقية الأديان الأخرى. إنه يعرض علينا القوة لكي نعيش كما ينبغي، ويعطينا الغفران كهبة مجانية. وهو يعطينا الحياة الجديدة، ويعطينا تبريره. يمكننا أن نعود لنبدأ من جديد. فهو يعمل شيئًا لأجلنا لا نستطيع نحن أن نعمله لأنفسنا.

المسيحية الأساسية

لو أن هذه القائمة من أعمال الله تبدو صالحة وجيدة جدًا لدرجة أنها قد تبدو غير حقيقية، فإن النظرة الوجيزة على شخصية الله ستكون نقطة انطلاقنا نحو معرفة المسيحية الأساسية. يشرح مارك ميتلبرج وبيل هيبل في كتابهما "أن تكون مسيحيًا معديًا" ثلاث سمات جوهرية في الله:

أول كل شيء، الله محبة. فقد خلقنا بناءً على محبته وعطفه ومن خلال هذه المحبة اشتاق أن يقيم علاقة معنا. وهو مستمر في مد محبته بصبر وتأني نحونا. ويفضل الكثير من الناس التوقف هنا، ولكن هناك المزيد الذي نحتاج أن نقوله.

coptic-books.blogspot.com

ثانيًا: الله قدوس. وهذا يعني أنه طاهر كليًا وهو منفصل عن كل شيء غير طاهر.

السمة الثالثة لله أنه عادل. بمعنى آخر، هو مثل القاضي الصالح الذي لا يمكنه التساهل مع كسر القوانين: بل بالأحرى يجب عليه يقيم حد العدالة[٢].

وأصعب ما يواجهنا عن الله هو فهم انفصال الله الكلي عنا مقارنة بمقياسنا للقداسة. عندما ننهض في غضب ضد تصرفات عديمة الإحساس وشريرة نحو شخص مسكين، نحن نختبر معرفة طفيفة عن مقته للشر. ويؤكد الكتاب المقدس أن الله لا يمكنه حتى النظر إلى الشر. إن طبيعة الله تجعله بارًا وعادلاً. وقداسة الله غير المحدودة تتجاوز بما يفوق الوصف قداستنا، مثل مقارنة الاختلاف بين قمة أطول شجرة كمقياسنا للقداسة وطول القمر كمقياس الله للقداسة.

قال لي أحد الأصدقاء: «لو أن الله يعطي درجات على المنحنيات، فسأكون على ما يرام» لقد شعر أنه يكاد يكون متوسطًا في حياته وأخلاقياته. وبالنسبة له فإن الله أستاذ لديه إرشادات محددة وموضوعة مسبقًا، وهو خرج عن المعدل المتوسط.

للحصول على موجز مختصر لجوهر المسيحية الكتابية علينا أن نلقي نظرة على أكثر الآيات التي تُقتَبس على مستوى العالم من الكتاب المقدس وهي (يوحنا ٣: ١٦).

«أحب الله العالم» كل واحد منا نحن خليقته. وكلمة «أحب» تعني أن الله يحبنا أكثر من محبة ورعاية الأم لطفلها أو الأب المطحون لأجل مساندة أسرته. الله يعتني بكل واحد منا.

coptic-books.blogspot.com

«حتى بذل ابنه الوحيد» يسوع المسيح الذي جاء إلى الأرض، لكي يخلصنا لكي يكون حقنا وحياتنا. لقد فشلت جميع أساليب العلاج الأخلاقية. إذ ميلنا بعيدًا عن طريق الله. ونحتاج إلى مُخلص. وهذا ليس صراعنا للوصول إلى الله، بل هو نزول الله إلينا. وهو يعرف أن المزيد من القوانين والشرائع لن تساعد. بدلاً من ذلك جاء الإله القدوس والعادل إلى الأرض، ودعي يسوع، «لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» (مت ١: ٢١).

«كل من يؤمن به» العرض متاح للجميع. أي شخص سوف يأتي، سوف يحصل بكل الحب. كل من يقول له: «نعم، إنني أحتاجك» يعرف أن الله سيجيبه. وهو يجلب معه مساعدة وغفران إلهيًا. وهو يعطي حياة جديدة بالكامل ويوطد علاقة له مع نفسه. فلتقدم نفسك له وسوف تعثر ساعتها على نفسك الحقيقية، كما نوى خالقك لك أن تكون.

«لا يهلك... بل تكون له الحياة الأبدية». إنه يخلصك. ينقذك من الهلاك الذي نتج عن خطاياك وإخفاقاتك. سوف تنال الغفران، وتتحرر من العادات التي لصقت بك، ومن الفراغ الدائم والشعور المتكرر بالذنب. وحتى تلك الخطايا الصغيرة التي يقع فيها الشخص الأخلاقي سوف تنال هي أيضًا الغفران. إن الحياة الأبدية هي حياة الله التي أعطانا إياها. والتي يطلق عليها الرسول بولس «خليقة جديدة». ومهما كانت ظروفنا، فهو يقبلنا ويسعد بأن يخلصنا من بحور الشك والفراغ. تخيل الحياة وأنت يدك في يده كل يوم!

إن قبوله في حياتك ليس اقتراحًا يمكنك تنفيذه بنفسك. إذ لا يقال: «اجتهد في عمل ذلك واتبع هذا الطريق وسوف تربح الحظوة عند الله». وهو ليس مجموعة من

coptic-books.blogspot.com

تعليمات السباحة لشخص يغرق. ففي المسيحية، يسوع المسيح بنفسه يأتي لكي يكون حافظ حياتنا وراعيها.

هبة ثمينة

«منقذ أو حافظ الحياة» هو الشخص الذي يقفز في داخل المشكلة ليساعد وينقذ. لقد وصف يسوع مجيئه بأنه «يعطي نفسه فدية عن كثيرين». إنه الله الذي جاء إلى الأرض ليساعدنا. ويشرح د. ت. نيلز أنه في الديانات الأخرى يكون الناس متروكين ليقوموا بأفضل ما لديهم، ويتبعوا القواعد ويعملون «أعمالاً صالحة». وذلك كله لكي يكسبوا هدفهم المحدد والذي وُعِدوا به (وكل ديانة لها المثاليات الخاصة بها).

يوضح مارك ميتلبرج الاختلاف بين الديانات والمسيحية فيقول: «الديانات تحض على عمل أشياء من أجل محاولة الحصول على غفران الله ورضاه... شكرًا لله فإن المسيحية تختلف إذا أنها تتكلم عن عمل قد تم إنجازه بالفعل»[٤].

بالنسبة للمسيحي، فإن عمل الأعمال الصالحة هو نتيجة للشعور بالعرفان للمخلص الذي صار حافظًا لحياتنا. إنها تعبير عن العرفان والالتزام لاتِّباع إرشاده.

إن سر محبة الله ومجيء يسوع باعتباره مخلصنا الشخصي موجود في موته النهائي على الصليب. فهذا الإله – الإنسان البريء قد ذُبِحَ بقسوة آخذًا عقابنا الذي كان جميع الخطاة يستحقونه عن حق. لقد حمل العقاب الذي كنت أنا وأنت نستحقه. وعند الصليب وحده اجتمعت محبة الله وعدالته معًا. وهنا أعلن غفران الله عن سقطاتنا البشرية والأخلاقية. يتحدث الصليب برسالة المحبة والغفران.

coptic-books.blogspot.com

يخبرنا وليم لاني كريج قصة عن رد فعل ثلاثة رجال عندما أبصروا في النهاية حقيقة المسيح:

وقف ثلاثة رجال وسط حشد أمام عرش الله في يوم الدينونة. وكل منهم لديه حساب يؤديه أمام الله. فاشتكى أحد الرجال بحزن شديد: «لقد شُنِقت بسبب جريمة لم أرتكبها». وقال آخر: «وأنا توفيت نتيجة لمرض ظل يزحف بجسمي طوال شهور، وتركني محطم في الجسد والروح». وتذمر الثالث قائلاً: «وأما أنا فقد قُتِلَ ابني في مقتبل حياته عندما هجم عليه بعض السكارى وقتلوه». كان الثلاثة غاضبين وقلقين، ولكن عندما وصلوا إلى العرش وشاهدوا قاضيهم ويده ورجليه مثقوبة بالمسامير وأبصروا جنبه الجريح، سكتت كل الشفاه. وركعوا بصمت على ركبهم في محضر مخلصهم(٥).

ثلاث ديانات كبرى

من هذه الصورة التي ترينا هبة الله، سوف نقارن بإيجاز بين ثلاث ديانات كبرى في العالم. ما هي وجهة نظرهم عن الخلاص وما الذي تسعى إليه، وهذا ما سيظهر مدى الاختلاف عن الصورة التي رسمناها حتى الآن.

البوذية: بدأت مع جاوتاما سيدهرتا، المولود في ٥٦٣ ق. م. في شمال الهند. ومثل غيره من الباحثين عن الحق في أيامهم ارتحل جاتاما يتجول بحثًا عن ردود على المعاناة وطريقًا للسلام. وأخيرًا، شعر أنه بلغ «الاستنارة العظمى» واختبر «النيرفانا» أو السعادة والبركة الفائقة. وقد صاغ هذا الاختبار كل أفكاره، الذي صار الكثيرون يتعلموه، وصار يُعرف باسم «بوذا» أي «المستنير».

coptic-books.blogspot.com

يصف بوذا النيرفانا باعتبارها حالة يتم الوصول إليها بواسطة إبطال الوجود الفردي من خلال امتصاص النفس في داخل الروح العليا. ويرتبط الوصول إلى النيرفانا بانطفاء الشمعة (إبطال الذات أو العدمية الكاملة). ويقوم تحليل بوذا على الحقائق السامية الأربع التي صاغها هو: (١) الآلام كونية وشاملة، (٢) سبب الآلام هو الرغبة – الشوق الذي يمسك بالنفس، (٣) علاج الآلام هو التخلص من الرغبة، (٤) يتم التخلص من الرغبة بواسطة اتباع طريقه الثماني نحو الاستنارة.

الطريق الثماني، وهو مشهور وشائع بين البوذيين، يتضمن المعرفة الصحيحة والمشاعر الصحيحة والكلام الصحيح والعمل الصحيح والحياة الصحيحة والجهود الصحيحة والبصيرة الصحيحة والتأمل الصحيح. ويعد التخلص من الرغبة هو الفكرة الرئيسية والهدف من أجل إحضار الشخص إلى النيرفانا – البركة المطلقة التي تتحقق بواسطة إبطال الفرد وامتصاصه في الوحدانية العظمى للكون – مثل انطفاء الشمعة.

بالإضافة إلى ذلك، قبل بوذا القانون الصارم الخاص بالسبب والنتيجة والمسمى بالكارما، وهو أن كل فعل له تأثير، سواء جيد أو شرير في هذه الحياة أو بعد إعادة مولده من جديد. الإيمان بتوالي الحياوات أو تناسخ الأرواح إلى حياة أرضية أخرى والتي تتحدد بناء على أعمالنا في هذه الحياة. وهذا يتضمن تحديدًا مرور "شرارة" الحياة أو النفس لكي تصير بعد الموت في شخص آخر أو شكل آخر. كان هدف بوذا في النهاية هو مساعدة أتباعه للنجاة من دائرة المعاناة والآلام والرغبة من خلال الولادة وإعادة الولادة.

الهندوسية: الهدف النهائي فيها أيضًا هو النيرفانا، ولكن المصطلح هنا له معنى

coptic-books.blogspot.com

مختلف. النيرفانا هنا هي إعادة الاتحاد المطلق مع البراهما، وهو القوة الكونية المتغلغلة في كل شيء والتي هي رئيس الآلهة الذين يبلغ عددهم ٣٣٠ مليون إله. وترتبط هذه الخبرة بعودة قطرة مياه إلى المحيط. وتُفقَد الفردية في إعادة الاتحاد مع إلههم، ولكن بدون امتصاص النفس لهوية الشخص كما تُعلم البوذية.

يهدف التأمل المتسامي أو اليوجا إلى جلب الشخص إلى الاتحاد مع الكون غير الشخصاني أو «الإله». وخلف هذه الممارسة تكمن نظرة للعالم الحسي على أنه وهمي. فبالنسبة للهندوسي التقي، يتم الوصول إلى النيرفانا من خلال دائرة مستمرة من الميلاد والحياة والموت وإعادة الميلاد. فبمجرد أن يموت أي حيوان أو حشرة أو إنسان، فإن هذا الكائن يعاد ولادته فورًا في شكل آخر. ويعتمد صعود وهبوط الكائن في مقياس الحياة على مستوى الحياة الأخلاقية التي عاشها. إذا كانت حياة صالحة، يتحرك الكائن لأعلى مع المزيد من الراحة والقليل من المعاناة. وإذا عاش حياة سيئة، يتحرك الكائن لأسفل فيعيش حياة جديدة بها المزيد من المعاناة والفقر. أما إذا كان الفرد سيئًا بما يكفي، لا يعاد ولادته كإنسان على الإطلاق بل في صورة حيوان أو حشرة.

ويسمى هذا الجني في الحياة التالية للحصاد المزروع في الحياة السابقة باسم «قانون الكارما». وهذا يفسر لماذا لا يقتل الهندوس حتى الحشرات، وبالطبع لا يمكنهم قتل البقرة المقدسة، على الرغم من أن هذه التحريمات تسبب مشكلات صحية خطيرة وعادات صحية سيئة. ولكن ما يبدو غريبًا وغير مبرر بالنسبة للشخص الذي يعيش في العالم الغربي، هو مفهوم وواضح بالنسبة للهندوسي.

الإسلام: ينظر المسلمون إلى السماء باعتبارها جنة للمتعة والرفاهية. ويمكن

coptic-books.blogspot.com

بلوغ الجنة بالعيش حياة التقشف الصارم وحرمان النفس من متعها على الأرض. ويقوم تعليم الإسلام على أنه لا إله إلا الله الرب الخالق الذي له السلطان على الكون. وهو أيضًا الديان النهائي لكل البشر. رفض محمد، نبي الإسلام، أن يسوع، وهو الإنسان، يمكن أن يكون هو الله. ولكن الإسلام يكرم يسوع باعتباره نبيًا عظيمًا لله ولكنه ليس الله المتجسد.

هناك خمس فرائض هي أركان الإسلام. وهي تشمل تلاوة الشهادة والحج إلى مكة وتقديم الزكاة للفقراء والصلاة خمس مرات يوميًا والصوم في شهر رمضان.

تختلف هذه الديانات عن المسيحية في معتقدات أساسية. كما أنها أيضًا تتضمن فكرة أن العمل كنقيض لصليب المسيح هو الذي يخلصنا ويمنحنا الغفران.

يشير سي. أس. لويس في كتابه «إبطال الإنسان» إلى وجود تعليمات أخلاقية بشكل ما في كل ديانة. ولكن في المسيحية الاختلاف المهم والجوهري يكمن في المسيح الحي، الذي يعطى لكل شخص يؤمن ويمدنا بالقوة لطاعة تعاليم الله ويأتي إلى هؤلاء الذي يؤمنون بابن الله ويتركون له دفة حياتهم ليقودهم.

مفهوم الإله

حتى مفهوم الإله أو الله، وهو مفهوم أساسي هناك من يلتمسون أن علينا الاتفاق بشأنه، فإنه هو أيضًا يكشف عن اختلافات واسعة بين الأديان. والقول بأننا من الممكن أن نتحد مع كل من يؤمنون بالإله، بغض النظر عن اسم أو طبيعة هذا الإله، إنما هو تعبير عن فشلنا في إدراك أن مصطلح إله أو الله لا يعني أي شيء بمعزل عن التعريف الذي يُعطَى لهذا المصطلح.

coptic-books.blogspot.com

فبوذا، على عكس المعتقد الشائع، لا يزعم أبدًا أنه إله. في الحقيقة، كان بوذا يتخذ موقفًا لا أدريًا بشأن السؤال عن حقيقة وجود الإله. فقد علم بوذا بوضوح أنه لو أن الله موجود فليس بوسعه مساعدة أي فرد في الوصول إلى الاستنارة. إذ يجب على كل شخص أن يجتهد ويسير في هذا الدرب بنفسه ولنفسه.

أما تعاليم الهندوسية فهي تنادي بوحدة الوجود (**pantheistic**). تؤمن الهندوسية أن الله والكون متحدان ومتطابقان. ويعتبر مفهوم «المايا» مفهومًا مركزيًا في تفكيرهم. و«المايا» هي الإدراك الثنائي القائم على أن العالم المادي ليس سوى وهم: نحن نعتقد أننا كائنات شخصية، ولكننا لسنا كذلك. وبالنسبة لهذه الفلسفة، كل الأفكار والمشاعر وهمية. لكن الحقيقة تتسم بكونها روحية وغير منظورة. وبراهما هو الحقيقة المطلقة، هو النفس الكونية. وبالفعل فإن كل شخص وكل شيء موجود، هو من براهما طالما أن كل شيء هو الله.

تُعلم البوذية أيضًا أن العالم المادي وهم. ولعل هذا ما يظهر لنا لماذا وُلِدَ العلم الحديث بواسطة المسيحيين الذين أمنوا بالله الشخصاني الذي يجعل الكون منظمًا، بينما لم ينشأ في سياق الفلسفة الشرقية. وهذا أيضًا يفسر لماذا معظم التقدمات العلمية جاءت من الغرب وليس من الشرق. فلماذا يفحص ويفتش شخص في شيء يعتقد أنه مجرد وهم؟

البوذية: لا أدرية في أساسها بالنسبة للسؤال عن وجود وسمات الله.

الهندوسية: أساسًا تؤمن بوحدة الوجود وأن الله كائن في كل شيء ولكنها أيضًا تؤمن بتعددية الآلهة، إذ يُذكَر أن هناك ٣٣٠ مليون إله (ومن بينها يسوع).

الإسلام: توحيدية مثل المسيحية، لكنها ترفض أن يسوع هو الله المتجسد.

coptic-books.blogspot.com

الإله اليهودي قريب

المفهوم اليهودي لله هو الأقرب إلى المسيحية. أليس الإله الذي يعبده المسيحيون هو نفسه إله العهد القديم؟ بالتأكيد يمكننا أن نتحد في هذا الشأن!

غير أن الفحص من قرب يُظهِر أن غالبية اليهود لا يعترفون بأن إلههم هو أبو يسوع المسيح. ربما يعتقد البعض أن يسوع كان رجلاً عظيمًا، لكنه ليس المسيا (المخلص). في الحقيقة، ذلك الموضوع تحديدًا هو الذي عجّل بالتصدام الحاد في أيام الرب يسوع. لقد قالوا ليسوع المسيح: إننا نقبل الله، ولكننا لا نقبلك لأنك وأنت إنسان تزعم لنفسك أنك الله. وهذا، في نظرهم، هرطقة وتجديف واضح من يسوع.

وفي حوار يسوع مع القادة الدينيين اليهود، ناقش معهم هذا السؤال. فقالوا له «لنا أب واحد وهو الله». فقال لهم يسوع: «لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني، لأني خرجت من قبل الله وأتيت... الذي من الله يسمع كلام الله. لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله» (يو ٨: ٤٢، ٤٧).

من الواضح جدًا أن القادة اليهود لم يكونوا مخلصين في بحثهم عن الله. لأنه لو أن الناس يسعون لمعرفة الإله الحقيقي، فإن إخلاصهم سيكون دليلاً وستكافئ جهودهم. إذ يحفل تاريخ الإرساليات بالعديد من الأمثلة لأشخاص كانوا يتبعون آلهة أخرى أو إله مجهول لكنهم تجاوبوا عندما تم تقديم الحق لهم عن يسوع المسيح. لأن رسالته تفتح أذهانهم لتريهم أنه هو الإله الحقيقي، الذي كانوا يبحثون عنه.

يسوع المسيح هو الوحيد الذي نسب الألوهية لنفسه

من بين قادة الأديان العظماء، يسوع المسيح وحده هو من زعم أنه إله. فلا

coptic-books.blogspot.com

يهم فعلاً ما الذي يظنه المرء عن بوذا أو كونفشيوس كأفراد. إذ يركز أتباعهم على تعاليمهم. لكن هذا لا ينطبق على المسيح. فقد جعل من نفسه النقطة المركزية لتعليمه. السؤال المركزي الذي وضعه لسامعيه كان: «من تقولون إني أنا؟» وعندما سأله الناس عن ماذا يفعلون حتى يعملوا أعمال الله. جاء جوابه: «هذا هو عمل الله: أن تؤمنوا بالذي أرسله» (يو ٦: ٢٨).

وحول السؤال عن من وماذا يكون الله وطبيعة الخلاص وكيفية الحصول عليه، كان واضحًا أن المسيحية تختلف بشكل جذري عن أديان العالم الأخرى. إننا نعيش في عصر صارت فيه كلمة «التسامح» كلمة محورية. غير أن التسامح يجب أن يُفهم بوضوح. (فالحق، في جوهره الأساسي، غير متسامح مع الزيف). إذا كان اثنان + اثنان يساوي أربعة، فلا يمكن أن يكون المجموع في نفس الوقت ٢٣. لكننا لا نعتبر الشخص غير متسامح لأنه رفض أن تكون الإجابة هي ٢٣ وتمسك بأن الإجابة الوحيدة الصحيحة هي ٤.

ينطبق نفس المبدأ على الأمور الدينية. إذ يجب على الشخص أن يكون متسامحًا مع وجهات النظر الأخرى ويحترم حقهم في التعبير وحرية العبادة الخاصة بهم. غير أننا لا يمكننا أن نُجبَر تحت ذريعة التسامح أن نوافق أن كل وجهات النظر صحيحة بشكل متساوٍ ومتعادل، بما فيها تلك التي تناقض بعضها. فهذا لن يكون سوى كلام بلا معنى.

الطريق الوحيد لله

ليس صحيحًا ما يقال إن: «لا يهم ما تؤمن به طالما أنك تؤمن فعلاً به». فجرائم الحرب التي أرتكبها هتلر ضد الكثيرين كانت مستندة على رؤية مخلصة لسمو

coptic-books.blogspot.com

العرق الألماني، لكنه كان مخطئًا تمامًا. فما نؤمن به يجب أن يكون صحيحًا لكي ما يكون حقيقيًا. ونعود فنكرر، قال يسوع: «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي» (يو ١٤: ٦). فإذا كنا نبتغي أن نعرف الإله الحقيقي والحي في اختبار شخصي، فسيكون ذلك من خلال يسوع المسيح.

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثاني عشر

هل الاختبار المسيحي صحيح ؟

«يمكنك أن تحصل على نفس الاستجابة من مصباح المكتب لو أنك أمنت بأن له نفس الصفات التي لإلهك» هذا ما قاله طالب الحقوق الشاب. لقد أخبرني هذا الشاب المتشكك بما يشعر به الآلاف - أن الاختبار المسيحي هو أمر شخصي بالتمام وليس له أي شرعية أو صحة على المستوى الموضوعي والشامل والكلي.

ولعل الافتراض المنطقي الذي يكمن وراء هذه الفكرة هو أن العقل قادر على تبرير أمور لا محدودة. والإيمان بالله يُنظر إليه على أنه مجرد تحقيق لأمنية. وبالنسبة للبالغين، يكون الإيمان رد فعل لاحتياجنا لصورة الأب.

الفرضية هنا، سواء تم التعبير عنها أم لا، هي أن المسيحية مخصصة للمعاقين شعوريًا الذين لا يستطيعون اجتياز الحياة بدون الكنيسة.

ويدعي البعض أن التحول إلى المسيحية هو اختبار نفسي يتحقق من خلال عملية غسيل مخ. وهكذا يكون المُبَشِّر ليس سوى سيد التلاعب النفسي. فبعد أن يقرع جمهوره ويوبخهم بقوة، يجدهم قد صاروا عجينة طرية في يده. وأصبح يمكنه أن يعمل بهم أي شيء إذا طلب منهم أن يتخذوا قرارًا في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة.

وقد يذهب البعض إلى أبعد من ذلك، ويقولون إن الاختبار المسيحي أحيانًا

coptic-books.blogspot.com

يكون ضارًا بمعنى الكلمة. فهناك عدة طلاب ذهب بهم آباؤهم غير المؤمنين إلى الأطباء النفسيين بعد أن صار الطالب يمتلك إيمانًا شخصيًا بالمسيح. «انظر إلى جميع هؤلاء المصابين بهوس ديني في المصحات العقلية. إن دينهم هو الذي وضعهم هناك». الأشخاص الذين لديهم هذه المشاعر لابد أنهم خضعوا للفكرة الخاطئة التي تسمى «العامل المشترك» التي يشير إليها أنتوني ستاندن. فهو يخبرنا عن رجل يسكر كل يوم اثنين بعد أن يشرب الويسكي والصودا؛ وفي يوم الثلاثاء يسكر بالبراندي والصودا؛ وفي الأربعاء يسكر بالجين والصودا. فما المشروب الذي يسبب السُكر لهذا الرجل؟ من الواضح أن العنصر المشترك هو الصودا![1].

المحطة الأخيرة في القطار

بالنسبة للكثيرين، تعتبر الكنيسة بمثابة المحطة الأخيرة في القطار قبل أن يتم تكهينه. غير أن الفحص الدقيق لشخص مختل فعلاً سوف تكشف عن عدم التوازن وعدم الحقيقة في مجالات أخرى إلى جانب حياتهم الدينية. وفي الواقع فإنه يحسب للكنيسة أنه توفر المساعدة لجميع الناس بغض النظر عن حالتهم. وبلا شك أن بعض الاضطرابات الشعورية لها جذور روحية. وبغض النظر عن التحديات التي قد تواجه أي شخص منا، فإن فتح حياتنا لإقامة علاقة شخصية مع الله بيسوع المسيح يمكن أن يجلب الحرية والشفاء لنا.

ما أقوى الأحكام المسبقة التي يصدرها البعض ضد شرعية وصحة الاختبار المسيحي لدرجة أن الدرجات العلمية قد أنكرته. هناك صديق، يدرس في واحدة من أشهر الجامعات الأمريكية، رُفِضَ من درجة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية. وقيل له: «الإيمان الذي لديك عن الله يجعل منك بالضرورة شخصًا مجنونًا».

coptic-books.blogspot.com

سمعت بعض المتشككين يقترحون أن كل اختبار مسيحي يمكن شرحه على أساس قاعدة «الاستجابات الشرطية». وترجع جذور هذا التفكير إلى التجارب التي أجراها العالم الروسي الشهير بافلوف. فقد وضع أدوات للقياس في فم كلب ومعدته لتحديد معدل إنتاج العصارات الهاضمة. ثم أحضر طعامًا للكلب وفي الوقت نفسه رن جرسًا. وبعد قيامه بذلك مرارًا وتكرارًا لفترة من الوقت، بدأ بافلوف يرن الجرس دون تقديم الطعام للكلب، وكان الكلب يسيل لعابه كالمعتاد عند قدوم الطعام. النتيجة التي توصل إليها بأنه بواسطة مثل تلك الارتباطات الشرطية المتكررة، يمكن للذهن أن ينتج رد فعل مادي مرغوب. ويقول مؤيدو هذه النظرية أنه بالاستناد إلى هذه القاعدة يمكن تفسير كل التحولات السياسية والاجتماعية والدينية.

هل الاختبار المسيحي صحيح وشرعي؟

في البداية علينا أن نستبعد إمكانية التلاعب بالمشاعر الإنسانية في بعض الظروف. كذا فسيكون علينا أن نعترف بأن بعض المعلمين والوعاظ يلعبون بوعي أو بغير وعي على وتر مشاعر جمهورهم بقصص فراش الموت والأداء المتكلف وغيرها من الحيل.

كان يسوع في مثل الزارع يحذر بمنتهى الوضوح من استثارة المشاعر فقط. وهو يصف الوقت الذي فيه يسمع شخص «الكلمة» ويشبه الرسالة المسيحية ببذرة تسقط على أراضي محجرة. ففي البداية يقبل الشخص الرسالة بفرح ولكن الجذور لا تنمو بعمق في الداخل. فيستمر السامعون لفترة ولكن عندما تأتي الصعوبات، لا يكون عندهم إيمان حقيقي. فينصرفون ويسقطون على جانب الطريق.

coptic-books.blogspot.com

التطبيق على ذلك أنه حينما نسمع عن الله ويسوع المسيح، يمكن أن تتحرك مشاعرنا. ولكن إذا وعندما تأتي الأوقات العصيبة، فإننا نخلع نظارتنا الوردية. ونكتشف أن الحياة عمومًا ليست سوى مشكلات تحتاج إلى حلها، وأن السعادة ليست هي الصفة السائدة على كل أيام حياتنا. المشاعر متقلبة تشبه موج البحر وقد تتغير حتى مع التقلبات الجوية. لكن الخبر السار هو أن الحق المسيحي لا يستند على ارتفاعات المشاعر. وفي وقت الشك وعدم اليقين يكون من النافع أن نراجع الحقائق، وسنجد أن النتيجة بداخلنا هي إيمان أكثر عمقًا.

مسألة إرادة

أوضح أورفيل س. والترز، وهو عالم نفس مسيحي، أن الإرادة تشبه عربة يجرها حصانان هما المشاعر والعقل. لدى بعض الناس تستجيب الإرادة (العربة) بسرعة أكبر من خلال المشاعر. ومع البعض الآخر يمكن الوصول إلى العربة من خلال العقل. ولكن في جميع الحالات يتضمن الإيمان الحقيقي قرارًا من الإرادة[٢].

نحن نعترف بإمكانيات حدوث الاستجابات العاطفية الزائلة، ولكن لا يمكننا أن نفسر جميع الاختبارات المسيحية على أساس نفسي. فهذا لا يلائم الحقائق. إننا نفعل صوابًا عندما نلاحظ مبدأً ينطبق هنا وكذلك في مجالات أخرى: وصف الشيء ليس هو بالضبط تفسير هذا الشيء. وبالتأكيد فإن الاختبار المسيح يمكن وصفه نفسيًا (سيكولوجيًا)، غير أن هذا لا يفسر أو يشرح السبب وراء حدوثه كذا فهو لا ينكر حقيقته.

لقد شرحنا حقيقة محبة الله التي لنا، تلك المحبة التي لا نستحقها ولم نكتسبها

coptic-books.blogspot.com

بأنفسنا. ويمكن لاختبار الثقة والضمان والقبول أن يجلب البهجة والتكريس الداخلي. قال أحد الحكماء: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مز ٣٤: ٨). امتحن الأمر لنفسك، في معمل الحياة، اختبر فرضية أن يسوع المسيح هو الابن الحي لله. مصحوبة بالحقيقة التوأم لها عن إعلان الله الموضوعي، يؤكد لنا الاختبار المسيحي الشخصي مدى جدارة هذه الرسالة بالتصديق والقبول.

هل هي استجابة شرطية؟

ماذا عن الاعتراض القائل بأن الاختبار المسيحي ليس سوى استجابة شرطية؟

أولاً: هل يمكن أن تكون المقارنة بين البشر والحيوانات مقارنة صحيحة؟ فالإنسان لديه عقل وقدرة على التحليل الذاتي والتأمل الذاتي والنقد الذاتي مما يجعله مختلف تمامًا عن الحيوانات. ويذكر د. مارتين ليويد جونس في معرض رده على الكتاب الشهير «معركة الذهن» لوليم سارجنت قائلاً: «بمعنى آخر، تكون هذه المقارنة صحيحة فقط في بعض الأوقات (مثل الحرب) حينما يتضاءل جدًا ما يميز الإنسان، بسبب الضغط العصبي الرهيب، ويقترب الإنسان في تصرفاته من الحيوان»[٣].

ثانيًا: إذا كنا مجرد كائنات تتحرك بناءً على استجابات شرطية، إذن فيجب على هذا أيضًا أن يفسر أعمال الأبطال العظماء والأشخاص الذين ضحوا بأنفسهم الذين تفتخر البشرية بهم. فمثل هذه الأعمال بهذه الطريقة لن تكون سوى استجابات لمثير معين في نقطة معينة. وبناء على ذلك نتوصل إلى النتيجة المنطقية والتي ستكون وجهة نظر حتمية للسلوك البشري مع استبعاد المسئولية الأخلاقية، فما سوف يحدث

coptic-books.blogspot.com

سوف يحدث ولا يمكنني تغييره. أو أن ما يحدث ليس ذنبي؛ فهذا ناتج عن الجينات التي في جسمي». إذ يميل الأشخاص الذين يتمسكون بنظرة حتمية فلسفية إلى إنكار هذا الموقف القدري في ممارساتهم اليومية. ومثل أي شخص آخر، هم يريدون القبض على اللص فورًا خاصة إذا كانوا هم من تعرضوا للسرقة.

الاستجابات الشرطية لا تفسر العدد الهائل من الناس الذين يشهدون عن اختبارهم المسيحي الذين لا يمكن إنكاره. وهناك الآلاف ممن تربوا في بيوت مسيحية وللأسف لم يصيروا مؤمنين. بينما الآلاف غيرهم ليس لهم خلفية أو معرفة بالإيمان قد صاروا مؤمنين. وأنا أعرف أشخاصًا صاروا مؤمنين في أول مرة سمعوا فيها قصة الله وخلاص البشرية. وفي المقابل، هناك آخرون درسوا البرهان مرارًا وتكرارًا قبل أن يقرروا الثقة في المسيح.

هناك هؤلاء الذين صاروا مؤمنين ممن كانوا بلا أي خلفية دينية. وجميعهم يشهدون بانتظام عن راحة داخلية شخصية. وتكريس بكل القلب ليسوع المسيح جلب لهم اختبار شخصي شجعهم. كما أن الحياة التي تغيرت بشكل ظاهر ليست أمرًا سطحيًا أو زائفًا. وهناك آلاف القصص يمكن سردها أو قراءتها عن ذلك التغيير الحقيقي.

مثل هذه النتائج لن تتحقق من مصباح المكتب مثلاً بواسطة التفكير الإيجابي. المهم هنا هو «الموضع أو الشيء الإيجابي». التفكير الإيجابي وحده بعيد جدًا عن الإيمان بالخالق الحي الذي يعتني بنا. لقد شكرت الله كثيرًا لأجل طالب الحقوق الذي أشرت إليه من قبل حينما وجدته يكرس حياته للمسيح في أثناء المحاضرات الأسبوعية التي تلت ذلك في فصلي الدراسي.

coptic-books.blogspot.com

هل هم ضحايا للتنويم المغناطيسي؟

ولكن كيف سنعرف عندما نفحص المسيحية إذا ما كنا ضحايا لعملية تنويم مغناطيسي؟ كيف سنعرف أننا ببساطة لا نتخبط في الظلام؟ حيث أن الخبرة الذاتية مثل هذه لا تقدم دليلاً على أي شيء على الإطلاق. إذ ادعى الكثيرون أنهم اختبروا حقائق لا يكون بوسعنا في الواقع إلا أن نتساءل بشأنها. ومن جديد نقول إنه لابد أن يكون هناك أكثر من مجرد خبرة يمكن عليها أن نؤسس قناعاتنا، وإلا فسنوقع أنفسنا في مأزق.

على سبيل المثال، تخيل رجل لديه بيضة مقلية فوق أذنه اليسرى جاء ودخل من باب الكنيسة. وقال وهو متألق: «هذه البيضة تمنحني فعلاً الفرح والسلام وتعطيني معنى لحياتي، وغفران من الخطايا وقوة لكي أواصل الحياة» فماذا ستقول له؟ لا يمكنك أن تقول له إنه لم يختبر هذه الأمور. فواحدة من مناطق القوة في الاختبارات الشخصية أنها لا يمكن الطعن فيها. الرجل الأعمى الذي شفاه يسوع لم يستطع أن يجيب على الكثير من الأسئلة التي طُرِحت عليه، لكنه كان واثقًا من حقيقة أنه الآن يستطيع أن يبصر (انظر يوحنا ٩). وكانت شهادته بليغة في قوتها.

ولكننا نستطيع أن نسأل عدة أسئلة لصديقنا صاحب البيضة المقلية. تلك هي الأسئلة التي يجب على المسيحيين أن يكونوا هم أيضًا مستعدين للإجابة عليها.

أولاً: من أيضًا كان لديه نفس الاختبار مع البيض المقلي؟ على افتراض أن صديقنا وجد بصعوبة آخرين. كان الراحل هاري إرونسيد يعظ منذ عدة سنوات حينما صرخ أحدهم قائلاً: «إن الإلحاد عمل أمورًا مفيدة للعالم أكثر من المسيحية!».

coptic-books.blogspot.com

فقال إرونسيد: «حسنًا، أرجو منك أن تحضر لي غدًا صباحًا مائة رجل تغيرت حياتهم بسبب الإلحاد وأنا أحضر لك في المقابل مائة رجل تغيرت حياتهم بسبب المسيح».

ولا داعي لقول إن هذا الصديق المشاغب لم يظهر في الليلة التالية. فمع المسيحية هناك أشخاص من كل عرق وكل بلد وكل مسارات الحياة يشهدون جميعًا عن اختبارهم عندما تقابلوا مع يسوع المسيح.

ثانيًا: علينا أن نسأل صديقنا صاحب البيضة المقلية: ما هي الحقيقة الموضوعية خارج نفسه يرتبط بها اختباره الذاتي الداخلي؟ وكيف يعرف أنه ليس ضحية لتنويم مغناطيسي؟ وبالطبع لن يكون لديه شيء ليقوله. لكن في المسيحية يرتبط الاختبار المسيحي الذاتي بالحقيقة الموضوعية التاريخية الخاصة بقيامة المسيح. فإذا لم يقم المسيح من بين الأموات، فلن نتمكن من اختباره. فلأنه قام من الموت وهو حي اليوم، يمكننا أن نعرفه حقًا.

حقيقة تاريخية موضوعية

يخطأ من يظن أن الاختبار المسيحي يتغذى ويجد وقودًا له في الإيمان بالأمور غير الحقيقية. هذا الاختبار ليس كمثل الفتى الذي مات من الرعب عندما قام أصدقاؤه بربطه على خط السكة الحديد بالليل والظلام حالك، ثم قالوا له إن القطار سوف يعبر بعد خمسة دقائق. لكنهم لم يقولوا له إن القطار سوف يعبر على المسار الموازي لمساره وليس على الخط الذي ربطوه فيه. فظن أنه لا يوجد سوى خط واحد. وعندما سمع صوت القطار قادمًا أصيب بسكتة قلبية ومات. ولكن مع المسيحية لا شيء يحدث إذا لم يكن هناك فعلاً إلهًا حقيقيًا.

coptic-books.blogspot.com

ولأن المسيح موجود فعلاً، فإن كل إمكانيات حياته يمكن تحقيقيها فينا. إننا نستمتع بنصف القصة فقط حينما نقول: «أنا أعلم أن يسوع المسيح غفر خطيتي». أما النصف الآخر المهم جدًا أيضًا فهو يتعلق بمعرفتنا أننا نحيا لأنه قام من الأموات في لحظة تاريخية سابقة. إن خبرتنا الشخصية الذاتية قائمة على الحقيقة التاريخية الموضوعية.

يقول ج. ب. فيلبس في تعليقه على حقيقة أن الناس تعاني في حديثهم عن الاعتماد على قوة خارج أنفسهم:

أعرف معرفة كاملة أنني أصف مجرد ظاهرة ذاتية. ولكن الفكرة كلها أنني لاحظت نتائج في الظاهرة الذاتية: على سبيل المثال شجاعة، إيمان، رجاء، فرح وصبر. وهذه السمات ظهرت بشكل واضح للغاية. الشخص الذي يريد البرهان على كل شيء بالوسائل العلمية محقًا تمامًا في إصراره على تطبيق أسلوب التجربة المعملية إذا كان يبحث في شيء، دعنا نقول مثلاً، الغوص في الماء أو حدة الإدراك أو حركة الأجسام.

ولكن لا يمكن تطبيق قواعد التجربة المعملية عند البحث في عالم الروح البشرية إلا إذا كان باستطاعتنا أن نرى أن التجربة المعملية تصلح أيضًا مع الحياة البشرية نفسها. يمكن للإنسان أن يظهر بموضوعية تغيرًا في موقفه، إيمان يوجه حياته في مسيرة حياته الفعلية[٤].

سواء كنت غنيًا أو فقيرًا، مرتفعًا أو منخفضًا فإن احتياجاتنا متشابهة. يخبرنا رافي زكرياز عن حوار أجراه دافيد فروست مع الملياردير تيد ترنر. عندما سؤاله على غير المتوقع إذا كان هناك شيء قد ندم عليه في حياته، ظهرت لمحة حزن على وجه ترنر. وأجاب بكآبة: «نعم، إنها طريقة معاملتي لزوجتي الأولى»[٥].

coptic-books.blogspot.com

إنه في هذه الحقائق الموضوعية في الحياة الشخصية يمكننا أن نرى بعض الحركة المرتبطة بالمسيح. فهو يتقابل معنا في أعمق احتياجنا.

الغاية والاتجاه

يمنح المسيح الغاية والاتجاه في الحياة. فقد قال: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (يو ٨: ١٢). غير أن الكثيرين يسيرون في الظلام فيجهلون غاية الحياة عمومًا وحياتهم هم تحديدًا. إنهم يتخبطون في أرجاء غرفة الحياة بحثًا عن مفتاح الإضاءة. أي شخص كان في غرفة مظلمة وغير مألوفة بالنسبة له يعرف هذا الشعور بعدم الأمان. ولكن عندما يضاء النور، يظهر فورًا إحساس بالأمان. وهكذا الحال عندما يخرج الإنسان من الظلمة إلى نور الحياة في المسيح.

الله في المسيح يهب حياتنا غاية كونية، ويسيرنا بغايته للتاريخ وللأبدية. إذ لا يحيا المسيحي فقط لحاضره، ولكن للأبدية أيضًا. حتى الأمور الروتينية تتحول بينما نحيا ملء حياتنا في غاية الله ونطيع النصيحة: «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئًا فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١كو ١٠: ٣١). وهذه الغاية تؤثر في كل معالم الحياة. وهي أيضًا غاية أبدية ليس لها نهاية. وبلا شك فإن غير المسيحي لديه بعض الغايات الدنيوية مثل الأسرة والعمل والمال والتي تعطيه مقدار محدود من الرضا. ولكن هذه الغايات، في أفضل الأحوال، ليست سوى غايات زائلة وقد تفشل بتغير الظروف.

بالنسبة لعصر فيه يصف الفلاسفة الوجوديون الحياة بأنها عبثية وعديمة المعنى، لا شيء يمكن أن يكون أقوى وأكثر معنى من هذه التأكيدات الثمينة عن المسيح.

coptic-books.blogspot.com

لقد صُنِعنا لأجل الله

قال الراحل كارل چوستاف يانج: «أهم اضطراب عصبي في وقتنا الراهن هو الفراغ». عندما لا يكون لدينا المال والشهرة والنجاح والقوى وغيرها من الأمور الخارجية، نظن أننا سنصل إلى السعادة النهائية بعد أن نحوز عليها. ولكن الكثيرين يشهدون عن اختبار خيبة الأمل والتحرر من الوهم عندما يتم الوصول إلى هذه الأمور ويدرك الشخص أنه مازال هو نفس الشخص التعيس. فروح الإنسان لا يمكن أبدًا أن ترضى «بالخبز وحده» بالأمور المادية. فقد صُنِعنا لأجل الله ولا يمكننا أن نجد الراحة إلا فيه.

السيارة، مهما كانت رائعة وقوية ومجهزة بأحدث المعدات لن تستطيع استخدام الماء كوقود، فقد صُنِعت لكي تستخدم البنزين فقط. وهكذا لا يستطيع البشر أن يجدوا الرضا والكمال إلا في الله. لقد خلقنا الله نفسه بهذه الكيفية. ويمنحنا الاختبار المسيحي هذا الإنجاز في علاقتنا الشخصية مع المسيح. فقد قال: «أنا هو خبز الحياة. من يقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدًا» (يو ٦: ٣٥). عندما يختبر المرء المسيح، فإنه يصل إلى الرضا الداخلي والفرح والحيوية الروحية تمكنه من التسامي فوق الظروف. هذه الحقيقة هيَ التي مكَّنت بولس الرسول من القول: «تعلمت أن أكون مكتفيًا بما أنا فيه» (في ٤: ١١). هذه الحقيقة الخارقة للطبيعة تمكِّن المسيحي أن يبتهج ويفرح في وسط الظروف الصعبة.

مطلبنا هو السلام

«السلام في وقتنا» تعبر هذه العبارة عن الشوق الذي بداخل كل منا بينما نبصر اختياراتنا اليومية التي تلمع في وجوهنا. وخارج أنفسنا نحن نتشبث بالرجاء الصعب بألا تتضخم الحروب الصغيرة وتصير صراعات كبيرة.

coptic-books.blogspot.com

السلام هو مطلب كل قلب إنساني. ولو كان يمكن شراءه، لكان الناس قد دفعوا المليارات لكي يشتروه. ومقدار المبيعات الهائلة للكتب التي تتعلق بسلام النفس والعقل يشهد أن هذه الكتب تلامست مع وتر رنان في حياة الملايين. كما نرى ذلك في عيادات الأطباء النفسيين التي تمتلئ حتى آخرها.

قال الرب يسوع: «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت ١١: ٢٨). وحده المسيح يمنحنا السلام الذي يفوق العقل، إنه سلام لا يقدر العالم أن يعطيه أو يسلبه منا. ويا له من أمر مؤثر أن نسمع قصص حياة هؤلاء الذين بحثوا بلا كلل لسنوات وأخيرًا وجدوا السلام في المسيح. إن الزيادة حاليًا في الانفصال وتمزق العائلات وتكشف الممارسات المستترة قد كشف عن أننا نبحث عبثًا عن السلام في حياتنا. نحتاج ألا نخضع للإدمان بأي أشكاله، أو الخطايا الظاهرة أو الكراهية المستترة والغيرة على أمل واهم بالحصول على السلام. ولكن ليس هناك سوى مصدر واحد للسلام الحقيقي وهو متاح وموثوق فيه. فإن السلام الحقيقي الدائم يأتي من المسيح وحده؛ «لأنه هو سلامنا» (أف ٢: ١٤).

الحاجة إلى قوة جذرية

اليوم يعيش مجتمعنا حالة عميقة من إحباط القوة، وفشل وانهيار قوة الأخلاق والقيم. يعرف الآباء والأمهات ما هو صائب لأنفسهم ولأطفالهم، ولكنهم يجدون في حالات عديدة أنه من الأسهل أن يسيروا مع التيار. وسريعًا ما يلتقط الأطفال هذا الاتجاه. والنتيجة تكون تدهور سريع للقيم الأخلاقية للمجتمع. ويصبح الاكتفاء بمجرد تقديم نصيحة جيدة لشخص صغير أو كبير أشبه ما يكون بمن يعالج السرطان بالقليل من اليود. نحن نحتاج إلى قوة جذرية.

coptic-books.blogspot.com

المسيحية لا تهتم بالشكليات لكنها تهتم بالتغيير الجذري للحياة. نحن نسمع يسوع المسيح يقول: «أتيت ليكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (يو ١٠: ١٠).

يقدم لنا الرب يسوع قوته. وهي ليست فقط قوة وحرية من أي أغلال تقيدنا لكنه قوة لغفران هؤلاء الذين أخطأوا إلينا، ولنحب الأشخاص غير المحبوبين ولنقاوم إغواء الرغبة في الانتقام. الأشخاص المولودون ثانية لديهم قدرات جديدة، ورغبات جديدة ومحبة جديدة. إنهم في الحقيقة «خليقة جديدة» (٢كو ٥: ١٧). وأقولها ثانية: إن الأشخاص الذين أمنوا حديثًا في الواقع قد جاءوا حرفيًا من الموت إلى الحياة الروحية.

حل لمشكلة الشعور بالذنب والوحدة

الاختبار المسيحي يحل مشكلة الشعور بالذنب. كل شخص عادي يشعر بالذنب. وعقدة الذنب هي شعور غير منطقي ليس له أساس في الحقيقة. لكن الذنب الذي نشعر به نتيجة لانتهاك أحد القوانين الأخلاقية الفطرية فهو شعور عادي، بينما غياب أي شعور بالذنب هو الأمر غير العادي. إن الشخص الذي لا يشعر بأي شيء بعد أن يقتل أو يؤذي عمدًا إنسانًا بريئًا هو الشخص غير الطبيعي. لا يجب أن نطرد كل مشاعر الذنب. لكن في المسيح يوجد أساس موضوعي للحصول على الغفران. لقد مات المسيح لكي يدفع ثمن آثامنا؛ وتحمل عنا عقوبة الموت التي كنا نستحقها. «إذًا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» (رو ٨: ١). لأن غفران الخطايا الشخصية للإنسان هي حقيقة واقعة.

المسيحية تتحدث إلى وحدتنا، والتي هي سمة سائدة على المجتمع الحديث. والأمر الذي يجلب السخرية أنه في الوقت الذي يشهد فيه العالم انفجارًا سكانيًا يزداد الشعور بالوحدة بين الناس أكثر من أي وقت مضى.

coptic-books.blogspot.com

يسوع المسيح هو الراعي الصالح (يو ١٠: ١٤) وهو أبدًا لن يتركنا ولا يهملنا. وهو يأخذنا ويقدمنا إلى أسرة جديدة تهتم بنا وتعيش في كل أنحاء العالم.

الميلاد الجديد يجلب حياة جديدة

في النهاية نقول إنه في إدراكنا لصحة الاختبار المسيح علينا أن ندرك أن الوصف النفسي لهذا الاختبار يثبت أنه اختبار صحيح تمامًا. لكنه مجرد وصف أو توصيف، وليس سببًا. الشخص الذي يأتي إلى المسيح ويضع حياته بين يدي الرب يسوع و«يولد من جديد» أو «يولد من الله» يكون له روح الله، وحياة روحية جديدة في داخله. وهذه الحياة الجديدة تشبه الولادة الطبيعية والتي فيها يخرج الوليد إلى الحياة، فيفعل أشياء جديدة ويتعلم أمور جديدة. وهناك عدد من الأوصاف لهذا «الميلاد الجديد» في العهد الجديد.

«كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله» (١يوحنا ٥: ١)

«مولودين ثانية، لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (١بطرس ١: ٢٣).

«إذًا إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديدًا» (٢كورنثوس ٥: ١٧)

الخطوة التالية هي تقرير موقفك الشخصي مع الله، خالقنا العظيم، وعلاقتك الشخصية معه. لعلك قد تواصلت معه بالفعل وتعرفت على هبته المجانية وهي «الحياة الجديدة». أو ربما تحتاج أن تأخذ الخطوة التالية. وتقرر أن تقوم بعمل وتطلب أن تقابله بنفسك. وستجد يسوع يقول لك: «أنا هو الباب. إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى» (يوحنا ١٠: ٩).

coptic-books.blogspot.com

هل آمنت إيمانًا شخصيًا بيسوع المسيح، أم أنك ماتزال على الطريق؟

جاء شاب إلى بيتنا وسألني بعض الأسئلة المنطقية الصعبة التي كانت تشغله عن الله والإيمان المسيحي. تكلمنا فترة طويلة إلى أن سألته في النهاية إذا كان قد سبق له أن وضع حياته وثقته في الرب يسوع المسيح. فأجابني بمنتهى الإخلاص: «إنني عالق فمع كوني أريد الدخول إلا أنني أشعر بأني لا أتحرك نحو الداخل».

لقد كان هذا توصيفًا مذهلاً لحقيقة الوضع الذي يعيشه الكثيرون الآن فهم في الخارج لكنهم في أعماقهم يرغبون في الدخول. لكن الخبر السار في ذلك اليوم هو أن هذا الشاب قرر أنه يريد أن يصلي مباشرة إلى الله في اسم «يسوع». وهذا أمر لم يسبق له أن عمله على الإطلاق.

وقال في صلاته:

أولاً: يا إلهي أعرف أنني أحتاجك في حياتي. إن أخطاء ثقيلة وأحتاج منك أن تغفر لي.

ثانيًا: يا إلهي أسألك في ابنك يسوع المسيح أن ترشد حياتي وتمنحني حياة جديدة وتقودني في كل القرارات التي أتخذها.

ثم تحدث بصدق وحماس عن بعض معاركه الداخلية، وكل ما قاله كان بنوع من الرجاء والتمني للحرية. وفي نهاية الصلاة، قدم الشكر لله.

وخرج من الباب. وكان يسوع المسيح في انتظاره. ويا له من امتياز عظيم أن يكون الله في انتظار كل واحد منا.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الحواشي

Chapter 1: Is Christianity Rational?

[1]C. S. Lewis, *Mere Christianity* (New York: Macmillan, 1943), p. 24.

[2]R. C. Sproul, *Knowing Scripture* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1977), p. 17.

[3]Antony Flew, "Theology and Falsification," in *New Essays in Philosophical Theology,* ed. Antony Flew and Alasdair MacIntyre (London: SCM Press, 1955), n.p.

[4]On the issue of theological verification, see John W. Montgomery, "Inspiration and Inerrancy: A New Departure," *Evangelical Theological Society Bulletin* 8 (spring 1956): 45-75.

[5]Bill Hybels, *The God You're Looking For* (Nashville: Thomas Nelson, 1997), p. 7.

[6]Stephen Hawking, *A Brief History of Time* (New York: Bantam, 1988), p. 175.

[7]C. S. Lewis, *The Quotable Lewis* (Wheaton, Ill.: Tyndale House, 1989), p. 229.

[8]C. S. Lewis, *God in the Dock* (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1970), pp. 108-9.

Chapter 2: Is There a God?

[1]Mortimer Adler, *Great Books of the Western World,* ed. Robert Maynard Hutchins, vol. 2 (Chicago: Encyclopaedia Britannica, 1952), p. 561.

[2]Samuel Zwemer, *The Origin of Religion* (Neptune, N.J.: Loizeaux Bros., 1945), n.p.

coptic-books.blogspot.com

[3]R. C. Sproul, *Reason to Believe* (Grand Rapids, Mich.: Zondervan, 1978), p. 112.

[4]Lincoln Barnett, *The Universe and Dr. Einstein* (New York: Bantam, 1974), p. 95.

[5]Sir Fred Hoyle, *The Intelligent Universe* (London: Michael Joseph, 1983), pp. 11-12, 19, 251.

[6]Robert Grange, *Origins and Destiny* (Waco, Tex.: Word, 1986), p. 39.

[7]Bernard Ramm, *The Christian View of Science and Scripture* (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1954), p. 148.

[8]R. E. D. Clark, *Creation* (London: Tyndale Press, 1946), p. 20.

[9]Pattle P. Pun, *Evolution: Nature and Scripture in Conflict?* (Grand Rapids, Mich.: Zondervan, 1982), p. 226.

[10]Richard Lewontin, "Adaptation," *Scientific American* 239, no. 3:212.

[11]James Brooks, *Origins of Life* (Belleville, Mich.: Lion, 1985), pp. 109-10.

[12]Robert Jastrow, *God and the Astronomers* (New York: W. W. Norton, 1978), pp. 12-14, 116.

[13]William Lane Craig, *The Existence of God and the Beginning of the Universe* (San Bernardino, Calif.: Here's Life, 1979), pp. 59-60.

[14]Jastrow, *God and the Astronomers,* pp. 11, 14, 113-14.

[15]C. S. Lewis, *Mere Christianity* (New York: Macmillan, 1943), pp. 3, 11, 15-19.

Chapter 3: Is Christ God?

[1]John R. W. Stott, *Basic Christianity* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1958), p. 26.

[2]C. S. Lewis, "Miracles," quoted in Stott, *Basic Christianity,* p. 32.

[3]Bernard Ramm, *Protestant Christian Evidences* (Chicago: Moody Press, 1953), p. 177.

[4]Ibid.

Chapter 4: Did Christ Rise from the Dead?

[1]David Strauss, *The Life of Jesus for the People,* 2nd ed. (London, 1879), 1:412.

[2]B. F. Westcott, *The Gospel of the Resurrection,* 4th ed. (London, 1879), pp. 4-6.

Chapter 5: Is the Bible God's Word?

[1]Malcolm Muggeridge, *Jesus, the Man Who Lives* (New York: Harper & Row,

coptic-books.blogspot.com

1975), p. 9.

[2]J. D. Douglas, *New Bible Dictionary* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1962), p. 1259.

[3]B. B. Warfield, *The Inspiration and Authority of the Bible* (New York: Oxford University Press, 1927), pp. 299ff.

[4]Gordon Clark, ed., *Can I Trust My Bible?* (Chicago: Moody Press, 1963), pp. 15-16.

[5]E. J. Carnell, *An Introduction to Christian Apologetics* (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1950), p. 208.

[6]Andrew E. Hill and John H. Walton, *A Survey of the Old Testament* (Grand Rapids: Mich.: Zondervan, 1991), p. 437.

[7]Clark, *Can I Trust*, p. 27.

Chapter 6: Are the Bible Documents Reliable?

[1]Andrew E. Hill and John H. Walton, *A Survey of the Old Testament* (Grand Rapids, Mich.: Zondervan, 1991), p. 14.

[2]R. Laird Harris, "How Reliable Is the Old Testament Text?" in *Can I Trust My Bible?* ed. Gordon Clark (Chicago: Moody Press, 1963), p. 124.

[3]Ibid., pp. 129-30.

[4]B. F. Westcott and F. J. A. Hort, eds., *New Testament in Original Greek*, vol. 2 (London, 1881), p. 2.

[5]Lee Strobel interviewing Bruce Metzger, in Strobel, *The Case for Christ* (Grand Rapids, Mich.: Zondervan, 1998), p. 63.

[6]F. F. Bruce, *The New Testament Documents: Are They Reliable?* (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1959), pp. 12-13. Contains a full discussion of the dating of documents.

[7]Ibid., p. 14.

[8]F. F. Bruce, *The Books and the Parchments* (Westwood, N.J.: Revell, 1963), p. 178.

[9]K. A. Kitchen, *The Bible and Its World* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1977), p. 131.

[10]Bruce, *New Testament Documents*, p. 19.

[11]Sir Frederic Kenyon, "The Bible and Archaeology," quoted in Bruce, *New Testament Documents*, p. 20.

[12]E. J. Young, "The Canon of the Old Testament," in *Revelation and the Bible*, ed. C. F. Henry (Grand Rapids, Mich.: Baker, 1956), p. 156.

coptic-books.blogspot.com

Chapter 7: Does Archaeology Verify Scripture?

[1]W. F. Albright, "Archaeology and the Religion of Israel," in *An Introduction to Bible Archaeology,* ed. Howard F. Vos (Chicago: Moody Press, n.d.), p. 121.

[2]Millar Burrows, "What Mean These Stones?" in *An Introduction to Bible Archaeology,* ed. Howard F. Vos (Chicago: Moody Press, n.d.), pp. 91-92.

[3]H. Darrell Lance, *The Old Testament and the Archaeologist* (Philadelphia: Fortress, 1981), p. 65.

[4]Leighton Ford, *The Power of Story* (Colorado Springs: NavPress, 1994), p. 13.

[5]A. R. Millard, *The Bible B.C.* (Phillipsburg, N.J.: Presbyterian & Reformed, 1982), p. 9.

[6]A. Rendle Short, *Modern Discovery and the Bible* (London: Inter-Varsity, 1949), p. 137.

[7]Millard, *Bible B.C.,* p. 51.

[8]A. R. Millard, *Treasures from Bible Times* (Belleville, Mich.: Lion, 1985), pp. 54-57.

[9]Edwin M. Yamauchi, *The Stones and the Scripture* (New York: Lippencott, 1972), p. 38.

[10]Ibid., p. 39.

[11]Millard, *Treasures from Bible Times,* pp. 47-48.

[12]Yigael Yadin, quoted in Yamauchi, *Stones,* p. 68.

[13]Millard, *Bible B.C.,* p. 25.

[14]Ibid., p. 27.

[15]Short, *Modern Discovery,* p. 184.

[16]R. F. Dougherty, quoted in Millard, *Bible B.C.,* p. 29.

[17]F. F. Bruce, "Archaeological Confirmation of the New Testament," in *Revelation and the Bible,* ed. C. F. Henry (Grand Rapids, Mich.: Baker, 1958), p. 320.

[18]Ibid., p. 323.

[19]Ibid., p. 324.

[20]Ibid., p. 327.

[21]Keith N. Schoville, *Biblical Archaeology in Focus* (Grand Rapids, Mich.: Baker, 1978), p. 156.

Chapter 8: Are Miracles Possible?

[1]J. N. Hawthorne, *Questions of Science and Faith* (London: Tyndale Press,

coptic-books.blogspot.com

1960), p. 55.

[2]Bernard Ramm, *Protestant Christian Evidences* (Chicago: Moody Press, 1953), p. 140.

[3]Ibid., pp. 140-41.

[4]Ibid., pp. 142-43.

[5]C. S. Lewis, "Miracles," quoted in Ramm, *Protestant Christian Evidences,* p. 143.

[6]Ramm, *Protestant Christian Evidences,* p. 160.

[7]Ibid., p. 40.

[8]G. K. Chesterton, *The Quotable Chesterton* (Garden City, N.Y.: 1987), p. 218.

Chapter 9: Do Science & Scripture Agree?

[1]*U. S. News & World Report,* December 1, 1980, p. 62.

[2]Quoted in *Christianity Today,* October 8, 1982, p. 38.

[3]J. P. Moreland, *The Creation Hypothesis* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1994), p. 17.

[4]J. N. Hawthorne, *Questions of Science and Faith* (London: Tyndale Press, 1960), p. 4.

[5]Hugh Ross, *The Creator and the Cosmos* (Colorado Springs: NavPress, 1993), p. 105.

[6]Phillip Johnson, *Defeating Darwinism by Opening Minds* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1997), pp. 68, 69. Richard Dawkins, one of today's most influential biologists, describes the evolutionist's creed as the "selfish gene."

[7]Ross, *Creator and the Cosmos,* p. 107. Here again Dawkins shows the atheist's presupposition that the existence of an infinite Designer is unthinkable.

[8]Johnson, *Defeating Darwinism,* p. 76.

[9]Moreland, *Creation Hypothesis,* p. 205.

[10]Johnson, *Defeating Darwinism,* p. 77.

[11]G. A. Kerkut, *The Implications of Evolution* (London: Pergamon, 1960), p. 20.

[12]The biblical account describes God as creating the living creatures, the birds that fly and the creatures of the sea using the phrase "according to their kinds. It is logical to ask if the word *kind* is the same as *species* (Genesis 1:21, 24). Kenneth Kantzer, author and theologian, answers that it is not. It is "simply 'kind' in a most general way, and could apply to anything from a Linnean

coptic-books.blogspot.com

phylum to a Linnean species. It is even pressing too much into the phrase 'after its kind' to interpret it to mean that God individually created each 'kind' by a separate act . . . [but] each kind reproduces offspring like itself" (Kenneth S. Kantzer, "Guideposts for the Current Debate over Origins," *Christianity Today*, October 8, 1982, pp. 23, 26).

[13]A. E. Wilder-Smith, *The Natural Sciences Know Nothing of Evolution* (San Diego: Master Books, 1981), p. 131.

[14]Johnson, *Defeating Darwinism*, p. 16.

[15]Ross, *Creator and the Cosmos*, pp. 19-20.

[16]Ibid., p. 73.

[17]Ross, *Creator and the Cosmos*, pp. 118-21.

[18]Francis A. Schaeffer, *No Final Conflict* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1975), p. 16.

[19]Davis A. Young, "An Ancient Earth Is Not a Problem; Evolutionary Man Is," *Christianity Today*, October 8, 1982, p. 42.

[20]Kantzer, "Guideposts for the Current Debate," p. 26.

[21]W. A. Criswell, *The Bible for Today's World* (Grand Rapids, Mich.: Zondervan, 1966), p. 30.

[22]Kerkut, *Implications of Evolution*, p. 3.

[23]J. P. Moreland, Seeds Resource Audio (South Barrington, Ill.: Willow Creek Community Church, 1998).

Chapter 10: Why Does God Allow Suffering & Evil?

[1]Hugh Evan Hopkins, *Mystery of Suffering* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1959).

[2]Ibid., p. 13.

[3]J. B. Phillips, *God Our Contemporary* (New York: Macmillan, 1960), pp. 88-89.

Chapter 11: Does Christianity Differ from Other World Religions?

[1]*Open Doors*, 1996-1997 (Annapolis Junction, Md.: Institute of International Education, 1997).

[2]Ravi Zacharias, *Can Man Live Without God* (Dallas: Word, 1994), pp. 126-31.

[3]Bill Hybels and Mark Mittelberg, *Becoming a Contageous Christian* (Grand Rapids, Mich.: Zondervan, 1994), p. 151.

[4]Ibid., p. 155.

coptic-books.blogspot.com

[5]William Lane Craig, *No Easy Answers* (Chicago, Ill.: Moody Press, 1990), p. 102.

Chapter 12: Is Christian Experience Valid?

[1]Anthony Standen, *Science Is a Sacred Cow* (New York: E. P. Dutton, 1962), p. 25.

[2]Orville S. Walters, *You Can Win Others* (Winona Lake, Ind.: Light & Life, 1950), n.p.

[3]D. Martyn Lloyd-Jones, *Conversions: Psychological or Spiritual* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1959), p. 13.

[4]J. B. Phillips, *God Our Contemporary* (New York: Macmillan, 1960), pp. 22-23.

[5]Ravi Zacharias, *Can Man Live Without God* (Dallas Word, 1994), p. 141.

coptic-books.blogspot.com

هل الكتاب المقدس هو حقًا كلمة الله ؟
هل قام المسيح فعلاً من بين الأموات ؟
هل المسيحية تتعارض مع العلم ؟
هل المعجزات ممكنة ؟
لماذا يسمح الله بالمعاناة والألم ؟
هل تختلف المسيحية عن بقية الأديان ؟

لا شك أن هذه الأسئلة وغيرها تشغل أذهاننا كثيرًا. وقد نجتهد في الرد عليها أو حتى تجاهلها خوفًا من أن تغرقنا في الشكوك والتوتر. ولكن الخبر السار الذي يحمله لنا هذا الكتاب أن كل هذه الأسئلة الجوهرية في حياتنا الإيمانية المسيحية لها إجابات منطقية ومقنعة للغاية.

يسعى هذا الكتاب لطرح الأسئلة الصحيحة والتي تعبر عن أعمق وأقوى الانتقادات التي توجه إلى المسيحية. ويجتهد في الإجابة عليها بأسلوب منطقي وعملي سليم، وقد استمد الكاتب مادة هذا الكتاب من خبرته الطويلة في حقل الخدمة بين طلاب الجامعات والمتشككين. فجاءت أفكاره واضحة وقوية ومُبرهَنة بحجج وفيرة وراسخة.

١٠١٠٣٧١٧
coptic-books.blogspot.com